✤ مطرانية دمياط وكفرالشيخ والبرارى
ودير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

تأملات فى مختارات من مزامير الأجبية
الجزء الأول

بقلم
الأنبا بيشوى
مطران دمياط وكفرالشيخ والبرارى
ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

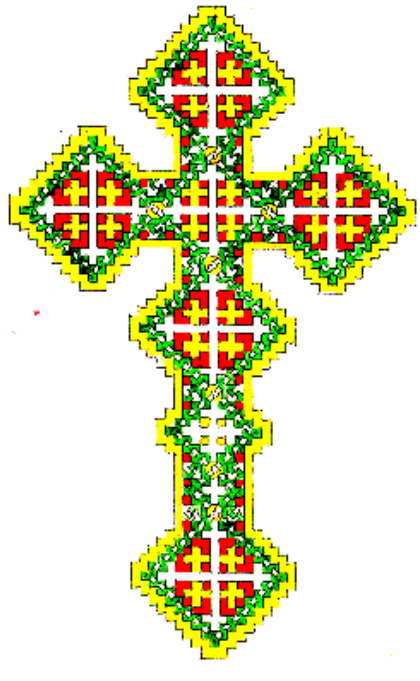

تأملات فى مزمور

اذكر يا رب داود وكل دعته

المزمور المائة والحادى والثلاثون

اذكر يا رب داود وكل دعته. كما أقسم للرب ونذر لإله يعقوب: إنى لا أدخل إلى مسكن بيتى، ولا أصعد على سرير فراشى، ولا أعطى لعينى نوماً، أو لأجفانى نعاساً، ولا راحة لصدغى، إلى أن أجد موضعاً للرب، ومسكناً لإله يعقوب. ها قد سمعنا به فى أفراثا، ووجدناه فى موضع الغابة. فلندخل إلى مساكنه، ونسجد فى الموضع الذى فيه استقرت قدماه. قم يا رب إلى راحتك، أنت وتابوت موضع قدسك. كهنتك يلبسون البر، وأبرارك يبتهجون. من أجل داود عبدك، لا ترد وجهك عن مسيحك. حلف الرب لداود حقاً ولا يخلف: لأجعلن من ثمرة بطنك على كرسيك. إن حفظ بنوك عهدى وشهاداتى التى أعلمهم إياها، فبنوهم إلى الأبد يجلسون على كرسيك. لأن الرب اختار صهيون ورضيها مسكناً له. هذا هو موضع راحتى إلى أبد الأبد. ههنا أسكن لأنى أردته. لصيدها أبارك بركة. لمساكينها أشبع خبزاً، لكهنتها ألبس الخلاص، وأبرارها يبتهجون ابتهاجاً. هناك أقيم قرناً لداود. هيأت سراجاً لمسيحى. لأعدائه ألبس الخزى. وعليه يزهر قدسى. هللويا.

هذا المزمور وهو ثالث مزمور من مزامير صلاة النوم، وهو مع المزمورين السابقين له وأيضاً التابعين له، من ترانيم المصاعد مع بعض المزامير من صلاة الغروب..

ما هى ترنيمات المصاعد ؟

كان أثناء صعودهم درجات سلم الهيكل يقولون على كل درجة من درجاته مزمور من هذه المزامير، وعددها خمسة عشر مزموراً؛ عشرة متضمنة حالياً فى صلاة الغروب وخمسة فى صلاة النوم.. من ضمنها مزمور "فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب. وقفت أرجلنا فى ديار أورشليم.. لأن هناك **صعدت القبائل**.." **لذلك دعيت ترانيم المصاعد**. وربما أيضاً دعيت ترانيم المصاعد لأن **الشعب كان يرتل بها أثناء صعودهم إلى جبل صهيون المرتفع المبنية عليه مدينة أورشليم**.

كثير من المفسرين يقولون أن أول من ترنم بهذا المزمور هو سليمان الملك وليس داود النبى.. فليست كل المزامير هى لدواد النبى.

قاله سليمان عندما كان ينقل تابوت العهد من خيمة الاجتماع إلى الهيكل الذى بناه للرب فى أورشليم.. وهذه أول مرة قيل فيها هذا المزمور

فى يوم نقل تابوت عهد الرب، أى أنه قيل فى يوم تاريخى دوَّنه الكتاب المقدس بكلمات فى منتهى الروعة، فى هذا الاحتفال فى سفر الملوك.

اذكر يا رب داود وكل دعته

فى بعض الترجمات مكتوب "اذكر يا رب داود **وكل مذلته**" وليس "كل دعته"، على اعتبار أن المذلة تعنى التذلل. فالإنسان المتذلل المنسحق؛ يُقال عنه: القلب المنكسر والمتواضع، والذبيحة لله روح منسحق، الإنسان المتذلل هو بالتالى إنسان وديع.. كما قال السيد المسيح: "تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت١١: ٢٩)، فالوداعة والاتضاع متلازمان. فسواء قال كل دعته أو كل مذلته فالمعنى متقارب فى كليهما.

وقد ذكرنا فى المزمور السابق عن اتضاع داود.. فى الحقيقة إن حياة داود كانت سلسلة من التجارب والضيقات. وكثيراً ما تذلل سواء قبلما يتسلم المملكة أو بعد أن صار ملكاً.

دعته أمام القائمين عليه

عندما ثار ضده ابنه ابشالوم، كان داود عجيباً جداً فى تذلله،

فعندما خرج مطروداً من أورشليم صعد فى مصعد جبل الزيتون. ولعل جبل الزيتون يذكرنا بصراع السيد المسيح وأحزانه من أجل البشرية فى ليلة آلامه.. داود "كان يصعد باكياً ورأسه مغطى ويمشى حافياً، وجميع الشعب الذين معه غطوا كل واحد رأسه وكانوا يصعدون وهم يبكون" (٢صم١٥: ٣٠).

ولما جاء إلى بحوريم لاقاه شمعى بن جيرا وأخذ يسب وهو يخرج ويرشق بالحجارة داود وجميع عبيد الملك داود.. فقال أبيشاى ابن صروية لماذا يسب هذا الكلب الميت سيدى الملك، دعنى أعبر فأقطع رأسه، فأجاب داود الملك وقال دعوه يسب لأن الرب قال له. **لعل الرب ينظر إلى مذلتى** ويكافئنى الرب خيراً عوض مسبته بهذا اليوم (انظر ٢صم ١٦: ٥-١٢).

هذا هو داود الذى ترنم وقال: "**خير لى أنك أذللتنى** حتى أتعلم حقوقك" (مز١١٨: ٧١). داود النبى بعد أن مسحه الرب ملكاً كان يقول لشاول الملك المرفوض من الرب عندما أراد أن يزوجه من ابنته: "من أنا وما هى حياتى وعشيرة أبى فى إسرائيل حتى أكون صهر الملك" (١صم١٨: ١٨)، وقال لعبيد شاول: "هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك وأنا رجل مسكين وحقير" (١صم١٨: ٢٣).

دعته أمام الرب

وأمام الرب قال داود عندما قال له الرب أنه لن يبنى البيت بل يبنيه ابنه: "من أنا يا سيدى الرب وما هو بيتى حتى أوصلتنى إلى ههنا وقَلَّ هذا أيضاً فى عينيك يا سيدى الرب فتكلمت أيضاً من جهة بيت عبدك إلى زمان طويل" (٢صم٧: ١٨، ١٩).

كان داود إنساناً متواضعاً، وعندما خرج وراءه شاول الملك قال: "وراء من خرج ملك إسرائيل وراء من أنت مطارد، وراء كلب ميت وراء برغوث واحد" (١صم٢٤: ١٤). بسبب هذا التواضع قال الرب عن داود: "وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبى الذى سيصنع كل مشيئتى" (أع١٣: ٢٢). وذكر ذلك سفر الأعمال وقال "من نسل هذا حسب الوعد أقام الله لإسرائيل مخلصاً يسوع" (أع١٣: ٢٣). لذلك يجب أن يتغنى الكل بهذا الاتضاع ويقول: اذكر يا رب داود وكل دعته.

من أنا يا سيدى الرب

داود النبى الذى عندما أراد أن يبنى بيتاً للرب، قال له الرب: "أأنت تبنى لى بيتاً لسكناى" (٢صم٧: ٥)، ورغم هذا لم يتضايق داود أو يتخاصم مع الله وقال: "من أنا يا سيدى الرب وما هو بيتى حتى

أوصلتنى إلى ههنا" (٢صم٧: ١٨). من أجل ذلك أثناء نقل سليمان تابوت عهد الرب، أول عبارة قالها فى المزمور هى: **اذكر يا رب داود وكل دعته**.

لماذا قال هذا؟ لأن الرب يقول: "لأنه هكذا قال العلى المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه، فى الموضع المرتفع المقدس أسكن **ومع المنسحق والمتواضع الروح** لأحيى روح المتواضعين ولأحيى قلب المنسحقين" (إش٥٧: ١٥)، فلأن الله يقول فى الموضع المرتفع المقدس أسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح، لذلك قال له سليمان: اذكر يا رب داود وكل دعته.

لقد جئنا يا رب لكى ننقل تابوت عهدك إلى مسكنك المقدس مسكنك المستعد، فاذكر داود وكل دعته الذى أراد أن يبنى لك بيتاً بروح الاتضاع وبروح الانسحاق وبروح التذلل أمامك يا رب.

فعندما أراد داود أن يبنى بيت الرب، قال له الرب: "متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك، أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته. هو يبنى بيتاً لاسمى، وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد.. ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابت إلى الأبد" (٢صم٧: ١٢-١٦).

فقد بدأت القصة منذ قال له داود: "من أنا يا سيدى الرب وما هو بيتى حتى أوصلتنى إلى ههنا" (٢صم٧: ١٨)، وأكمل قائلاً: "وقَلَّ هذا أيضاً فى عينيك يا سيدى الرب فتكلمت أيضاً من جهة بيت عبدك إلى زمان طويل. فالآن ارتض وبارك بيت عبدك ليكون إلى الأبد أمامك. لأنك أنت يا سيدى الرب قد تكلمت" (٢صم٧: ١٨، ١٩، ٢٩). إذن فالقصة بدأت بالاتضاع والانسحاق ولكن كملت القصة بأن الرب قد وعد أن يثبّت كرسيه إلى الأبد.

كما أقسم للرب ونذر لإله يعقوب

هذا يوضح لنا أن داود كان قد نذر أن يبنى بيتاً للرب، فالمزمور يكشف لنا أن داود ليس فقط أراد أن يبنى بيتاً للرب **ولكنه أقسم ونذر**. وكان يشعر بالتبكيت والتوبيخ الداخلى كيف يسكن هو فى قصر فخم بينما ليس للرب مسكن ليسكن فيه، متغرب فى خيمة.. كيف يأوى هو إلى سرير فراشه ويعطى لعينيه نوماً ولأجفانه نعاساً وراحة لصدغه، بينما الرب متغرب فى خيمة الاجتماع.

هذا الأمر أقلق داود، ولذلك استدعى ناثان النبى وقال له لا يليق أن أسكن أنا فى قصر بينما الرب متغرب فى خيمة. ونذر وأقسم أنه لن يستريح إلى أن يبنى مسكناً لإله يعقوب، ولكن الرب قال له لا تبنى أنت

لى البيت، لقد قبلت تقدمتك وقبلت نذرك، لكن ابنك الخارج من أحشائك هو يبنى البيت (انظر ٢صم ٧)، وكان سليمان فى هذا رمزاً للسيد المسيح.

إنى لا أدخل إلى مسكن بيتى، ولا أصعد على سرير فراشى، ولا أعطى لعينى نوماً
أو لأجفانى نعاساً، ولا راحة لصدغى، إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب

بالاتضاع أخذ الوعد

عندما كان سليمان يذكّر الله باتضاع داود، فهو أيضاً يذكّره بوعده لهذا المتضع أن يثبت كرسيه إلى الأبد.. وسليمان هنا ببراعة عجيبة يربط بين بناء بيت الله وبين ثبات مملكة داود؛ أى أن الأمرين مرتبطان فى ذهنه بشكل عجيب جداً. ثبات مملكة داود وبناء بيت للرب يوضع فيه تابوت عهد الرب.

من أجل هذا يقول فى باقى المزمور: "**إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب**" هذا بالنسبة للمسكن.. ثم يذكر الوعد الذى قاله الرب لداود: "إن حفظ بنوك عهدى وشهادتى التى أعلمهم إياها،

فبنوهم إلى الأبد يجلسون على كرسيك".. **يربط ثبات كرسى مملكته إلى الأبد ببناء بيت للرب فى أورشليم.**

ها قد سمعنا به فى أفراثا، ووجدناه فى موضع الغابة. فلندخل إلى مساكنه، ونسجد فى الموضع الذى فيه استقرت قدماه

السيد المسيح وخيمة الاجتماع

فى هذا الارتباط نجد أن سليمان كملك يهمه ثبات مملكته، ومن جانب آخر أن أهم عمل عمله هو بناء بيت للرب فى أورشليم. لكن أيضاً كان الروح القدس ينطق على لسانه بروح النبوة لأن الأمرين فى حقيقتهما هما إشارة للسيد المسيح، **لأن خيمة الاجتماع رمز للسيد المسيح وكرسى داود رمز للسيد المسيح.**

كل هذه الأمور تتحقق وتكمل فى السيد المسيح، خيمة الاجتماع يقول عنها الله لموسى: "أنا أجتمع بك هناك" (خر٢٥: ٢٢)، مكان اجتماع الله مع الإنسان. لذلك فإن خيمة الاجتماع ترمز للسيد المسيح بكل ما فيها. وقد تكلّم عنها معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين فتكلم عن القبة الأولى والقدس والقبة الثانية، وأن هذه كلها كانت ظل الأمور العتيدة، وأنه كان لها خدمة معينة فى المسكن الأول، وابتدأ معلمنا بولس

يربط كل هذه الأمور بكهنوت السيد المسيح وبذبيحة الصليب (انظر عب ٩، ١٠).

وفى التسبحة أيضاً نقول: شبهوا التابوت، وشبهوا غطاء التابوت، وشبهوا عصا هرون، وشبهوا المن بمخلصنا فى تجسده الإلهى من العذراء مريم، وعصا هرون التى أفرخت.. كل الأشياء الموجودة فى خيمة الاجتماع ومائدة خبز الوجوه، والمنارة ذات السبعة سرج.. كل ما فيها يرمز إلى الفداء وإلى الخلاص وإلى التجسد الإلهى.

وتابوت العهد نفسه هو رمز للسيد المسيح، التابوت المصفح بالذهب والذى يظلل عليه الكاروبيم هو رمز للسيد المسيح المولود من العذراء.

هيكل الرب الحقيقى

عندما وقف السيد المسيح أمام الهيكل قال لليهود: "انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه" (يو٢: ١٩)، فظنوا أنه يتكلم عن هيكل سليمان ولكنه كان يتكلم عن **هيكل جسده** (انظر يو٢: ١٨-٢١). وكان السيد المسيح يقصد أن يربط فى أذهاننا الهيكلين بعضهما ببعض، وأن يفهمنا أنه **هو الهيكل الحقيقى** الذى يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً، وأن الكنيسة فى العهد الجديد ستكون أيضاً هيكلاً مقدساً لسكنى الروح القدس فيها ولحلول جسد الرب فيها فى سر الإفخارستيا

وهو بالنسبة لها هو الرأس، أى أن جسده الخاص هو رأس الكنيسة. وإن كان هيكل سليمان قد نقض وانتهى لكن الهيكل، هيكل الرب الذى سر الرب أن يسكن فيه حقيقة هو الكنيسة المقدسة التى رأسها السيد المسيح.

قم يا رب إلى راحتك، أنت وتابوت موضع قدسك.
كهنتك يلبسون البر، وأبرارك يبتهجون

هذا هو موضع راحتى

فعندما نتأمل فى هذا المزمور يجب أن نضع أمام أعيننا هذا المثال، **إن أكثر موضع يستريح فيه الرب هو قلب الإنسان**. لذلك عندما يقول إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب.. يجب أن نفكر فى هيكلنا الذى هو هيكل الرب الحقيقى، إنه هو الموضع الذى يستريح فيه الرب.

سليمان رمز للسيد المسيح

السيد المسيح الذى هو خادم الأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان (انظر عب٨: ٢) كيف يكون سليمان رمزاً للسيد المسيح؟ لأنه هو ابن داود، فإن كان داود رمزاً للسيد المسيح، إنما

سليمان فى هذا رمزاً للسيد المسيح فى أنه ابن داود الخارج من أحشائه، فيحقق المعنى أن داود ليس هو نفسه المخلِّص أو الفادى، إنما الذى يأتى من نسله هو المخلِّص الفادى، الذى هو مسيح الرب مثل داود لكنه هو المسيح. فكل ملك من ملوك إسرائيل كان يدعى مسيحاً للرب، لكن المسيح المنتظر هو يسوع المسيح الناصرى مخلِّص العالم.

فإذا كان السيد المسيح هو الهيكل الحقيقى هذا ما جعل المرتل يقول فى المزمور (مز٣٩) الذى ذكره معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين مقتبساً من نص الترجمة السبعينية وقال: "لذلك عند دخوله إلى العالم يقول **ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن هيأت لى جسداً**.. ثم قلت هاأنذا آجى فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله.. فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عب١٠: ٥-١٠).

إذن كل الذبائح التى كانت تقدم فى الهيكل فى العهد القديم، قال عنها الرب بذبيحة وبقربان لم يسر أو لم يرد ولكن هيأ جسداً الذى هو جسد الرب يسوع فى التجسد الإلهى، وهذه هى الذبيحة الحقيقية المقبولة أمام الله.

وأيضاً قال له: أأنت تبنى لى موضعاً لسكناى، ولقد قال سليمان لله "هوذا السماوات وسماء السماوات لا تسعك" (١مل٨: ٢٧) فكل هذه الأمور كانت ترمز لظهور السيد المسيح فى الجسد.

أنتم هيكل الله

فنحن أيضاً ينبغى أن نهيئ أنفسنا كمسكن لله "**أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم**" (**١كو٣: ١٦**)، ينبغى أن نطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح بالتوبة والنقاوة ليسكن الله فى داخلنا إلى الأبد.

الخادم الذى يخدم النفوس أيضاً يهيئ موضعاً لسكنى الرب فى قلوب مخدوميه ويقول مع المرنم فى المزمور: لا أعطى لعينى نوماً أو لأجفانى نعاساً ولا راحة لصدغى إلى أن أجد موضعاً للرب ومسكناً لإله يعقوب..

الله يريد أن يستريح فى قلب الإنسان، فالإنسان الذى يخدم خدمة روحية يسعى لكى يجد الله له موضعاً فى قلب أحد الخطاة.

الله المتغرب فى الخيمة رمز للسيد المسيح الذى يجول يقرع على الأبواب ولا يجد أين يسند رأسه "أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه" (لو٩: ٥٨).

الله الساكن فى أورشليم رمز للقلب الذى وجد الرب له فيه موضعاً لسكناه "هذا هو موضع راحتى إلى أبد الأبد ههنا أسكن لأنى أردته"، **فإذا وجد الرب قلباً يستريح فيه معناها أنه وجد موضعاً لسكناه**.. إذا كنت خادماً يمكننى أن أسعى من أجل أن يجد الله له موضعاً فى هذه القلوب، أما إن كنت راهباً أعيش فى الدير، فينبغى أن أهتم بحياتى وخلاص نفسى وأبديتى. فأجمل شئ هو أن أهيئ فى قلبى موضعاً لسكنى الله لكى يستريح الله فيه، وتكون حياتى مملوءة بالتسبيح والصلوات مثل التسابيح والصلوات التى كانت تقرب وترفع أمام الله فى هيكله المقدس.

من أجل داود عبدك لا ترد وجهك عن مسيحك

سليمان الملك يقول: إذا كنت أنا لا أستحق أنك تدشن البيت وتدعو اسمك عليه فعلى الأقل "**من أجل داود عبدك لا ترد وجهك عن مسيحك**"، أنا هو مسيحك. سليمان يتكلم مع الرب ويقول له أنا مسيحك (لأنه ممسوح ملكاً على إسرائيل)، لكن من أجل داود عبدك والدالة العظيمة التى لداود عندك يا رب. وداود كان قد انتقل وغادر هذا العالم منذ سنوات، لكن يقول له من أجل داود عبدك..

إن من ينكرون الشفاعة -أى شفاعة القديسين- كيف يصمدون أمام هذا الكلام؟! فنحن نصلى ونقول للعذراء القديسة مريم: {إذ ليس لنا دالة ولا حجة ولا معذرة من أجل كثرة خطايانا فنحن بك نتوسل إلى الذى ولد منك} (قطع الساعة السادسة).

إذا كان مجرد صداقة بين داود والله استشفع بها سليمان الملك العظيم لكى يحل مجد الرب فى المكان، فكم يكون الأمر بابنة داود التى صارت أماً للرب، والدة الإله.. هل يكون لداود دالة عند الرب ولا تكون لأمه دالة؟!!

أولئك الذين لا يريدون هذه الشفاعة فليتكلوا على صلواتهم الذاتية وسوف نرى من هو الذى له قبول أمام الله، ومن سيستجاب له؟.. فالعبرة بالنتيجة.. فمن تمتع بشفاعة العذراء وذاق حلاوتها هو الذى يعرف قيمتها. إنما الغرباء عن أمومتها وعن محبتها؛ ففى تهكم يقولون ماذا تكون هذه العذراء وهى مثل الوعاء الذى أُخذت منه محتوياته وصار فارغاً..!!

حلف الرب لداود حقاً ولا يخلف
لأجعلن من ثمرة بطنك على كرسيك، إن حفظ بنوك عهدى وشهاداتى التى أعلمهم إياها

إن حفظ بنوك عهدى

يقول له يا رب أنت أقسمت لداود وحلفت له أنك من ثمرة بطنه ستقيم على كرسيه. فوعودك أنت صادقة، "إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه" (٢تى٢: ١٣). إن حفظ بنوك عهدى وشهادتى التى أعلمهم إياها، فبنوهم أيضاً يجلسون إلى الأبد على كرسيك. وإن لم يحفظوا عهده، فماذا يكون لهم؟

قال لهم إن عوجتم طرقى ولم تسيروا حسب ما أوصيتكم: "**فإنى أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التى أعطيتهم إياها والبيت الذى قدّسته لاسمى أنفيه من أمامى ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة فى جميع الشعوب**" (١مل٩: ٧).

هذا هو الكلام الذى قاله الرب لسليمان بخصوص هذا الموضوع "تراءى الرب لسليمان ليلاً وقال له: قد سمعت صلاتك، واخترت هذا المكان لى بيت ذبيحة إن أغلقت السماء ولم يكن مطر، وإن أمرت الجراد أن يأكل الأرض وإن أرسلت وبأ على شعبى، فإذا تواضع شعبى الذين دعى اسمى عليهم وصلوا وطلبوا وجهى ورجعوا عن طرقهم الردية، فإننى أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم. الآن عيناى تكونان مفتوحتين وأذناى مصغيتين إلى صلاة هذا المكان والآن قد اخترت وقدست هذا

البيت ليكون اسمى فيه إلى الأبد، وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام. وأنت إن سلكت أمامى كما سلك داود أبوك وعملت حسب كل ما أمرتك به وحفظت فرائضى وأحكامى. فإنى أثبت كرسى ملكك كما عاهدت داود أباك قائلاً لا يعدم لك رجل يتسلط على إسرائيل. ولكن إن انقلبتم وتركتم فرائضى ووصاياى التى جعلتها أمامكم، وذهبتم وعبدتم آلهة أخرى وسجدتم لها، فإنى أقلعهم من أرضى التى أعطيتهم إياها. وهذا البيت الذى قدسته لاسمى، أطرحه من أمامى وأجعله مثلاً وهزأةً فى جميع الشعوب. وهذا البيت الذى كان مرتفعاً، كل من يمر به يتعجب ويقول لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت. فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر، وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب عليهم كل هذا الشر" (٢أي٧: ١٢-٢٢).

وإذ لم يحفظوا عهده

لقد أعطى الرب لسليمان أن يكون أعظم ملك فى الأرض كلها، وثبت ملكه.. لكن سليمان فى نهاية أيامه، نساؤه قد أملن قلبه فذهب وعبد آلهة أخرى. وغضب الرب على سليمان فقال الرب لسليمان: "من

أجل أن ذلك عندك **ولم تحفظ عهدى وفرائضى التى أوصيتك بها** فإنى أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك. إلا أنى لا أفعل ذلك فى أيامك **من أجل داود** أبيك بل من يد ابنك أمزقها. على أنى لا أمزق منك المملكة كلها بل أعطى سبطاً واحداً لابنك **لأجل داود عبدى** ولأجل أورشليم التى اخترتها" (١مل١١: ١١-١٣).

وهذا ما حدث إذ حدثت ثورة وانشقت المملكة فى عهد رحبعام ابن سليمان. وجاء يربعام بن ناباط وملك على مملكة إسرائيل، وأصبحت إسرائيل مملكتين: واحدة عاصمتها السامرة وهى مملكة إسرائيل، والأخرى عاصمتها أورشليم وهى مملكة يهوذا.

واستمرت سلسلة ملوك يهوذا إلى صدقيا الملك. وعندما زادت خطايا الشعب والملوك، وعبدوا آلهة أخرى وأغاظوا الرب، فأرسل عليهم نبوخذنصر الملك فحرق أورشليم بالنار وهدم الهيكل وأخذهم سبايا كلهم وحملهم إلى بابل. واستمر السبى سنين طويلة. ثم حرك روح الرب كورش الملك فأطلق نداءً ببناء أورشليم، وبنوا الهيكل. واستمر الأمر هكذا إلى مجيء السيد المسيح الذى رفضه اليهود وأسلموه إلى الرومان مطالبين بصلبه. وهكذا وصلوا إلى قمة عصيان الرب إلههم حتى أنهم صلبوه ليتخلصوا منه..

وفى سنة ٧٠ ميلادية دخل تيطس القائد الرومانى وهاجم أورشليم مرة أخرى، وأحرق الهيكل وهدم كل جدرانه ولم يبقَ فيه حجر على حجر لم ينقض حسب كلمات السيد المسيح الذى قال لهم: "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" (مت٢٣: ٣٨). وتحقق قول الرب عن هيكل أورشليم: "وهذا البيت الذى كان مرتفعاً كل من يمر به يتعجب ويقول لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟ فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إله آبائهم" (٢أي٧: ٢١، ٢٢).

ونلاحظ أن السيد المسيح حينما تكلم عن خراب الهيكل قال لليهود: "هوذا بيتكم" (مت٢٣: ٣٨) ولم يقل "بيت الرب" لأنه حينما خرب كان قد انتهى دوره كبيت للرب ولم يعد هو هيكل الله، بل **صار هيكل الله هو كنيسة العهد الجديد. أما الهيكل القديم حيث الذبائح الحيوانية فقد صار اسمه هيكل اليهود.**

إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً

عندما كان الملوك يخطئون كان الرب يؤدبهم، لكن مع هذا نرى العجب فى معاملة ربنا، إذ قال كما أقسم أو حلف الرب لداود حقاً ولا

يكذب لأجعلن من ثمرة بطنك على كرسيك. لقد وضع الرب شرطاً فقال: "إن حفظ بنوك عهدى"..

إنما بالرغم من أنهم لم يحفظوا عهده إلى النهاية لكن ظل الرب أميناً. وبالرغم من أن مملكة يهوذا قد انهارت وحُملوا إلى السبى، وصارت مملكة يهوذا مستعمرة تابعة لبلاد أخرى، ولم يكن لهم ملك ولا رئيس، لكن مع هذا افتقد الله وأقام قرن خلاص فى أورشليم، كما تكلم بفم أنبيائه القديسين.

قرن خلاص فى بيت داود

هذا ما قاله زكريا الكاهن فى إنجيل معلمنا لوقا عندما ولد ابنه يوحنا المعمدان فتح فمه وبارك الله بعد أن كان أخرساً إذ امتلأ من الروح القدس وقال: "مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه، وأقام لنا **قرن خلاص فى بيت داود فتاه. كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر**. خلاص من أعدائنا ومن أيدى جميع مبغضينا ليصنع رحمة مع آبائنا **ويذكر عهده المقدس**. القسم الذى حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا إننا بلا خوف منقذين من أيدى أعدائنا نعبده بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا" (لو١: ٦٨-٧٥).

وعندما بشّر الملاك السيدة العذراء بميلاد السيد المسيح قال لها: "ها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى **ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية**" (لو١: ٣١-٣٣).

لنفهم قوة الكلمات إذ يقول:

فبنوهم إلى الأبد يجلسون على كرسيك

كيف يكون إلى الأبد؟ هل هناك مملكة أبدية لبنى البشر؟! **ما معنى بنوهم إلى الأبد يجلسون على كرسيك؟** عندما جاء السيد المسيح من نسل داود وصار ملكاً وقال إن "مملكتى ليست من هذا العالم" (يو١٨: ٣٦)، **فقد صار مُلك المسيح مُلكاً أبدياً. لأنه حى إلى الأبد وقد صعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب.**

وبهذا انتهت مشكلة زيغان الملوك عن شريعة الرب، وأصبح داود الجديد هو الملك المسيا، وهذا ما جعل الشعب يهتف قائلين: "خلّصنا" وهم يستقبلونه فى دخوله إلى أورشليم كملك. قالوا: "**مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب. أوصنا فى الأعالى**" (مر١١: ١٠)، أى خلصنا يا ابن داود. على هذا الأساس نفهم ونحن نعيش معانى هذا المزمور أن **مملكة داود أساساً مثبتة ومؤسسة على مُلك المسيح**، أما

سلسلة الملوك التى تسلسلت من داود وحتى مجيء السيد المسيح فكلها كانت تمهيداً لهذا الملك المبارك.

لأن الرب اختار صهيون ورضيها مسكناً له

كلمة صهيون اسم عبرى معناه "حصن". ومن الناحية الجغرافية هى رابية من الروابى التى تقوم عليها مدينة أورشليم. لكن امتدت التسمية بعد ذلك وشملت أورشليم كلها فصار اسمها صهيون.. وأحياناً تمتد لكى تشمل معنى اليهودية كلها وليس فقط أورشليم.

صهيون هنا بمفهوم أنها الكنيسة ومثالها العذراء العروس التى بلا عيب، ولذلك يقول: "صهيون الأم تقول إن إنساناً وإنساناً صار فيها. وهو العلّى الذى أسسها إلى الأبد" (مز٨٦: ٥) ويقول: "نهر سواقيه تفرح مدينة الله مقدس مساكن العلى. الله فى وسطها فلن تتزعزع" (مز٤٦: ٤، ٥). **فقد اختار الرب الكنيسة وجعلها مسكناً له، كما اختار العذراء مريم ليتجسد منها وسكن فى بطنها تسعة أشهر حتى دعيت العذراء السماء الثانية.**

هذا هو موضع راحتى إلى أبد الأبد
ههنا أسكن لأنى أردته

الإنسان الذى يسكن الروح القدس فى قلبه، هو موضع راحة الله إلى الأبد.

ترى هل ممكن أن يقول الله عن قلوبنا هذه الكلمات: "هذا هو موضع راحتى إلى الأبد. ههنا أسكن لأنى أردته" كتب القديس بولس عن المختارين من الله "الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه.. والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً.." (رو٨: ٢٩، ٣٠)، فهل نحن كمختارين من الله، من الممكن أن يقول الله عنا: ههنا أسكن لأنى أردته.. "اخترتك ولم أرفضك لا تخف لأنى معك" (إش٤١: ٩، ١٠).

لصيدها أبارك بركة. لمساكينها أشبع خبزاً لكهنتها ألبس الخلاص، وأبرارها يبتهجون ابتهاجاً

صيد الكنيسة يباركه الله إذ تكاثر عدد التلاميذ جداً، "وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع٢: ٤٧). ألم يقل الرب لبطرس وأندراوس الرسولان: "هلم ورائى فأجعلكما صيادى الناس" (مت٤: ١٩)، لقد تحول التلاميذ من صيد السمك إلى صيد البشر، وتحقق فيهم قول المزمور "لصيدها أبارك بركة"..

فى ترجمة أخرى يقول: "لطعامها أبارك تبريكاً" هذه كلها وعود الله للكنيسة. البركة التى لا تنتهى، المساكين الذين يشبعون من الخبز؛ أى الخبز الروحى، خبز الحياة الأبدية الذى هو جسد الرب ودمه الأقدسين. الكهنة سيلبسون الخلاص لأنهم سيمارسون كهنوت خدمة أسرار العهد الجديد الخلاصية. والأبرار يبتهجون ابتهاجاً؛ وكيف لا يبتهج الأبرار بعهد النعمة والخلاص والتبرير.

هناك أقيم قرناً لداود، هيأت سراجاً لمسيحى

كما قلنا سابقاً "أقام لنا **قرن خلاص فى بيت داود فتاه**"، **من هو هذا القرن؟ هو السيد المسيح**. لذلك عندما يقول هناك أقيم قرناً لداود، أى هناك يأتى المسيح ويتمم الخلاص على جبل صهيون فوق الجلجثة..

هيأت سراجاً لمسيحى فالمسيح إلهنا هو نور العالم لذلك قال هيأت سراجاً لمسيحى فمجيء السيد المسيح وقرن الخلاص مؤداه؛ لأعدائه ألبس الخزى.

لأعدائه ألبس الخزى

لقد أعطى الرب لداود نصرة، وأعطى لسليمان سلاماً. داود انتصر فى جميع الحروب وأراحه الرب من جميع أعدائه. وكان هذا رمزاً لانتصار

السيد المسيح على الشيطان. منذ أن ابتدأ داود أن يصارع مع جليات الفلسطينى وهزمه وانتصر عليه فيقول: لأعدائه ألبس الخزى.. هيأت سراجاً لمسيحى -مسيحى الذى هو الملك- وعليه يزهر قدسى كقول السيد المسيح فى سفر إشعياء النبى: "روح الرب علىَّ لأنه مسحنى.. لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية. وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لو٤: ١٨، ١٩)

لذلك عندما يقول: "**لأعدائه ألبس الخزى" معناها الانتصار الكامل على الشيطان**. وبعد أن ينتصر داود، يأتى ملك السلام سليمان الذى أزدهر ملكه ولم يدخل فى حروب على الإطلاق، وهذا رمز للسيد المسيح بعد انتصاره على الشيطان وملكه وصعوده إلى السماوات.. كان ينبغى أن المسيح يتألم ويدخل إلى مجده، فأراحه الرب من جميع أعدائه.

وعليه يزهر قدسى. هللويا

أى لكى نرى بر الله الكامل "رأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً" (يو١: ١٤) رأينا مجده أى رأينا مجد الله فى تجسد ابنه الوحيد الجنس.

"الله لم يره أحد قط الإله الوحيد الجنس الذى هو فى حضن الآب هو خبّر" (يو١: ١٨). من يستطيع أن يعلن لنا الله إلا الله، من يستطيع أن

يدخلنا إلى معرفة الله إلا الله، من يستطيع أن يتكلم عن الله مثل الله. ولهذا يقول: "الإله الوحيد الجنس.. هو خبّر" أى هو الذى أعلن لنا الآب بظهوره فى الجسد.. كشف لنا الأسرار المخبأة عن الله فاستطعنا أن نعرف الله من خلال الابن.

حقاً لم يكن ممكناً للإنسان أن يعرف الله، أو أن يرى الله ببره الكامل إلا فى المسيح يسوع. وبهذا استطعنا أن نعرف الله وأن نحبه. ورأينا أنه جدير بأن يحب. رأينا فيه الأبوة ورأينا فيه القداسة الكاملة وكراهية الشر، ورأينا فيه الغفران الكامل والصفح والفداء والتضحية. وعرفنا المحبة الكائنة فى الجوهر الإلهى أن "الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه" (١يو٤: ١٦).

لإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين

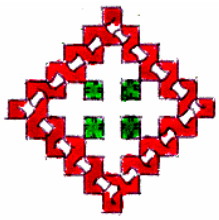

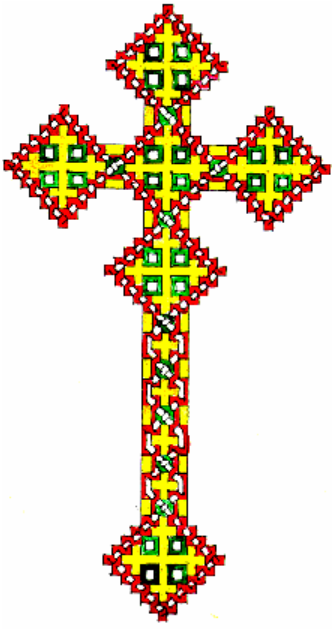

تأملات فى مزمور

أعترف لك يا رب من كل قلبى

من صلاة النوم

المزمور المائة والسابع والثلاثون

أعترف لك يا رب من كل قلبى، لأنك استمعت كل كلمات فمى. أمام الملائكة أرتل لك، وأسجد قدام هيكلك المقدس. وأعترف لاسمك على رحمتك وحقك، لأنك قد عظمت اسمك القدوس على الكل. اليوم الذى أدعوك فيه أجبنى بسرعة. تكثر التطلع على نفسى بقوة. فليعترف لك يا رب كل ملوك الأرض، لأنهم سمعوا سائر كلمات فمك. وليسبحوا فى طرق الرب، لأن مجد الرب عظيم. لأن الرب عال ويعاين المتواضعات، والكائنات يعرفها من بُعد. إن سلكت فى وسط الشدة تحيينى. على رجز الأعداء مددت يدك، وخلصتنى يمينك. الرب يكافئ عنى. يا رب رحمتك دائمة إلى الأبد. أعمال يديك يا رب لا

يصلّى هذا المزمور فى صلاة النوم وفى الخدمة الثالثة من صلوات نصف الليل.. ومزامير داود لها مذاقتها الخاصة كما أن لها خبرات خاصة مع الله. لها لذتها وحلاوتها ونغمتها؛ وكأن فى ثنايا المزمور تدخل قيثارة داود لتعزف نغماته بوضوح بين السطور والكلمات..

أعترف لك يا رب من كل قلبى

داود النبى يشكر الله بكل مشاعره وحواسه، شكراً لا يشوبه تذمر.. "أعترف لك يا رب من كل قلبى" أعترف أنك قد أجزلت الإحسان والتعطف والرحمة، أشكرك على هذا العطف والإحسان، أشكرك يا رب من كل قلبى.. ربما يشكر الإنسان؛ لكن شكره أحياناً يكون مشوباً بالتذمر، أو التردد، أو بعدم الرضا والتطلع إلى ما هو أفضل مما أخذه. لكن كلما شكر الإنسان من كل قلبه؛ هذا الشكر يتقبلّه الله كذبيحة شكر مقبولة، رائحة رضا وسرور.

"**أعترف لك**" بمعنى أشكرك؛ ففى ترجمات أخرى مثل الطبعة البيروتية يقول "أحمدك من كل قلبى". مثلما يقول فى المزمور (١١٧: ١) "اعترفوا للرب فإنه صالح وأن إلى الأبد رحمته"، وتُترجم أيضاً "**اشكروا** الرب فإنه صالح وأن إلى الأبد رحمته". فعبارة "اعترفوا للرب" تعنى أن نعترف له بأفضاله وإحساناته، وهذا يعنى أن نشكره.

من كل قلبى

فكلمة أشكرك يا رب لا تحتاج إلى تفسير، إنما يجب أن نقف عند تلك العبارة: "**من كل قلبى**" أى أن كل حواسى تشكرك يا رب، كل مشاعرى، كل أفكارى، كل عواطفى.. ليس فى قلبى أى نوع من التذمر أو الإحساس بعدم الرضا أو الانشغال بمحبة العالم عن شكر الله.

يمكن أن يشكر الإنسان على شئ ولا يشكر على آخر.. ولكننا نصلى فى صلاة الشكر ونقول: "**نشكرك على كل حال**"، وكما يقول الكتاب "تحب الرب إلهك من كل قلبك.. " (تث٦: ٥)، أيضاً الشكر المقبول أمام الله هو الشكر الذى **من الأعماق، الذى يصدر من أعماق القلب، ومن كل القلب**..

وفى هذا المزمور، على أى شئ يشكر المرتل؟

لأنك استمعت كل كلمات فمى

الاستجابة علامة الحضور الإلهى

ليتنا نختبر هذا الاختبار الروحى فى حياتنا.. عندما نشعر أننا نكلّم الله وهو يسمع ويستجيب.. لأن مَن يحيا مع الله ولم يختبر هذا بعد، فإنه لم يذق حلاوة العشرة مع الله إلى الآن. هذه هى أفراح الروح الحقيقية.. أن يشعر الإنسان عندما يتكلم مع الله أنه يسمع له، وكأنه يُسكِت

أصوات الملايين من الملائكة التى تُسبّحه لكى يسمع له هو، أو كأن الله يتفرغ لكى يسمعه!

أتصور هنا داود وكأنه يرقص أمام تابوت العهد، يتغنى ويترنم حيث إن استماع الله لصلواتنا هو علامة حضور إلهى حقيقى، ها هو يرقص طرباً وفرحاً قائلاً أشكرك يا رب من كل قلبى لأنك استمعت كل كلمات فمى.

كثيراً ما يقول المرتل فى مزامير أخرى "**يا الله إلهى**"، وكأنه يقول لله: فى كلمة إلهى هذه أشعر أنك إلهى أنا، نعم أنت إله الكون، نعم أنت تسمع تسابيح الملائكة وأصوات القديسين، لكن رغم هذا كله فأنت هو إلهى الخاص؛ الذى أعبده من كل قلبى؛ والذى تغمرنى إحساناته يوماً فيوماً..

احذر من أن تحيا مع الله بإحساس أنه الإله المختص بالكون كله فقط، فتتعامل معه كمدير أو رئيس وليس كأبٍ؛ لك معه علاقة بنوة خاصة، تستطيع أن تدخل إلى أحضانه وتشعر بفيض حنانه وأبوته.

دعوته فاستجابنى

الجميل فى هذا المزمور أنك قبل أن تصلى تقول له: "أشكرك

لأنك سمعت صوتى.." لعل هذا يذكّرنا بيونان النبى عندما صلّى للرب الإله فى جوف الحوت شعر أن الله قد استجاب لصلاته قبل أن يرى فقال فى صلاته: "دعوت من ضيقى الرب **فاستجابنى**، صرخت من جوف الهاوية **فسمعت** صوتى" (يون٢: ٢).. أنت يا يونان مازلت فى بطن الحوت، كيف استجاب لك ؟! هذه خبرة روحية داخلية، بالإيمان، قد اختبرها يونان فى علاقته مع الله.

"**لأنك استمعت كل كلمات فمى**" يمكنك وأنت داخل الكنيسة تصلى قبل أن يعطيك الرب ما تطلبه؛ تقول له: أشكرك من كل قلبى لأنك استمعت كل كلمات فمى..كيف سمعك؟!

أنا **أؤمن** أن الله قد سمع صلاتى واستجاب، وأقول مع يونان النبى "دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى، صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى.. ثم أصعدت من الوهدة حياتى أيها الرب إلهى" (يون٢: ٢، ٦).. **كيف أصعدك وأنت لا تزال فى جوف الحوت، فى عمق البحر؟!**. يقول أيضاً: "حين أعيت فىَّ نفسى ذكرتُ الرب **فجاءت إليك صلاتى إلى هيكل قدسك**.. أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك وأوفى بما نذرته. للرب الخلاص" (يون٢: ٧، ٩).. أنا سوف أقدّم

ذبائح فى الهيكل وأوفى نذورى، وقد جاءت صلاتى إلى هيكل قدسك فى أورشليم..كل هذا وهو مازال فى بطن الحوت!!

أكثر مما نطلب أو نفتكر

أنت فى بداية المزمور تقول أشكرك يا رب من كل قلبى، وقبل أن يسمع منك أى كلمة تقول: لأنك استمعت كل كلمات فمى..

أنا يا رب أعرف أن الحساب مدفوع مقدماً، لأنك قادر أن توفى كل شئ، **وأن تعطى أكثر مما نطلب أو نفتكر**.. الله يعطينا أكثر مما نتصور.

عندما خلق الله آدم ووضعه فى الفردوس، لم يكن آدم قد طلب من الله أن يخلقه، ولكن الله فى خيريته وصلاحه أعطى للبشرية نعمة الوجود؛ مثلما نصلى فى القداس الغريغورى ونقول للرب: {من أجل تعطفاتك الجزيلة كوَّنتنى إذ لم أكن}.. ودون أن يطلب آدم، غرس له الرب الإله فردوساً ووضعه فيه. ودون أن يطلب خلق له حواء معيناً نظيره.. وعندما سقط وأخطأ، دبّر الله له الخلاص وأعطاه الوعد بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية وكان هذا وعداً بالخلاص عن طريق المرأة لكى لا يسخط آدم عليها ويرفضها من حياته.. وإذ وجد آدم نفسه عرياناً ملتمساً ورق التين

غطاءً له هو وحواء، صنع الرب لهما أقمصة من جلد وألبسهما.. ولا يسع الوقت إن عدّدنا أعمال الله مع هذا الإنسان الذى خلقه.

وفى ملء الزمان جاء الله بنفسه لكى يصنع فداءً وخلاصاً من أجل الإنسان.. حتى أن الإنسان نفسه لم يقدر أن يدرك أو يصدق كيف يمكن أن تصل محبة الله إلى هذا المستوى. فيقول إشعياء النبى "**من صدَّق** خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب" (إش٥٣: ١).. أى من يصدق أن محبة الله تصل إلى هذا الحد "إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم **أحبَّهم إلى المنتهى**" (يو١٣: ١)..

وبالإضافة إلى كل هذا فقد أعد لنا ملكوتاً أيضاً دون أن نطلب. فربما أقصى ما كنا نستطيع أن نطلبه هو أن يخلصنا من الجحيم ومن الشيطان ومن الهلاك.. أما هو فيقول "تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعَدَّ لكم منذ تأسيس العالم" (مت٢٥: ٣٤) قبل أن أخلق العالم قد أعددت لكم الملكوت.. **فالله أعد للإنسان ليس فقط قبل أن يطلب إنما قبل أن يُخلَق، وقبل أن يسقط**.. وها لدينا مثال عندما تعد الأم لطفلها كل ما يحتاج إليه وهو لا يزال فى بطنها فى فترة الحْمل، كم تكون عناية الله الذى أعد لنا الملكوت منذ أو قبل تأسيس العالم (انظر أيضاً أف١: ٤).. الله يستجيب لنا قبل أن نطلب، وينتظر منا أن نطلب لكى يعطينا أكثر مما نطلب أو نفتكر..

أمام الملائكة أرتل لك

شركة مع الملائكة

قد كان يكفى أن يقول أنا أرتل لك. لكن، **لماذا أمام الملائكة؟**.. الملائكة دائماً تسبّح وترتّل للرب، أما البشر فصامتون.. فعندما يقول له: "أمام الملائكة أرتل لك" كما يقول معلمنا بولس الرسول "لأننا صرنا منظراً للعالم للملائكة والناس" (١كو٤: ٩)، **لكى يزداد الشكر لمجد الله** كما يقول: "كما اختارنا فيه **قبل** تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة.. لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب" (أف١: ٤، ٦).. فكلّما عملنا عملاً حسناً أمام الملائكة يزيد مجد الله، وتفرح الملائكة وتتهلل محدّثة بهذا العمل وممجّدة لله.. كما يقول الكتاب "هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب" (لو١٥: ١٠)، تفرح الملائكة بخلاص الله للبشر وثمرته الحلوة، وتمجّد **محبته الغافرة** التى تقدر أن تحوّل الخطاة (إذا تابوا) إلى قدّيسين.

"**أمام الملائكة أرتل لك**" أى؛ أنا يا رب سوف أفرّح قلبك، حتى لا يكون البشر متخذين موقفاً سلبياً بينما الملائكة ترتل وتسبح.. سوف أرتل لك أمام الملائكة، فتتعجب الملائكة وتفرح هى أيضاً ونُسَر جميعاً ويزداد الشكر لمجد الله.. هذا معنى قول بولس الرسول: "لمدح مجد نعمته

التى أنعم بها علينا فى المحبوب.. **ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السماوات وما على الأرض** فى ذاك الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً" (أف١: ٦، ١٠، ١١).. **يجمع الملائكة والبشر**.

لذلك تعلّمنا الكنيسة وتؤمن يقيناً أن فى كل مرة نصلى قداساً أو عشية تحضر الملائكة الصلوات معنا.. وبالأولى كثيراً جداً أثناء حضور السيد المسيح على المذبح ليس فقط الملائكة والقديسون، إنما ملائكة الحضرة الإلهية؛ الشاروبيم والسارافيم من الملائكة المحيطة بعرش الله نفسه.. مادامت الذبيحة الإلهية حاضرة لابد أن ملائكة العرش الإلهى تكون حاضرة، لذلك يصرخ الشماس ويقول: {أيها الإكليروس وكل الشعب بطلبة وشكر بهدوء وسكوت ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه. **والملائكة ورؤساء الملائكة قيام. السرافيم ذوو الستة أجنحة والشاروبيم الممتلئون أعيناً** يسترون وجوههم..}..

ويصلى الأب الكاهن فى القداس ويقول: {أنت هو القيام حولك **الشاروبيم والسرافيم**، وستة أجنحة للواحد وستة أجنحة للآخر.. يرسلون تسبحة الغلبة والخلاص الذى لنا بصوتٍ ممتلئ مجداً، يسبحون

وينشدون ويصرخون.."..هؤلاء يصرخون واحد قبالة الآخر، فيما يترنمون؟!

يتغنون ويترنمون لله.. وعلى أى شئ يترنمون؟ يقولون له "مستحق أنت.. لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة" (رؤ٥: ٩)، لأنك صنعت الفداء والخلاص العظيم.. أنا أيضاً يا رب سوف أفرِّح قلبك وقلب الملائكة، بل قلب السماء كلها عندما آتى فى حضور الملائكة وأسجد وأرتّل لك أمام هيكلك المقدس؛ كعيِّنة ممن تمتعوا بهذا الفداء العظيم.

الإنسان الذى يحب الصلاة يصير صديقاً للملائكة، والذى يحب التسبيح تأتى الملائكة وتشترك معه فى التسبيح.. إن كانوا هم يرسلون تسبحة الغلبة والخلاص الذى لنا بصوتٍ لا يسكت، فكم يكون حين نرسل نحن تسبحة، فينجذبون إلينا "ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السماوات وما على الأرض فى ذاك. الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً معيَّنين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شئ حسب رأى مشيئته" (أف١: ١٠، ١١).. ولماذا كل هذا؟!.. "لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا فى المسيح" (أف١: ١٢).

أنت جزء من خطة الله العاملة للخلاص

شعور الإنسان باحتياجه إلى التوبة فى حياته هذا مطلوب، وإلى نهاية حياته يشعر أنه محتاج أن يمارس التوبة فى حياته مع الله، وأن بأعماله الحالية ليس له خلاص بل يحتاج إلى مزيد من التوبة ويحتاج إلى مراحم الله. لكن هل يشعر أيضاً من الناحية الأخرى أنه عندما يصلى ويرتل ويسبح مع الملائكة يصير عضواً وجزءًا لا يتجزأ من مملكة الله؟ وأنه يزيد المدح لله بسبب شركته مع الملائكة فى حياة التسبيح؟.. ليتنا نشتاق ونتوق دائماً -ولو بقدرٍ محدودٍ- أن نشعر هذا الشعور أثناء زيارات النعمة.. ليس هذا افتخارًا من الإنسان بنفسه، كلا.. إنما أن يشعر أنه يفرّح قلب الله ويفرّح الملائكة، وهذا لا يأتى إلا من خلال شركة روحية وعبادة حارة وقلبٍ نقى.

وأسجد قدام هيكلك المقدس

أنتم هيكل الله

نحن نعرف أن الكنيسة هى بيت الملائكة، كما نصلى، فى الألحان الكنسية، فى أرباع الناقوس ونقول: {السلام للكنيسة بيت الملائكة}.. فعندما نأتى لنسجد قدام الهيكل المقدّس تكون الملائكة موجودة وتملأ المكان خاصةً أثناء حضور الذبيحة الإلهية فى القداس.. لكن قال السيد

المسيح أيضاً: "الله روح؛ والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا" (يو٤: ٢٤)، وقال بولس الرسول: "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣: ١٦).. فنحن بطاعتنا لله الساكن فينا، وبطاعتنا للسيد المسيح نقدّم السجود.. لكن؛

ما معنى السجود ؟

السجود يعنى الخضوع.. وما معنى الخضوع؟! **أى تسليم الإرادة لله**. فعندما تُسلّم إرادتك لقيادة الروح القدس، فإن هذا نوعٌ من السجود فى هيكل الرب "هيكل الله مقدس الذى أنتم هو" (١كو٣: ١٧).. **فشعورك بحضور الله داخلك باستمرار، ومشاعر الخشوع والورع والعبادة الحارة القلبية المستمرة، أو الصلاة الدائمة التى نمارسها فى داخل القلب هى أيضاً سجود فى هيكل الله المقدس** الذى هو أيضاً جماعة القديسين الممتلئين بالروح..

عندما تقول: "**أمام الملائكة أرتل لك**" **فهذا هو الشعور بحضور الملائكة معك**.. نسمع عن قديسين كانوا يرتلون وهم سائرون فى الطريق، فكانت الملائكة تقترب إليهم؛ لكى يشتركوا معهم فى الترتيل.. وفى قصص الآباء القديسين نقرأ عن درجة أعلى من هذه؛ أن أحد الآباء السواح كان يرتل فى طريقه، فجاءت الملائكة لتشترك معه، فلم يلتفت

إليهم حتى لا ينشغل بهم عن تسبيحه وعبادته لله!! (السوّاح هم رهبان قديسون عاشوا فى البرية بعيداً عن الناس).

وأعترف لاسمك على رحمتك وحقك

وقد ذكرنا سابقاً أن كلمة "أعترف" تعنى "أشكر". "**أعترف لاسمك**" أى "**أشكر اسمك**"...لكن على ماذا أشكر يا رب؟

أشكر اسمك على رحمتك وحقك؛ أشكرك على **رحمتك** التى تعاملنى بها بالرغم من ضعفاتى وخطاياى، وأشكرك على **حقك** الذى يشملنى وينجينى..

وما هو الحق؟ الحق هو العدل كما يقول المرتل "**العدل والحق قاعدة كرسيه**" (مز٩٧: ٢)، "هو الصخر الكامل صنيعه، إن جميع سبله عدل. إله أمانة **لا جور فيه**. صديق وعادل هو" (تث٣٢: ٤)، الله صفاته لا تتجزأ، لا تتعارض الرحمة مع الحق بل يقول المزمور "الرحمة والحق تلاقيا.." (مز٨٤: ١٠).. **الله رحيم فى عدله، وعادل فى رحمته**، فنحن نشكره على رحمته وعدله فى آنٍ واحد.

عدله يحميك

ربما يخاف أحد من عدل الله، إنما حقيقةً إن عدل الله هو الذى ينجّينا وينقذنا.. فعندما تحاربنا الشياطين وتضطهدنا، لا يسكت الله عن خلاصنا لأنه عادل فلا يترك مضطهدينا، فلأنه عادل يأتى ويصنع خلاصاً عظيماً، وإلاّ كانت حياتنا كلها قد فنيت من اضطهاد الشياطين لنا.. هو يأتى ليخلصنا من حروبهم حيث يعرف أننا ترابٌ نحن؛ ضعفاء مساكين، ومحتاجين إلى معونته.

عجيب أن يخاف الإنسان من عدل الله، **بينما هذا العدل هو الذى يحميه!** عدل الله هو الذى يجعله لا ينسى أى عمل خير قد عمله الإنسان، كما يقول الرسول: "لأن الله **ليس بظالم** حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التى أظهرتموها نحو اسمه إذ قد خدمتم القديسين وتخدمونهم" (عب٦: ١٠).. لذلك يقول المصلى أشكرك يا رب لأنك عادل حيث ترى كيف أعمل كل ما أستطيع من أجل محبتى لك، وأنت لا تنسى.. بل يقول المزمور عن هذا أيضاً "يذكر جميع ذبائحك، ويستسمن محرقاتك" (مز١٩: ٣)، هذا يعطينى اطمئناناً أن الله لا يمكن أن يتخلى عنى سواء فى وقت ضعف أو وقت ضيق..

عندما يقول المرتل: "أعترف لاسمك على رحمتك وحقك" يقصد؛ **لست أشكرك على رحمتك فقط، إنما على رحمتك وعدلك** كليهما معاً، فصفات الله لا تتجزأ. نحن نميّز صفات الله؛ فنقول الله رحيم، محب، عادل، بسيط، طويل الأناة، أزلى.. صفات كثيرة ننسبها إليه، لكن فيما نقول كل هذه الصفات ينبغى أن لا نُجزِّئها أو نفصلها عن الصفات الأخرى؛ إذ أن هذه الصفات هى كمالات الله تتكامل مع بعضها البعض. فعندما يقول الرحمة والحق يقولها ليظهر أن رحمة الله لا تتعارض مع عدله؛ **رحمته عادلة وعدله رحيم**.

لأنك قد عظمت اسمك القدُّوس على الكل

اسم الخلاص

أنا يا رب أشكر اسمك.. وما هو اسمك هذا؟.. داود النبى هنا ينطق بالروح وكأنه يقول: "اسمه يسوع **لأنه يُخلِّص** شعبه من خطاياهم" (مت١: ٢١). كلمة "يسوع" وهى "يهوشع" باللغة العبرية أى "**يهوه خلّص**" بمعنى "**الله خلّص**"، فعندما قال الملاك ليوسف: "اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" وكأنه يفسّر له معنى اسم يسوع. وهذا ما تغنى به إشعياء النبى فقال "هوذا الله **خلاصى** فأطمئن ولا أرتعب لأن **ياه يهوه** قوتى وترنيمتى وقد صار لى **خلاصاً**" (إش١٢: ٢)، هذا يعنى أن

يهوه نفسه قد صار خلاصاً، وبذلك ماذا يكون اسمه؟.. **مخلّص**.. اسمه أيضاً يهوه وهو اسم الله الخصوصى الذى أعلن الله به نفسه لموسى النبى فى العهد القديم.

"لأنك قد عظّمت اسمك القدُّوس على الكل" ترتعب الشياطين من هذا الاسم القدُّوس، بينما يفرح الأبرار ويبتهجون ويتهللون أمامك بالسرور، فاسمك عظيم فوق الكل؛ يرتعب منه الأشرار ويبتهج به الصديقون. ولهذا قال معلمنا بطرس الرسول لليهود عن اسم يسوع المسيح الناصرى: "**لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطىَ بين الناس به ينبغى أن نَخلُص**" (أع٤: ١٢).

اليوم الذى أدعوك فيه أجبنى بسرعة

فى أول المزمور كان يتكلم عن الاستجابة التى آمن بها المصلّى "أشكرك لأنك استمعت كل كلمات فمى" ثم يعود ليقول له: "اليوم الذى أدعوك فيه أجبنى بسرعة"، أو فى يوم دعوتك أجبنى.. بمعنى أنه **يطلب الاستجابة لصلواته بعد أن أعلن إيمانه بهذه الاستجابة**. ولكن الإيمان لا يمنع الطلب لأن السيد المسيح قال: "اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يُفتح لكم" (مت٧: ٧). الإيمان لا يعنى أن نتوقف عن الكفاح، أو أن نتوقف عن الطلب، أو أن نتوقف عن الجهاد.. نحن نؤمن

ونعمل بقوة هذا الإيمان.. نحن نؤمن ونطلب معونة الله فى جهادنا.. نحن نؤمن ولكننا نفهم أن "الإيمان بدون أعمال ميت" (يع٢: ٢٠).

تُكثر التطلُّع على نفسى بقوة

وهنا نسأل.. لماذا نحن نصلى؟.. نصلى لكى يعطينا الرب قوة. عندما تكون فى ضيقة، بدلاً من أن تطلب من الله أن يرفع الضيقة عنك، **الأفضل أن تطلب منه أن يعطيك بركة هذه الضيقة وهذه التجربة بحضوره معك وتطلّعه على حالك..**

فكما قال قداسة البابا شنودة الثالث -أطال الرب حياة قداسته- {الضيقة تكون ضيقة عندما يضيق قلبنا عن الإتساع لها، فإن اتسع قلبك لقبولها لن تظل ضيقة بعد}.. عليك إذن أن تأخذ بركة الضيقة. كما قال القديس الأنبا بولا أول السواح: {الذى يهرب من الضيقة يهرب من الله}. وحينما قال الرب فى المزمور: "ادعنى فى يوم الضيق أنقذك فتمجدنى" (مز٥٠: ١٥) ليس معنى أنقذك هو أن أرفع أسباب الضيق..كلا؛ إنما **أنقذك أى أعطيك القوة على احتمال الضيق لكى تأخذ بركته،** وهنا تختبر شركة الآلام مع المسيح، وتلتقى مع الله فى وسط الضيقات. فالضيقة هى فرصة للالتقاء مع الله.

ولكن من الجانب الآخر يقول الرسول: "الله أمين الذى لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا" (١كو١٠: ١٣). فالإنسان المؤمن ترافقه العناية الإلهية وتمنحه الاحتمال.. ولكنها تتدخل فى الوقت المناسب، لكى لا تكون التجربة فوق احتماله.

"اليوم الذى أدعوك فيه أجبنى بسرعة. تُكثر التطلع على نفسى بقوة" سرعة الاستجابة الإلهية أمر حقيقى، ولكن الإنسان عليه أن يدرك ذلك ويقول "اللهم التفت إلى معونتى. يا رب أسرع وأعنى" (مز٦٩: ١). الاستجابة تأتى بسرعة ولكن الإنسان هو الذى لا يدرك ذلك أو لا يطلب ذلك.

فى يوم دعوتك أجبتنى كثيراً، شجعتنى بقوة فى نفسى.. أنت يا رب فى حضورك الإلهى، والتطلع على نفسى بحضورك شخصياً فى حياتى يمنحنى قوة عظيمة.. أنت تنظر إلىَّ وتتطلّع من سمائك فيشرق نور وجهك فى حياتى لتبعث فىَّ قوة وشدة، فلا يصير بعد ضيقٌ.

فليعترف لك يا رب كل ملوك الأرض
لأنهم سمعوا سائر كلمات فمك

أى ليشكرك كل ملوك الأرض.. وهنا انتقل المرتل ليخرج من دائرة الكلام عن نفسه ليتكلم عن ملوك الأرض.. داود النبى كان ملكاً، فمن هم أولئك الملوك الذين يتكلم عنهم؟!

يقول فى مزمورٍ آخر: "أما الملك فيفرح بالله" (مز٦٢: ١١)، **فكل إنسان يجلس الله على عرش قلبه هو ملك**. ويقول الحكيم: "مالك روحه خير ممن يأخذ مدينة" (أم١٦: ٣٢).. لذلك عندما يقول: "**أما الملك فيفرح بالله" يقصد الإنسان الذى يملك على حواسه وعلى أهوائه**، كما قال بولس الرسول: "أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً" (١كو٩: ٢٧)..

هنا يقول المصلى لله: يا رب كل الناس، كل الأبرار الذين يسلكون ضابطين حواسهم؛ هؤلاء يشكرونك إذ سمعوا كلمات فمك، وأبصروا أعمالك العظيمة "يرى ذلك الودعاء فيفرحون" (مز٦٩: ٣٢) أو "يرى ذلك المستقيمون فيفرحون" (مز١٠٧: ٤٢). فمن كان قلبه مستقيماً أمام الله؛ إذا سمع كلام الله يشكره ويقول: ما أحلى كلامك أيها الرب الإله. وإذا رأى أعمال الله يشكره على عظيم إحساناته..

وليسبّحوا فى طرق الرب لأن مجد الرب عظيم

الإنسان الذى يسير فى طريق الرب يشعر بمجد الله، ومن يسير فى طريق العالم وفى طريق الشيطان ليس لكرامة الله قيمة فى عينيه.

كما قال الرب فى القديم: "حتى متى يهينني هذا الشعب؟" (عد١٤: ١١).. أما الذين يسبحون ويرنّمون فى طرق الرب هؤلاء يعرفون أن **مجد الرب عظيم**.

عندما تدخل الكنيسة فى وسط جماعة الأبرار الذين يصلّون، يتخشع قلبك وتشعر بحضور إلهى، كما تشعر أن **مجد الرب عظيم**.. هنا ينتقل المرتل من العبادة الشخصية إلى العبادة الجماعية؛ فبعدما قال أشكرك من كل قلبى، يعود ليقول يحمدك يا رب كل ملوك الأرض.. فعندما أدخل وسط جماعة أبرار وقديسين يصلون فى الكنيسة أشعر أنى فى وسط ملوك (بالمعنى الرمزى) "جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه.." (رؤ١: ٦)، وأشعر أن مجد الرب يملأ المكان.

لأن الرب عالٍ ويعاين المتواضعات والكائنات يعرفها من بُعد

وهذا يعنى أن الله يرى كل شئ من بعيد أى من السماء.. أى رغم أن الله عالٍ جداً لكنه يعاين المتواضعين، فالله يرى جميع الكائنات. فى الطبعة البيروتية يقول: "الرب عالٍ ويرى المتواضع **أما المتكبر فيعرفه من بعيد**" أى أن الله يعطى شركة مقدسة للمتواضعين أما المتكبرين فيرى أعمالهم لكن ليس لهم شركة معه؛ يراهم من بعيد فقط، الرب عالٍ

يسكن فى المقادس العلوية لكنه مع المتواضع يبيت، يسكن فى القلب المتضع "لأن الذبيحة لله روح منسحق" (مز٥٠: ١٧).. ونصلى فى القداس الإلهى ونقول: {الساكن فى الأعالى والناظر إلى المتواضعات الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها}.

إن سلكت فى وسط الشدة تحيينى
على رجز الأعداء مددت يدك وخلصتنى يمينك، الرب يكافئ عنى

أى إن سلكت فى وسط الضيق تحيينى، كما ذكرنا سابقاً، المرتل لا يطلب أن يخرج من الضيقة إنما أن يعطيه الرب قوة وحياة فى داخل الضيقة.

"**الرجز**" هو العنف أو الغضب.. وهنا يقول المرتل: على غضب أعدائك مددت يدك وخلّصتنى يمينك.. عندما يسير الإنسان فى طريق حياته مع الله تثور عليه الشياطين، وتقوم ضده وتحاربه بقوة، لذلك يقول يا رب أنا وسط غضب الأعداء هؤلاء **أشعر أن يمينك تمتد لكى تخلصنى من مخالبهم**.. إننا عندما نصلى بالمزامير تثور الشياطين وتشن علينا التجارب والضيقات، ولكن المزمور يطمئننا، فيصير ذلك المزمور الذى

يهيجهم؛ هو نفسه اطمئناناً عندما نتذكر فيه أن الله يمد يده، ويمد يمينه ويحامى عنا ضد هؤلاء الشياطين، وتكون الغلبة فى النهاية للرب ولجنوده ولقديسيه.

"**الرب يكافئ عنى**" أو يحامى عنى. لذلك قال قداسة البابا: {احفظوا المزامير، تحفظكم المزامير}.

يا رب رحمتك دائمة إلى الأبد
أعمال يديك يا رب لا تتركها. هللويا

عن أعمال يديك لا تتخلَ.. ليس من المعقول أن يخلق الله خليقته، ثم يتركها.. فلماذا خلقها بعد؟! هل يمكن لإنسان أن ينشئ مصنعاً ولا يديره أو يستخدمه؟ وهل يمكن لإنسان أن ينجب أولادًا ويلقيهم على الطريق؟

الله بعدما أنهى عمل الخلق فى ستة أيام استراح من عمله الذى عمله **خالقاً**. ولكن كما يقول قداسة البابا {إن الله قد انتهى من عمله كخالق، وبدأ عمله كحافظ للعالم ومعتنى به}.. لا تظنوا أن الله يكف عن العمل، فهو الذى قال "أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو٥: ١٧).. فقد انتهى عمل الله كخالق وبدأ عمله كراعٍ معتنٍ بالعالم لأنه هو

"حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب١: ٣) هو الحافظ لهذا الوجود.. إن لم يوجد هذا الحفظ فى العالم ما استطاع أن يدوم لحظة واحدة.

لا تنسى كل حسناته

الله فى البدء عمل عملاً جبارًا فى إعداد الخليقة فى الستة أحقاب الأولى، وكل حقبة استغرقت الملايين من السنين إلى أن خلق الله الإنسان. لكن بعد ما انتهى من جميع أعماله بدأ يعتنى بالعالم، ونقول عنه أنه المدبر ضابط الكل صانع الخيرات.. لذلك عندما سقط الإنسان، لم يتركه الله ولكنه تنازل من أجل خلاصنا.. وكان الله فى عمله كمخلّص أوضح حُباً من عمله كخالق.

حينما أعطى الله للإنسان طبيعة جديدة مقدسة فإنه عمل عملاً أعظم مما صنعه حينما "كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة.. وقال الله ليكن نور فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن" (تك١: ٢-٤). إن عمل الله فى إعادة خلق الإنسان من جديد كان أروع بكثير، لهذا حينما يرف الروح القدس على مياه المعمودية يقول الله أيضاً ليكن نور فيشرق نور من ظلمة فى قلوبنا وحياتنا.

"يا رب رحمتك دائمة إلى الأبد، أعمال يديك يا رب لا تتركها"، "أنت أنت وسِنوكَ لن تفنى" (عب١: ١٢)، "ليس عنده تغيير ولا ظل دوران"

(يع١: ١٧) لأن عدم أمانتنا لا يبطل أمانة الله، يبقى الله الكامل فى صنيعه لا جور فيه ولا ظلم، لا يهدأ أبداً عن خلاصنا، فهو يشتاق إلى خلاص أنفسنا أكثر مما نشتاق نحن، يعتنى بنا أكثر مما نعتنى نحن بأنفسنا، ولهذا نتذكر إحساناته دائماً ونقول مع المرتل "باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته.. الذى **يفدى** من الحفرة حياتك الذى يكللك بالرحمة والرأفة. الذى يشبع بالخير عمرك" (مز١٠٣: ٢-٥).

يجب أن يحيا الإنسان مع الله وهو يشعر أن عناية إلهية تلاحقه وتحيط به، وإن تركه الله لحروب الشياطين لسحقوه وأفنوه سريعاً، لكن الرب يحارب عنا.

لذلك نتضرع دائماً للرب الخالق أن لا يتركنا وأن يحفظنا

ونذكّره بأننا عمل يديه ونقول

"أعمال يديك يا رب لا تتركها"

هللويا (هللوا ليهوه)

لإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين

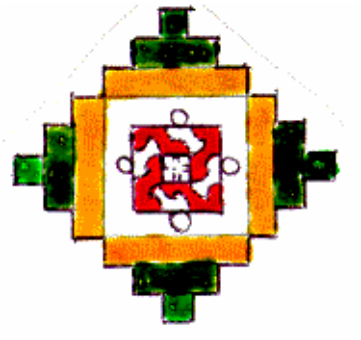

الكتاب : تأملات فى مختارات من مزامير الأجبية

الجزء : الأول

المؤلف : الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة للراهبات ببرارى بلقاس

الناشر : مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى ودير القديسة دميانة

الجمع بالكومبيوتر: راهبات دير القديسة دميانة بالبرارى

تصميم الغلاف : راهبات دير القديسة دميانة بالبرارى

الطبعة : الأولى يناير ٢٠٠٧

المطبعة : بريما جرافيك للطباعة والتوريدات – ٦٣٧٣١٣٠

رقم الإيداع بدار الكتب :

رقم الإيداع الدولى :

يطلب من دير القديسة دميانة بالبرارى، تليفونات رقم:

٢٨٨٠٢١٨(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٣٤(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٠٧(٠٥٠)،

٢٨٨٠٧٦٣(٠٥٠)، ٢٨٨٠٦٧٩(٠٥٠)، ٢٨٨١١٤١(٠٥٠)،

٢٣٢٠٠٢٠(٠١٢)

فاكس : ٢٨٨٠٠٠٨(٠٥٠) مع تسجيل رسائل.

بريد إلكترونى email: demiana@tecmina.com

يطلب أيضاً من :

مقر الدير بالقاهرة ت: ٦٨٤٧٠١٤(٠٢)، ٦٨٤٢٤٠٠(٠٢)

ومقر الدير بالاسكندرية ت: ٥٥٦٩٣٨٩(٠٣)

! مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ودير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

تأملات فى مختارات من مزامير الأجبية
الجزء الأول

بقلم
الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

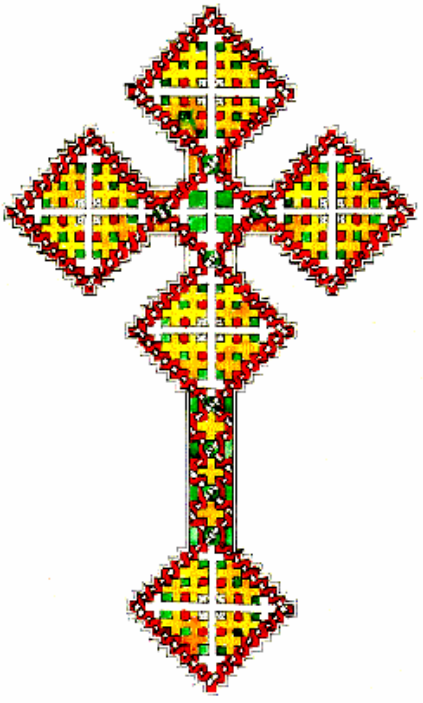

تأملات فى القطعة الحادية عشر
من المزمور الكبير

تاقت نفسى إلى خلاصك

القطعة (١١) من مزمور ١١٨ فى الخدمة الأولى من صلاة نصف الليل

تاقت نفسى إلى خلاصك، وعلى كلامك توكلت. كلّت عيناى من انتظار أقوالك قائلتين: متى تعزينى؟ صرت مثل زِقٍّ فى جليد، ولحقوقك لم أنسَ. كم هى أيام عبدك؟ متى تُجرى لى حُكماً على الذين يضطهدونى؟ تكلّم معى مخالفو الناموس بكلام هذيان، لكن ليس كناموسك يا رب، لأن كل وصاياك هى حق وبظلم قد طردونى، فأعنِّى. كادوا يفنوننى على الأرض. وأما أنا فلم

تاقت نفسى إلى خلاصك وعلى كلامك توكلت

بدون معونة الله يضيع كل تعب الإنسان باطلاً..

من يرشد الإنسان فى مسيرة حياته لتأتى أعماله مطابقة لمشيئه الله؟ إن الكلمة الإلهية فى الكتب المقدسة لاشك أنها تنير طريق الإنسان، ولكن توجد كثير من الأمور تحتاج إلى فهم سام وإرشاد علوى إلى جوار الكلمة المكتوبة.. والله قد وعد بأنه لا يتركنا يتامى، بل يمنحنا الروح القدس لتعزيتنا وإرشادنا حتى نتمم خلاصنا.

على هذه الوعود والكلمات يتكل الإنسان منتظراً خلاص الله ومعونته الدائمة. ولهذا نصلى كل حين صارخين متضرعين نهارًا وليلاً لكى لا يتركنا الرب فى بحر هذا العالم نتوه أو نغرق بعيداً عن خلاصه.

كلت عيناى من انتظار أقوالك
قائلتين متى تعزينى؟

بالسهر والدموع انتظر داود تحقيق مواعيد الله تلك التى دعاها (أقوالك).. وفى لهفة وشوق ملتهب ينتظر الإنسان تعزيات الروح القدس الذى يمنحه الطمأنينة والسلام. ويسأل قائلاً: متى تعزينى؟..

"أعلمك وأرشدك الطريق التى تسلكها أنصحك عينى عليك" (مز٣٢: ٨). "متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق" (يو١٦: ١٣).

صرت مثل زق فى جليد، ولحقوقك لم أنسَ

بعيداً عن تعزياتك يا رب أصير مثل زق(٤) فى وسط جليد قد تجمد ما فيه.. هكذا تتجمد مشاعرى الحلوة ومذاقة العشرة معك، ولا يعود فى الإمكان أن أرتشف من خمر محبتك.. وأنا لا أحتمل هذه البرودة فى علاقتى معك بل أريد أن تشعل محبتك قلبى وحياتى مطهرة إياى من كل أدناس العالم. كما أريد أن أزرف الدموع الحارة بين يديك. فبالرغم من هذه البرودة التى اكتنفتنى، إلا أنى لم أنسَ حقوقك ووصاياك بل يملأنى الشوق إلى الدخول إلى عمق الوصية وإلى كمال تنفيذها لتكون محبتى لك كاملة.

كم هى أيام عبدك؟

٤) الزق هو القِربة. وهى إناء من الجلد لحفظ السوائل كالماء والخمر والزيت.

إنه فى لهفة ليطمئن على أمر خلاصه وأبديته قبل أن ينتهى العمر وتتوارى الأيام الباقية فى حياته. وهو أيضاً يريد أن يتمتع بمذاقة العشرة الحلوة مع الله قبل أن يرحل من هذا العالم الحاضر استعدادًا للأبدية لأن الأبدية هى الامتداد الطبيعى لحياة الإنسان على الأرض سواء أكان ذلك فى حياة البر أو فى حياة الشر والضياع.

متى تجرى لى حكماً على الذين يضطهدوننى؟

ها الأيام تعبر من حياتى، ونهاية عمرى تقترب. فمتى تمنحنى نصرة على الشياطين الذين يضطهدون نفسى ليهلكوها ؟!.. أنت يا رب قد جردت الشياطين ظافراً بهم فى الصليب "إذ جرد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهارًا ظافراً بهم فيه" (كو٢: ١٥) ومنحت النصرة والحياة لجنسنا.. فمتى يتحقق ذلك فى حياتى الشخصية بصورة حاسمة وقوية، حتى يخزى الذين يضطهدوننى ويصيروا تحت حكم الدينونة العادلة التى لك يا رب؟

تكلَّم معى مخالفو الناموس بكلام هذيان، لكن ليس كناموسك يا رب لأن كل وصاياك هى حق

الشياطين يحاولون إقناعى بأمور ملتوية وكأنها مطابقة لمشيئتك. ولكن كلامهم يبدو كالهذيان وينزع من النفس سلامها واستقرارها. لأنه ليس كناموسك ووصاياك التى تملأ القلب فرحاً وسلاماً. والحق الكائن فى وصاياك هو جدير بأن نسمعه ونحيا بمقتضاه ولكنى يا رب محتاج إلى معونتك لكى أستطيع أن أكتشف حيلهم ومكيدتهم، ولكى أميز بين إرادتك المقدسة وهذيانهم المريع.

وبظلم قد طردونى؛ فأعنى

لقد طردت من أمام وجهك لسبب تركى لوصاياك. ولكنى قد ظلمت منهم لأن إدراكى محدود، لذا **ألتمس منك المعونة** لكى أعود أنظر مجدك وأحيا فى كنفك بعيداً عن تأثيرهم وهذيانهم، لقد حوربت ظلماً لأننى لم أشتهِ لهم ضرراً أو هلاكًا ولم أسع لسقوطهم بل هم هلكوا بإرادتهم وظلمونى برغبتهم فى هلاكى.

كادوا يفنوننى على الأرض
وأما أنا فلم أترك وصاياك

ما هو هدف الشياطين إلا إفناء علاقتنا مع الله لكى نذهب مثلهم إلى الفناء الروحى الذى انحدروا إليه بانفصالهم عن مصدر الحب والحياة؟!!.. والشيطان فى هذا يستخدم كل حيلة، ويضغط بكل ثقله. أنا يا رب لا أحتمل هذه الضغوط الشيطانية التى أوشكت أن تفنينى، ولكنى أصرخ إليك لتخلصنى من سطوتهم. أنا أعرف أن وصاياك هى مصدر حياتى ولا يمكننى أن أتركها. هى شهوة قلبى وهدفى الوحيد.. فأنت رجائى يا رب فلا تتخل عنى..

حسب رحمتك أحينى، فأحفظ شهادات فمك

أنت يا رب رحمتك وشفقتك لا تحتمل أن ترى فنائى بعينيك دون أن تتدخل لمعونتى. أنت هو مصدر الحياة.. فبدد من حياتى كل عوامل الظلمة والموت، وابعث فىّ قوتك الإلهية يا من وعدت قائلاً: "اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا اقرعوا يفتح لكم" (مت٧: ٧)، أنت يا رب كأب لن تعطى حية أو ثعباناً إذا سألتك سمكة أقتات بها لأعيش..

ها حياتى كلها بين يديك: إرادتى وإمكانياتى وقلبى

فاملأها من نعمتك وأنر طريقى لحفظ وصاياك

وحقوقك وشهادات فمك

ليتمجد اسمك القدوس فى كل حين

فليهبنا الرب أن نصلى المزامير بفهم وعمق وعاطفة

ونذكِّره بمواعيده الصادقة

ولإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين

الفهرس

اسم الموضوع **الصفحة**

مقدمة **٧**

مقدمة عن صلاة المزامير **٩**

تأملات فى مختارات من مزامير الأجبية:

مزمور "إلى متى يا رب تنسانى" **٢٧**

مزمور "إليك يا رب رفعت نفسى" **٤٢**

مزمور "يا رب اسمع صلاتى" **٧٦**

مزمور "من الأعماق" **٩٣**

مزمور "يا رب لم يرتفع قلبى" **١٣٥**

مزمور "اذكر يا رب داود وكل دِعته" **١٥٩**

مزمور "هوذا ما أحسن وما أحلى" **١٨٧**

مزمور "ها باركوا الرب" **٢١٣**

مزمور "على أنهار بابل هناك جلسنا" **٢٣٥**

مزمور "أعترف لك يا رب من كل قلبى" **٢٦٩**

القطعة (١١) من المزمور الكبير (تاقت نفسى إلى خلاصك)

٢٩٥

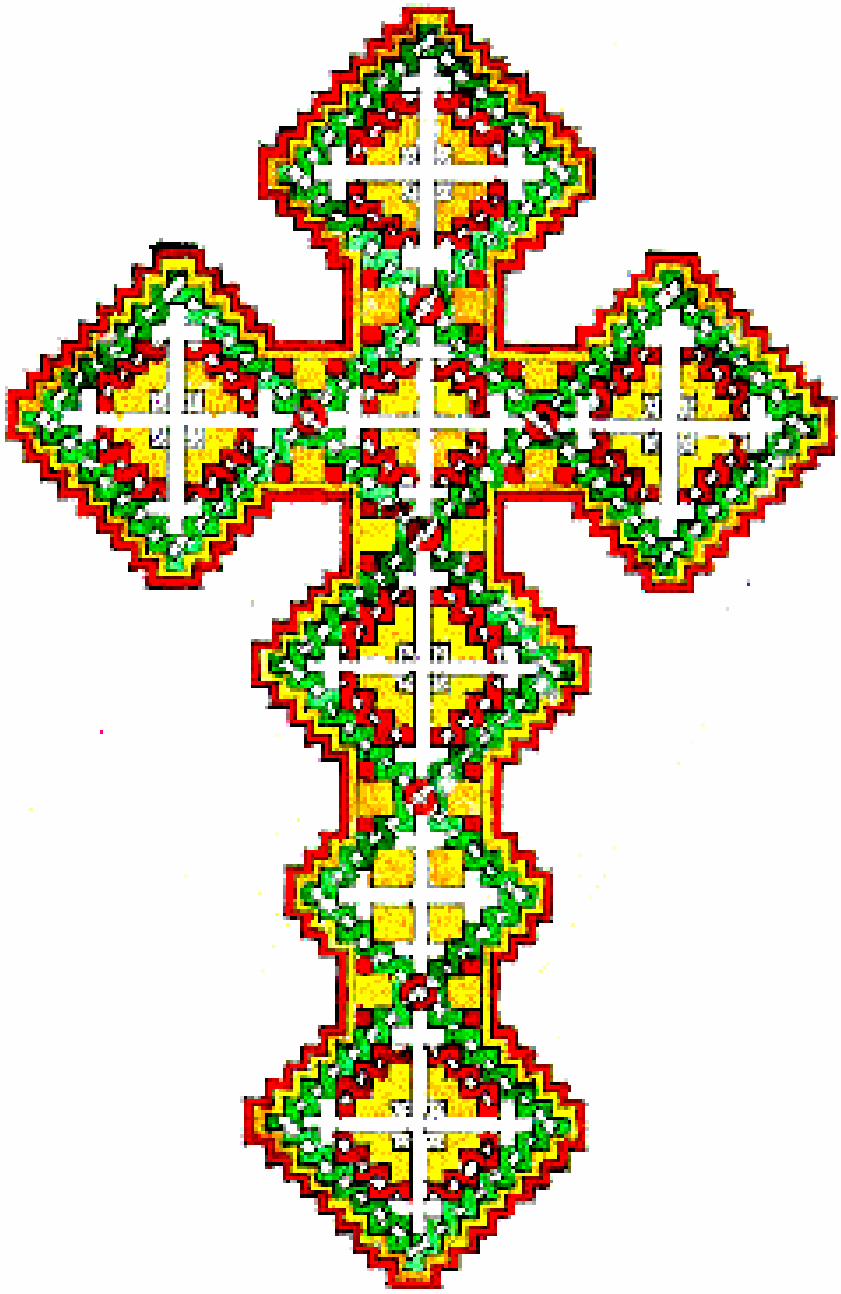

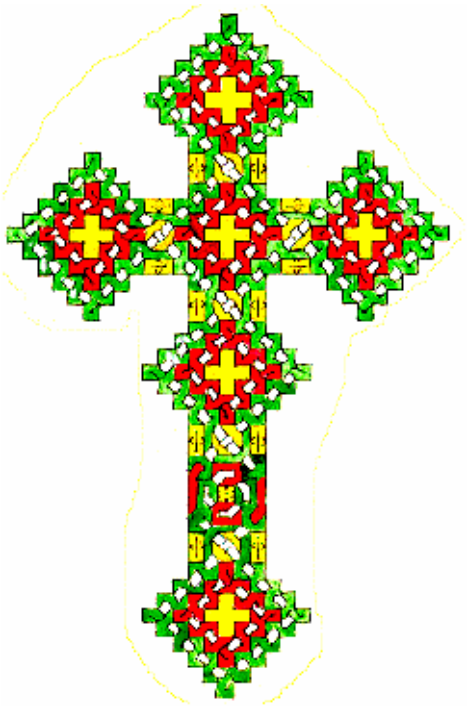

تأملات فى مزمور

إلى متى يا رب تنسانى

المزمور الثانى عشر

إلى متى يا رب تنسانى إلى الانقضاء

حتى متى تصرف وجهك عنى

إلى متى أردد هذه المشورات فى نفسى

وهذه الأوجاع فى قلبى كل يوم

إلى متى يرتفع عَدُوِّى علىَّ

انظر واستجب لى يا ربى وإلهى

انر عينى لئلا أنام نوم الموت

لئلا يقول عدُوِّى إنى قد قويت عليه

الذين يحزنوننى يتهللون إن أنا زللتُ

أما أنا فعلى رحمتك توكلت

يبتهج قلبى بخلاصك، أسبح الرب المحسن إلىّ

وضعت الكنيسة هذا المزمور فى كثير من الصلوات.. نصلّيه فى صلاة باكر، وصلاة الستار، والخدمة الأولى من صلاة نصف الليل. فهو من المزامير التى تتكرر كثيراً..

ولأن الله يعرف كيف أن الإنسان يمكن أن يسقط مرات كثيرة فى مشاعر اليأس وعدم الرجاء؛ أعطاه هذه الكلمات المطمئنة فى صورة صلاة..

إلى متى يا رب تنسانى إلى الانقضاء

تكررت مرات الضعف ومرات الفتور، وتكررت المحاربات، وبدأ اليأس يتسلل إلى روح الإنسان فصرخ إلى الله قائلاً: **إلى متى يا رب تنسانى إلى الانقضاء** أو إلى متى تنسانى كل النسيان.. وكأن الرب قد نسيه!!

العجيب أن الله نفسه هو الذى أعطانا هذه الكلمات، إذ أن كل الكلمات قد كُتبت بقيادة الروح القدس. لكن حتى الكلمات التى تعتبر عتاباً لربنا، هو نفسه الذى يعطيها لنا لكى نعاتبه بها! والأعجب أنه حتى الكلمات التى تعتبر وكأنها إيقاظ لله؛ إذا توهمنا أنه يغفل عنا أو قد نسينا.. فحتى هذه الكلمات، الله نفسه يعطينا إياها لكى يطمئن قلبنا، ولأنه يريد أن يدخل الإنسان معه فى حوار إنما فى حدود الأدب الروحى.. لا مانع أن يكون هناك حوار على مستوى العتاب أو الأنين

أو الصراخ، أو حتى الإيقاظ، كما أيقظوه إذ كان نائماً فى السفينة قائلين: أما تبالى "أما يهمك أننا نهلك؟" (مر٤: ٣٨) لم يقولوها بلهجة التذمر أو الانتهار إنما يقولونها بلهجة العتاب أو الصراخ أو الاستنجاد.

إلى متى يا رب تنسانى إلى الانقضاء.. أنا أشعر أن معونتك قد تخلّت عنى، وهذا ما أعتبره نوعاً من النسيان، أشعر أن نعمتك لم تعد تؤازرنى وتسندنى.. أحس أننى قد أصبحت وحيداً فى المعركة، وحينما شعرت أننى وحيدٌ عرفت مرارة السقوط، وعرفت حقيقة ضعفى.

حتى متى تصرف وجهك عنى

عندما يكون وجه الله متطلعاً إلينا فهذا يعنى أحد أمرين؛ إما أن عينيه تحرسنا أى أن عنايته تؤازرنا.. أو من الجانب الآخر وجه الله يعزينا حينما نبصر مجده أو حينما نشعر بوجوده.. الإحساس بوجود الله يعطى الإنسان المخافة، كما يعطيه أيضاً استقامة قلب.. فمن عمل النعمة مساندة الإنسان، وأيضاً إحساس الإنسان برؤيته لله، فكلا الأمرين يمثلان جانبين لحقيقة واحدة وهى أن وجه الله يسير أمامنا.

وعندما غضب الرب على شعب إسرائيل تضرع إليه موسى النبى قائلاً: "إن لم يَسِر وجهك فلا تُصعدنا من ههنا" (خر٣٣: ١٥)، عندما

يغضب الرب من أحد يشعر هذا الإنسان وكأن الله قد أدار وجهه، إذ أنه لا يريد أن ينظر الشر.. لا يريد أن ينظر إلى الخطية.

حتى متى تصرف وجهك عنى.. فأنا يا رب حينما تنسانى أسقط، وحينما أسقط أشعر أنك لا تريد أن تنظر إلىّ بسبب خطيتى.. فإلى متى أشعر أن وجهك ينصرف عنى بسبب خطاياى.

إلى متى أردد هذه المشورات فى نفسى وهذه الأوجاع فى قلبى كل يوم

إلى متى أجعل هموماً فى نفسى، وأوجاعاً فى قلبى كل يوم.. "إلى متى أردد هذه المشورات فى نفسى". والمشورات تعنى الهموم، فإلى متى أجعل هموماً فى نفسى.. حينما يضعف الإنسان، وحين يسقط، وحين يخطئ إلى الله يشعر بهموم تدهم قلبه وتغمر حياته وتقلقه.

الإحساس بالسلام هو ثمرة المصالحة مع الله، فعندما يشعر الإنسان أنه لا يوجد مصالحة بينه وبين الله يفقد سلامه. وعندما يفقد سلامه تبدأ الهموم والأوجاع والأحزان فيقول: "لما سكتُّ بليت عظامى من زفيرى اليوم كله. لأن يدك ثقلت علىَّ نهاراً وليلاً" (مز٣٢: ٣، ٤).

حينما يخطئ الإنسان ويسكت بلا اعتراف بخطيته، يشعر أنه قد دخل فى خصومة مع الله ويزداد التعب فى داخله. فعندما يسكت أى يكتم

خطيته أو يشعر بهذه الخصومة يقول: "لما سكتُّ بليت عظامى من زفيرى اليوم كله. لأن يدك ثقلت علىَّ نهاراً وليلاً.. أعترف لك بخطيتى ولا أكتم إثمى. قلت أعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيتى" (مز٣٢: ٣-٥).

"**إلى متى أردد هذه المشورات فى نفسى**".. هذه الهموم والأحزان فى قلبى كل يوم؛ حزن الهزيمة، حزن الخزى والعار، لأن الخطية تعرّى الإنسان وتفقده كرامته كصورة لله، بل أحياناً كثيرة تفقده إنسانيته، فيحتقر نفسه.

إلى متى يرتفع عدوى علىَّ

الإنسان الضعيف أمام الخطية يشعر أن الشيطان أعلى منه، أو أن الشيطان يطأه بقدميه.. وكأن الشيطان له السلطان والجبروت! إلى متى يا رب يذلّنى الشيطان بهذه الصورة؟ إلى متى يرتفع علىَّ ويدوسنى بقدميه؟ هنا نلاحظ دائماً فى هذا المزمور ومثله الكثير من مزامير داود النبى، أنها تبدأ بروح الحزن والبكاء والأنين والصراخ، وتنتهى بروح الرجاء والفرح.. هذه هى قصة الإنسان منذ خلقه الله، ومن بعد سقوطه.. بدأت بالسقوط وانتهت بالخلاص والفداء.. هذا يجعلنا نعرف قوة الآية التى تقول: "لا تشمتى بى يا عدوتى إذا سقطت أقوم. إذا جلست فى الظلمة فالرب نورٌ لى" (مى٧ :٨).

وبعد أن عرض حالته اليائسة وضعفه وسقوطه يعود ليقول:

انظر واستجب لى يا ربى وإلهى

الصورة القاتمة للسقوط والضعف تساندها صورة مشرقة لثبات أبوة الله وثبات معونته الإلهية.. ذخيرة ورصيد لا ينتهى.

أنا أعرف يا رب أنك وإن نسيتنى قليلاً، فلابد أن تأتى وتتراءف أيضاً.. كما يقول: "لحيظة تركتك، وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة، وبإحسان أبدى أرحمك قال وليك الرب" (إش٥٤: ٧، ٨).

أنر عينى لئلا أنام نوم الموت

أنا يا رب إن اظلمت عينى عن رؤية بهاء مجدك، سوف أسلك فى الظلمة، وسوف تنام نفسى عن الجهاد، وتتوقف عن رؤية إشراقة النعمة الإلهية ومعرفة مقاصدك السامية..كما يقول المرتل: "روحك القدوس لا تنزعه منى" (مز٥٠: ١١).

ليست المشكلة فى أن يضعف الإنسان فى بعض المواقف أو يسقط فى بعض الخطايا، إنما المشكلة أن يصل إلى حالة لا يشعر فى داخله بالتبكيت على الخطية، أو يستسلم لها. أو الأسوأ من ذلك أن يحب الخطية ويسعى وراءها.. هذا ما كان يخشاه داود النبى فقال: "روحك

القدوس لا تنزعه منى" (مز٥٠: ١١). لأنه يا رب إن أنت نزعت روحك القدوس كما فعلت مع شاول أصير فى حالة الرفض كما يقول الكتاب: "أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق" (رو١: ٢٨).

يوجد من يشعر بكراهية الخطية، ويحارب ويجاهد ضد الخطية، وإذا سقط يسرع ليقوم. وآخر يبرد ضميره حتى يشرب الإثم كالماء، هذا مثل من قال عنهم السيد المسيح: "ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين" (مت٢٤: ١٢).

أنر عينى لئلا أنام نوم الموت.. نوم الموت، نوم الغفلة.. فالنفس التى تدخل فى نوم الموت هى التى تكون الظلمة قد طغت عليها فتصير النفس مظلمة، مقفرة خالية من كل صلاح، هذا ما كان داود النبى يخشى أن يصل إليه، فيصرخ لله قائلاً: **انظر واستجب لى يا ربى وإلهى**، أريد يا رب أن روحك القدوس يظل يعمل فى داخلى لكى لا تدخل محبة الخطية إلى حياتى.

لئلا يقول عدوى إنى قد قويت عليه

العدو يحارب وليس فى مقاصده أن يسقط الإنسان فى الخطية فقط، فليس السقوط فى الخطية هو المشكلة، خاصة بعد أن صنع السيد المسيح الفداء والخلاص، فيمكن للإنسان أن يقوم بعد سقوطه فى

الخطية.. ليس هدف الشيطان أن يسقط الإنسان فى الخطية، لأنه ماذا يفيد الشيطان من سقوط الإنسان؟! إنما هدف الشيطان هو أن يقوى على هذه النفس حتى تستسلم له وتتعبد له كإله، أو لكى تنفصل عن الله نهائياً إذا سقطت فى اليأس وقطع الرجاء.. هذا هو الهدف النهائى الذى يريد أن يصل إليه. أما إسقاط الإنسان فى الخطية مرة أو مرتين أو أكثر فهذه مجرد وسائل يستخدمها ليصل إلى الهدف الأساسى الذى يريده.. لذلك يقول المرتل أنر عينى لئلا أنام نوم الموت.. لئلا يقول عدوى إنى قد قويت عليه.

ماذا تعنى كلمة "**قويت عليه**" إلا أنه أصبح تحت سلطانى الكامل.. **أخاف يا رب من طول مدة الضعف والسقوط أن يقوى علىّ العدو..**

الذين يحزنوننى يتهللون إن أنا زللت

إنه يفرح كلما زللت وكلما سقطت، لأن هذا يقرب من النهاية التى ينتظرها..كل مرة ينتصر فيها على أحد الأبرار يفرح بمذلته، لأنها خطوة تمهّد لهلاك الإنسان.. لنسمع ما قاله داود النبى فى مرثاة لشاول الملك: "كيف سقط الجبابرة؟ لا تخبروا فى جت. لا تبشّروا فى أسواق أشقلون، لئلا تفرح بنات الفلسطينيين لئلا تشمت بنات الغلف" (٢صم١: ١٩، ٢٠).

بنات الفلسطينيين هؤلاء رمز لمملكة إبليس. فى جت وفى أسواق أشقلون كانوا يعبدون آلهة الفلسطينيين مثل داجون، فإن هزموا جبابرة إسرائيل كانوا يقدّمون الذبائح للإله الوثنى، ويعتبرون أن إلههم هو الذى انتصر على يهوه إله إسرائيل.. فداود يبكى فى حزنٍ قائلاً: لا تخبروا فى جت. لا تبشّروا فى أسواق أشقلون، لئلا تفرح بنات الفلسطينيين، لئلا تشمت بنات الغلف.

داود يقول: الذين يحزنوننى يتهللون؛ يهتفون ويفرحون، ويقدمون التهانى والمديح لإلههم بعلزبول من أجل سقوطى.. **لذلك لا تنسانى يا رب إلى الانقضاء لئلا يفرح هؤلاء الذين يعيّروننى، والذين يعيّرونك أنت أيضاً**.

أما أنا فعلى رحمتك توكلت

أنا أعرف أن لى رصيداً كبيراً جداً من الرحمة فى قلبك الكبير المحب.. لا أقول لى رصيد من الدالة أو رصيد من المقدار أو القيمة، لكن الرصيد الذى عليه اتكل هو **رصيد رحمتك**.

مساكين هؤلاء الخمسينيون المصابون بضربة الكبرياء. فيعتبرون أنفسهم أبراراً وقديسين، ويقولون: يجب أن تطالب بنصيبك فى ربنا، طالب بنصيبك كقديس!!!

أما داود النبى الذى يعلّمنا فى مدرسة الحياة الروحية فيقول "**أما أنا فعلى رحمتك توكّلت**".. ليس لى أى نصيب عندك إلا نصيبى من الرحمة فقط.. وهذا النصيب لا آخذه إلا لكونى فقيراً محتاجاً، أنا اتكّل على هذه الرحمة.

يبتهج قلبى بخلاصك

الجميل فى هذا المزمور أنه **ينقل الإنسان من مشاعر الضياع والإحساس بالتيه والضعف، إلى مشاعر الفرح بالخلاص والتنعم بمراحم الرب**.. يأتى الإنسان وهو حامل كل هموم الخطية وأحزانها، ويقول له: "**إلى متى أردد هذه الهموم فى قلبى كل يوم**".. ويخرج من المزمور ليقول: "**يبتهج قلبى بخلاصك**".

أسبح الرب المحسن إلىَّ

أنا أعرف أن الرب لا يرُّد سائلاً، أنا دخلت إليه أخذت وخرجت ممتلئاً ومحمَّلاً بالخيرات.. إله محسن، طبيعته الإحسان والكرم فى معاملته مع كل الطالبين إليه.

وأرتل لاسم الرب العالى

هذا الإله العالى فى صفاته، السامى جداً فى كمالاته، هو فى علوه: عالٍ بمحبته واتساع قلبه واحتماله.. فنظرتنا كمسيحيين لله فى علوه؛ إنه **علو القداسة والسمو، علو درجات الحب والقدرة على احتمال ضعفات الآخرين.. إنه منفرد فى قداسته**.. فإذا بحثنا فى كل الخليقة وكل الكائنات لن نجد فيها من يستطيع أن يصنع الفداء أو الخلاص، لا يوجد إلا الله القادر على كل شئ وحده.

أراد إبليس أن يصير إلهاً، لكنه يُهلِك من يتبعونه.. أما الله فجاء لكى تكون لنا حياة ولكى يكون لنا أفضل (انظر يو١٠: ١٠)، فمن منهما أحق بالألوهية؟!

قال إبليس إن الله يريد أن ينتزع الألوهية لنفسه، وإنه يحب التسلط والسيطرة، وأثار إبليس ثورة ضد الله قائلاً: "أرفع كرسى فوق كواكب الله.. أصير مثل العلى" (إش١٤: ١٣، ١٤).

لكن الله الذى لا يحب السيطرة أو السلطة أثبت ذلك لكل الخليقة عندما أخلى نفسه وأخفى مجده، واحتمل العار والهوان من أجل محبته لأولاده وخليقته.. من أجل ذلك يقول المرتل: "سبحوا الرب.. أن الرب ملك على خشبة" (مز٩٥: ١، ١٠).. كما قال هو نفسه: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىَّ الجميع" (يو١٢: ٣٢).. معنى هذا أن الله قد انتزع الرئاسة عن طريق الحب عندما ملك على قلوب الجميع.

أرتل لاسم الرب العالى.. فهو العالى الذى لا يدانيه أحد فى درجة محبته، لأن درجة محبته عالية جداً.. هذا هو علو الله، ليس معنى عالٍ أنه متسلط أو مسيطر ومتجبّر.. كلا، **الرب عالٍ لأنه منفرد فى قداسته؛ لا يدانيه أحد فى القداسة، فى البساطة الكاملة، فى النقاوة الكاملة، فى الشفافية الكاملة، فى الإنارة والحب الكامل.. فى هذه الكمالات غير المتناهية.. هذا ما تعنيه الكلمة أن الرب عالٍ.**

ولكن الله فى علوه هذا، لا يفصله هذا العلو عنا. فهو ينبوع متدفق من النعم والخيرات.. **كيف ذلك؟**

كلما كان خزّان المياه عالياً، تنحدر منه المياه بقوة. لكن إذا كان مستواه منخفضاً، لا يمكن للمياه أن تصعد إلى الأدوار العليا.. فعلو الله يعطى قوة متدفقة لا تنقطع من الحب ومن النعمة، لذلك يقول: "أسبح الرب المحسن إلىَّ".. هذا الرب العالى الذى خلاصه لا يتوقف ولا ينضب، ومحبته أقوى من الموت.

فى هذا المزمور ندخل إلى الصلاة ونحن نشعر بخطايانا، وحينما نردده نشعر أن الله لن ينسانا. وأنه مهما طالت حربنا ضد الخطية، فإن الرب

سوف يصنع خلاصاً عظيماً كما يقول: "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين: الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية" (مز١١: ٥).

هذا المزمور يعطينا رجاء أن نستمر فى الجهاد ولو إلى سنوات طويلة، ولا نيأس من الجهاد بل لننسَ ما وراء ونمتد إلى ما هو قدام ولإلهنا المجد دائماً أبدياً آمين

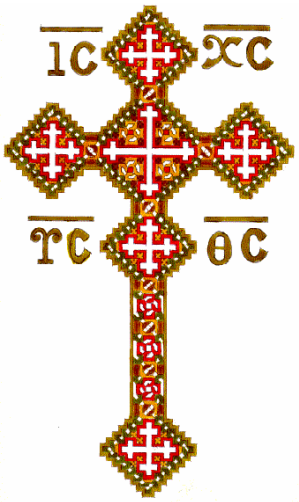

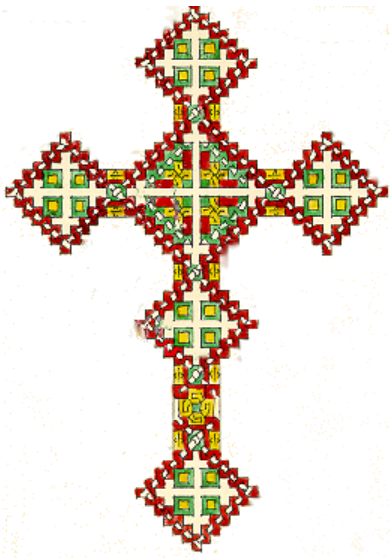

تأملات فى مزمور

إليك يا رب رفعت نفسى

المزمور الرابع والعشرون

إليك يا رب رفعت نفسى، إلهى عليك توكلت، فلا تخزنى إلى الأبد ولا تشمت بى أعدائى. لأن جميع الذين ينتظرونك لا يخزون. ليخزَ الذين يصنعون الإثم باطلاً. اظهر لى يا رب طرقك وعلمنى سبلك. أهدنى إلى عدلك وعلمنى لأنك أنت هو الله مخلصى. وإيّاك انتظرت النهار كله. اذكر يا رب رأفتك ومراحمك لأنها ثابتة منذ الأزل. خطايا شبابى وجهالاتى لا تذكر. كرحمتك اذكرنى أنت من أجل صلاحك يا رب، لأن الرب صالح ومستقيم. لذلك يرشد الذين يخطئون فى الطريق، يهدى الوداعاء فى الحكم، يعلم الوداعاء طرقه. جميع طرق الرب رحمة وحق لحافظى

من أجل اسمك يا رب اغفر لى خطيتى لأنها كثيرة. من هو الإنسان الخائف الرب، يرشده فى الطريق التى ارتضاها، نفسه فى الخيرات تثبت، ونسله يرث الأرض. الرب عز لخائفيه، واسم الرب لأتقيائه ولهم يعلن عهده. عيناى تنظران إلى الرب فى كل حين لأنه يجتذب من الفخ رجلى. انظر إلىّ وارحمنى لأنى ابن وحيد وفقير أنا. أحزان قلبى قد كثرت. أخرجنى من شدائدى، انظر إلى تواضعى وتعبى، واغفر لى جميع خطاياى. انظر إلى أعدائى فإنهم قد كثروا وأبغضونى ظلماً. احفظ نفسى ونجنى. لا أُخزى لأنى عليك توكلت. الذين لا شر فيهم والمستقيمون لصقوا بى لأنى انتظرتك يا رب. يا الله انقذ إسرائيل من جميع شدائده. هللويا

نجد فى المزامير تعزية جزيلة لأنها كُتبت بوحى الروح القدس. وحينما يجد الإنسان فيها تعبيراً عن حالته الروحية يشعر أن الله يدرى باحتياجاته، ويعرف طبيعته وتكوينه. كما يدرك أن الله يهيئ له سبل الخلاص والتبرير والحياة الأبدية.

وهذا المزمور وهو من المزامير الجميلة فى صلاة باكر من صلوات الكنيسة- يعبّر عن حالة إنسان يشعر أنه وحيد وفقير، إنسان يشعر أن أعداءه قد كثروا وأبغضوه ظلماً. كما يعبّر عن إنسان قد كثرت أحزان قلبه، وكثرت شدائده، وقد تعب كثيراً من هذه الأمور. وأيضاً يشعر أن خطاياه هى سبب أحزانه هذه فيقول: "من أجل اسمك يا رب اغفر لى خطيئتى لأنها كثيرة" (آية رقم١١) ولكنه يشعر بالرجاء، وأن الله لن يتركه بل يعمل معه من أجل بنيان حياته، ومن أجل غفران خطاياه، فيجعل اتكاله على الله ويقول: "لا أخزى لأنى **عليك توكلت**"، كما يقول فى بداية المزمور: "إليك يا رب رفعت نفسى يا إلهى **عليك توكلت** فلا تخزنى إلى الأبد، ولا تشمت بى أعدائى. لأن جميع الذين ينتظرونك لا يخزوْن".

هذا المزمور هو نوع من صلوات الاتكال على الله وإلقاء النفس بين يديه، أو إلقاء الحمل عليه.. فرغم أنه يعرض حالة من البؤس والشقاء ولكنه مملوء بمشاعر الرجاء فى الاتكال على الله، ومع هذا الاتكال عليه انتظار ومثابرة وجهاد روحى فى الصلاة المتواصلة والسهر الروحى.

فيه أيضاً يقول المرتل: "جميع طرق الرب رحمة وحق لحافظى عهده وشهاداته"، فيه ثقة كبيرة فى الرب مبنية على الالتزام بحفظ وصاياه وشهاداته، فيه تمجيد عظيم لاسم الرب وعمله، وهذا يظهر فى الإيمان بالرب وبخلاصه (رحمته وحقه) الذى هو أعظم تمجيد يقدّمه الإنسان له. والإنسان لكى ينال التبرير، فهو لا يناله عن استحقاقٍ فيه شخصياً؛ أى باتكاله على بره الذاتى، ولكن بسبب إيمانه بخلاص الله. فالخلاص لا يستطيع أحد أن يصنعه "أما الذى يعمل فلا تُحسَب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين" (رو٤: ٤). فمهما عمل الإنسان من أعمال البر الذاتى مثل أعمال الناموس بدون الإيمان بخلاص المسيح؛ سيظل مديوناً أمام الله. **إنما إذا وثق فى محبة الله وآمن بخلاص ابنه الوحيد؛ فهو بهذا يقدم لله التمجيد كله**، إذ لا يستطيع أى إنسان أن يفتخر أمامه..

ليس معنى هذا أن الإنسان سوف يخلص بدون أعمال صالحة لأن "الإيمان بدون أعمال ميت" (يع٢: ٢٠). لكن الدخول إلى حياة التبرير، وإلى حياة النعمة لا يكون إلا عن طريق الإيمان بيسوع المسيح؛ وهو أهم شئ يحيا فيه الإنسان. وبعدما يؤمن بالمسيح ويولد فى المعمودية ويُمسح بالروح القدس؛ ينال القوة التى بها يستطيع أن يعمل المعجزات، وأن

يعمل من الفضائل ما يفوق إمكانيات البشر كثمار للروح القدس، لا يخلص بدونها الإنسان المجاهد فى المسيح.

يؤكّد المرتل فى هذا المزمور أن **الله صالح ومستقيم** وأن "**جميع طرق الرب رحمة وحق لحافظى عهده وشهاداته**"، وأن **الإنسان الخائف الرب "نفسه فى الخيرات تثبت**"، وأن "**الرب عزٌ لخائفيه**"، وأن "**اسم الرب لأتقيائه**".. هذا كله إعلان عن عطايا الرب لخائفيه، فكما يعلن المرنّم عن ضعفه؛ يظهر أيضاً إمكانيات عمل الله معه، إحساساً منه بهذا الفرق الشاسع بين ضعف الإنسان وقوة الله، بين سمو مكانة الله وانحطاط قدر الإنسان إذا قيس بقدر الله العظيم.. فمن منطلق هذا الإحساس يقول: إليك يا رب رفعت نفسى.

إليك يا رب رفعت نفسى

كما قال فى موضعٍ آخر "من الأعماق صرخت إليك يا رب" (مز١٢٩: ١).. أنا يا رب أشعر بالاحتياج الشديد، فأرفع إليك نفسى لكى تحدر من السماء نعمتك الإلهية، فتملأ هذه النفس قوة وصلاحاً، كما تملأها من مخافتك.

الصلاة هى رفع العقل والقلب إلى الله، فالذى يصلى هذا المزمور ويقول: إليك يا رب رفعت نفسى؛ إن كان يفكر فى أمورٍ عالمية، فمعنى ذلك أنه

يكذب على الله ويخدع نفسه، إنما إن قال: إليك يا رب رفعت نفسى؛ فقوله هذا هو انطلاق من حالة الارتباط بالعالم إلى حالة التحليق فى سماء المجد وسماء الروح..

وفى بداية القداس الإلهى (الأنافورا) ينذر الأب الكاهن الشمامسة والشعب قائلاً: [ارفعوا قلوبكم]، فيرد الجميع قائلين: [هى عند الرب]. فما أجمل أن نرفع قلوبنا ونفوسنا فى الصلاة.

إلهى عليك توكلت فلا تخزنى إلى الأبد

أنا أعرف يا رب أننى مراراً كثيرة فشلت، واختبارات فشلى أوصلتنى أنى لا أتكل إلا عليك أنت وحدك. فشلى يسبب لى خزى ومرارة، وقد صرت عاراً، لذلك أطلب وأقول: **لا تخزنى إلى الأبد**؛ لا تجعلنى فى حالة الخزى هذه إلى الانقضاء، فتكرار فشلى يجعلنى أخجل فى نفسى، كما فى وسط جماعة القديسين لا أستطيع أن أظهر. فإن قارنت نفسى بأولئك الذين أحبوك؛ الذين يخافون اسمك، أشعر بالخزى ويغطينى الخجل. ليس هذا فقط إنما حتى الأعداء قد شمتوا بى، وصرت هزءاً فى أعينهم..

لذلك أطلب وأقول:

لا تشمت بى أعدائى
لأن جميع الذين ينتظرونك لا يخزون

هنا يرسم المرتل الطريق فى الحياة الروحية مع الله. فالإنسان الذى ييأس من خلاصه لن يكون له نصيب فى الخيرات المعدّة للأبرار، لكن الإنسان الذى ينتظر الرب، وينتظره فى إلحاح وتضرع وانسحاق ولجاجة، هذا الإنسان لن يخزى إلى الأبد. كما يقول الكتاب: "أما منتظرو الرب فيجدِّدون قوة، يرفعون أجنحة كالنسور، يركضون ولا يتعبون، يمشون ولا يعيون" (إش٤٠: ٣١).

ليخزَ الذين يصنعون الإثم باطلاً

هناك فرق بين من يحب الله، ويحاول أن يصل إلى عمق الحياة معه، وإن كان من ضعفه أحياناً يفشل، وبين آخر يصنع الإثم باطلاً، إذ صار الإثم صنعته المحبوبة، سواء كان هذا من أجناد إبليس، أو كان إنساناً مخدوعاً من الشياطين.

أولئك الذين يشربون الإثم كالماء، الذين يحبّون الخطية من عمق قلوبهم، هؤلاء لهم خزى وعار.

لكى ينتصر الإنسان على الخطية، يحتاج أن يكشف له الله بشاعة الخطية، كما يكشف له عن روعة حياة البر والقداسة؛ وينبغى أن يقبل

هو هذا الكشف الربانى. بل الإنسان نفسه يأتى عليه الوقت الذى فيه يكره الخطية من كل قلبه، ويشتاق إلى البر. بينما فى وقت آخر إن تخلت عنه النعمة الإلهية لسبب كبرياء قلبه؛ تتغير نظرته لأهمية حياة القداسة..

من أجل ذلك يقول المرتل:

اظهر لى يا رب طرقك وعلمنى سبلك

أهم شئ فى حياة الإنسان الروحية أن يطلب من الله دائماً أن يجعل بصيرته الروحية فى حالة شفافية.. فى حالة استنارة.. فى حالة نقاوة، لكى يستطيع أن يتمسك بحياة البر. ربما يسقط الإنسان فى خطيّة الإدانة أو فى خطيّة محبة الكرامة والمديح وحب الذات والتعالى على الآخرين، فيجد أن النعمة الإلهية قد تخلّت عنه لكى يشعر أن محبته لحياة القداسة والبر بدأت تضعف، فيدرك الخطر الذى هو مشرف عليه. لذلك يجب أن يطلب باستمرار ويقول: اظهر لى يا رب طرقك وعلّمنى سبلك.

والرب قد وعد وقال: "أُعلّمك وأُرشِدُك الطريق التى تسلكها. أنصحك؛ عينى عليك" (مز٣٢: ٨). الله يعلّمنا سبله ويظهر لنا طرقه فى كل الاتجاهات وفى كل المجالات الروحية، إنما **أهم طريق يظهره الله للإنسان هو أن يحب حياة البر والقداسة، ويكره حياة الخطية**. فإن أحب البر

يكون مولوداً من الله "إن عَلِمتُم أنه بار هو؛ فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه" (١يو٢: ٢٩)، أما بقية الطريق فيتولى الرب أيضاً كشفه للإنسان.

اهدنى إلى عدلك وعلمنى
لأنك أنت هو الله مخلصى

ماذا يعنى المرتل بهذه العبارة؟ ربما كثيراً ما يخاف الإنسان من عدل الله، فكيف يقول اهدنى إلى عدلك؟! لكن فى الحقيقة أنه من الأمور التى تطمئن الإنسان جداً فى حياته الروحية أن الله عادل، إذ أنه فى عدله هذا يعرف الظروف التى يمر بها الإنسان. وفى عدله يعرف ضعف الطبيعة البشرية. فعدل الله بالنسبة لأولاده يطمئنهم، أما بالنسبة للأشرار فيخيفهم ويرعبهم. **عدل الله لأولاده يعطيهم اطمئناناً أنه سوف يدافع عنهم ضد حروب الشيطان.**

أحياناً تُترجَم كلمة "عدلك" بمعنى "بِرَّك" وهى باليونانية "ذيكيئوسينى dikaiosu,nh " فما معناها؟ عندما يقول إن وصاياك عادلة أى **بارة وصالحة**.. وعندما يقول: اهدنى إلى عدلك وعلّمنى؛ تكون بمعنى **اهدنى إلى صلاحك أو اهدنى إلى برّك** وعلّمنى لكى أسلك فى هذا البر وهذا الصلاح.

الإنسان العادل البار هو الذى يعرف أن الخطية خاطئة جداً؛ خاصة حينما يتأمل فى آلام السيد المسيح البار من أجل الأثمة. فالذى يقارن بين لذة الخطية الوقتية وسعادة الأبدية، فمن العدل بالنسبة لنفسه ألا يحرمها من السعادة الأبدية فى سبيل اللذة الوقتية. بينما من يضيع سعادته الأبدية من أجل لذة وقتية يكون إنساناً ظالماً للسيد المسيح وظالماً لنفسه، إذ أنه يسعدها وقتياً سعادة مؤقّتة زائلة، لكى يشقيها بما لا يقاس. لذلك يقول المرتل: اهدنى إلى عدلك وعلّمنى لأنك أنت هو الله مخلصى.

لا تظنوا أنه فى إمكان الإنسان أن يعمل أى شئ بدون معونة الله. فكما قلنا سابقاً أنه يمكن إذا تخلّت النعمة الإلهية عن الإنسان البار فى وقتٍ من الأوقات؛ فإنه يجد نفسه لا يساوى شيئاً إنما يكون "كالهباء الذى تذريه الريح عن وجه الأرض" (مز١: ٤)، فيعود إلى الله ويقول له: إليك يا رب رفعت نفسى... إلخ

وإيّاك انتظرت النهار كله

ماذا يقصد بالنهار هذا؟ نجد أنه فى مَثل الفعلة وأصحاب الساعة الحادية عشر؛ قال السيد المسيح إنه "وجد آخرين قياماً بطَّالِين. فقال لهم: لماذا وقفتم ههنا **كل النهار** بطَّالين. قالوا له: لأنه لم يستأجرنا أحد" (مت٢٠: ٦، ٧) ونحن نصلى فى صلاة الغروب ونقول "احسبنى

مع أصحاب الساعة الحادية عشر.. لأنى أفنيت عمرى فى اللذات والشهوات وقد مضى منى النهار وفات". **النهار كله يرمز إلى عمر الإنسان أو حياة الإنسان**، لذلك قال الرب: "سيروا مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام" (يو١٢: ٣٥)، "ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى مادام **نهار**" (يو٩: ٤).

ففى قوله: وإياك انتظرت النهار كله؛ أى إياك انتظرت العمر كله. أنا يا رب أنتظرك النهار كله مع أولئك الفعلة الذين لم يستأجرهم أحد؛ مع أصحاب الساعة الحادية عشر، سواء مازلت فى أول النهار أو فى منتصفه أو فى آخره؛ سوف أنتظرك.

لعل هذا يفيد المصلى فى صلاة باكر، أن يتذكر أنه فى هذا النهار ينبغى أن يعمل للرب، هذا وقت يُعمل فيه للرب. يصلى ويقول: أريد يا رب أن تعطينى نعمتك قبل أن ينقضى نهار حياتى.

إياك انتظرت النهار كله؛ هذه السنين القليلة التى هى سنى غربة الإنسان التى لا يعرف متى تكون نهايتها، فيقف أمام الله منتظراً مراحمه الإلهية، قارعاً أبواب تعطفه قائلاً: إياك انتظرت النهار كله، يقول له: **ليكن نورك مشرقاً فى نهار حياتى {ما تخدنيش يا رب فى ساعة غفلة}** صلوة جميلة علّمها لنا **قداسة البابا شنودة الثالث** –أطال الرب حياته..

إذا راجع الإنسان نفسه؛ يجد أنه فى أوقات كثيرة إن كان الله قد أخذه فيها؛ فماذا كان مصيره؟!.. كان من الممكن أن يضيع إذ كان فيها غافلاً عن خلاص نفسه وكانت مخافة الله ليست كائنة بكمال فى قلبه.. فالإنسان فى الصلاة يطلب بلجاجة من الرب أن يعطيه يقظة دائمة، ولا يأخذه حيث تشرد النفس فى وادى الظلام.

اذكر يا رب رأفتك ومراحمك لأنها ثابتة منذ الأزل

يقول قداسة البابا شنودة الثالث –أطال الرب حياة قداسته– {أنا لى علاقة مع الله قد بدأت منذ الأزل وستستمر إلى الأبد؛ بدأت منذ الأزل **حين كنت فى عقله فكرةً وفى قلبه مسرةً، وستستمر إلى الأبد بنعمته**}.

أنت يا رب خلقتنا لك لكى نمجدك ونمجد صلاحك، كانت صورتنا حلوة فى عينيك. فى قلبك يا رب من نحونا حبٌ فى المسيح من قبل أن نوجد "لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدّها لكى نسلك فيها" (أف٢: ١٠)، "كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة" (أف١: ٤). فكما تُعدّ الأم لمولودها الجديد وهو مازال فى بطنها، ومن كثرة محبتها له

تتفنن فى تزيين ملابسه وكل احتياجاته؛ هكذا أعدّ الله لنا كل نعمة فى المسيح. ولكن محبة الله هى بلا شك أعمق بكثير من محبة الأمهات، فالله قد أعد لنا الكثير والكثير قبل أن نوجَد، إذ كنا فى عقله فكرة وفى قلبه مسرة.

لهذا يقول المرنم "اذكر يا رب رأفتك ومراحمك لأنها ثابتة منذ الأزل".

خطايا شبابى وجهالاتى لا تذكر

تاريخك معى يا رب حلو، وأفكارك جميلة. أنت القديم الأيام وحبك القديم المختزن، فإن رجعت إلى الوراء لكى تذكر مراحمك ومحبتك القديمة فلا تذكر معها خطاياى القديمة.

أريدك يا رب أن تتذكر حبك القديم ولا تتذكر خطاياى القديمة. وعندما تنظر فى الماضى انظر إلى محبتك ولا تنظر إلى خطاياى.

أنت قلت: "أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها" (إش٤٣: ٢٥).. الله لا ينسى، يمكن أن تكون ذاكرة الإنسان ضعيفة وينسى ولكن الله لا ينسى. أما النسيان بالنسبة لله فله معنى روحى؛ وليس بالمعنى الحرفى، النسيان معناه الغفران. الإنسان يمكن أن ينسى إساءة الآخرين له فى تفاصيلها، إنما قلبه يحمل كراهية من نحوهم، فليس الأمر هو أن ننسى، إنما الأهم هو أن نغفر وأن نحب.

فى المثِل يقال {ما محبة إلا بعد عداوة} الإنسان النقى القلب يستطيع أن يحب حتى ولو كانت إساءة الآخرين لا تزال تعلّق بذاكرته، فهى لا تؤثر على مشاعره من نحوهم.. هذا هو الكمال الحقيقى. إن أتى على فكره ما يذكّره بإساءة الآخرين لا يتحرك قلبه بالغضب من نحوهم. ونحن من أجل ضعفنا لأننا لم نصل بعد إلى هذا الكمال الذى هو كائن فى الله، فالأفضل لنا هو أن ننسى أحداث الخطية أو إساءة الآخرين من ذاكرتنا لكى تنساها أيضاً قلوبنا.

وكما قال أحد القديسين [إن ذكرنا خطايانا ينساها لنا الله].. المرتل يشعر أن ماضى حياته، وسِجِّل وتاريخ هذه الحياة يخجله. ربما هذا (أى السقوط فى الخطايا الشبابية) لا ينطبق على داود النبى نفسه (لأنه كان شاباً طاهراً ولم يسقط فى الزنى إلاّ بعد أن كبُر) إنما يمكن للإنسان وهو يصلى أن ينتفع من هذه الكلمات، إن كان يطبقها على حياته الشخصية.

كرحمتك اذكرنى أنت من أجل صلاحك يا رب
لأن الرب صالح ومستقيم

أنت يا رب تحب البر، فعندما تتفكر فى هذا البر اذكرنى فى الصورة التى تتمنى أن تكون لى، أو أن أكون فيها. بدلاً من أن ترانى فى الصورة

التى أحيا فيها الآن، ليتك ترانى فى الصورة التى تعدّها أنت لى.. أنت يا رب صالح ومستقيم، ومراحمك كثيرة، فمن أجل هذا الصلاح الذى فيك؛ اذكرنى برحمتك الإلهية، وتغاضى عن خطاياى.. عاملنى برحمتك.

تظل محبة الله ثابتة لا ترجع أبداً، مهما عوّج الإنسان طريقه لكن طريق الله مستقيم. لا يغضب إلى الأبد ولا ينتقم لنفسه.

ربما يتساءل أحد إن كان الله لا ينتقم لنفسه فكيف سيعاقب الأشرار فى الدينونة الأبدية إذن؟! معاقبة الله للأشرار ليست انتقاماً لنفسه، بقدر ما إنها النتيجة الطبيعية لانحدارهم لحياة الظلمة والبعد عن الله "فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً" (غل٦: ٧).. الله يعمل الكثير من المحاولات مع الإنسان لكى يتوب، فإن لم يتُب ومات سيقول البعض ربما لو كان الله قد تركه مدة أطول فى الحياة؛ لكان من الممكن أن يتوب هذا الإنسان عن خطاياه. إنما الحقيقة هى أنه إن عاش ذاك الإنسان إلى الأبد فلن يتوب أبداً بل تتزايد خطاياه، فهو إذن يدخل إلى حياة الظلمة بقدميه، يدخل بقدميه إلى الهاوية..

فقصد الرب ثابت ومشيئته صالحة. ومن هنا نستطيع أن نفهم الله، وندرك شريعته وأحكامه. كما نستطيع أن نفهم الكتب المقدّسة ونرفض التعاليم الغريبة. يوجد من يعتقدون أن الله خلق البعض ليكونوا أبراراً بينما خلق آخرين ليكونوا أشراراً! ويفسرون ما هو مكتوب فى الأصحاح

التاسع من رسالة رومية تفسيراً خاطئاً "ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتنى هكذا" (رو٩: ٢٠). ولكن حقيقة الأمر أن الرب صالح ومستقيم ليس عنده اعوجاجاً ولا ظل دوران.. مقاصده كلها ثابتة لا تتغيّر، وهو الذى قال: "لأن هذه هى **إرادة الله قداستكم**" (١تس٤: ٣). وقيل عنه "الذى يريد أن جميع الناس يخلُصون، وإلى معرفة الحق يُقبِلُون" (١تى٢: ٤)، وأنه لا يشاء موت الخاطئ مثلما يرجع وتحيا نفسه "هل مسرّة أُسَرُّ بموت الشرير يقول السيد الرب؛ إلا برجوعه عن طُرقِه فيحيا" (حز١٨: ٢٣)، وهو "لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يُقبِلَ الجميع إلى التوبة" (٢بط٣: ٩).

لذلك يرشد الذين يخطئون فى الطريق
يهدى الودعاء فى الحكم، يعلم الودعاء طرقه

إن كان الله يحب أن ينتقم لنفسه لكان يترصّد لكل إنسانٍ يخطئ لكى يبيده ويهلكه. لكن الله **يرشد الذين يخطئون فى الطريق**.. استقامته تعطى للخطاة المنسحقين استقامة فى طرقهم.

هذا مدخل آخر للحياة الروحية؛ لماذا نحن نخطئ ونبتعد وتتخلى عنا النعمة الإلهية؟ لماذا نفشل ونسقط؟ هذا لأن الله **يعلِّم الودعاء طرقه**.. فسِر سقوطنا هو أننا لسنا ودعاء.. ومثال لذلك الإنسان المتشامخ

المتكبّر الغضوب، الإنسان المحب لذاته؛ الذى يريد أن يمجّد هذه الذات. لكن ليت هذا الإنسان يدرك أنه مهما عظمت أعماله وازداد، فإن كل هذا سوف ينتهى ويزول سريعاً.. **هذا هو مبدأ للحياة الروحية؛ أن الله القدير** "يرشد الذين يخطئون فى الطريق. يهدى الودعاء فى الحكم. يعلّم الودعاء طرقه"..

الودعاء هم متواضعو القلوب، كما قال السيد المسيح: "تعلّموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب" (مت١١: ٢٩). الإنسان المتضع يعلِّمه الله طرقه، وتصبح الفضيلة ميسورة بالنسبة له. كل أنواع الجهادات الروحية فى حياته تمر ببساطة، إذ تُعطَى النعمة الإلهية له بدون مكيال.

أفضل شئ هو أن يبحث الإنسان عن **اتضاع القلب** ككنز عظيم، ولؤلؤة كثيرة الثمن تلك التى وجدها التاجر الذى كان يطلب لآلئ حسنة (انظر مت ١٣: ٤٥، ٤٦). سبب كل متاعبنا الروحية هو أننا نبتعد عن وداعة الروح واتضاع القلب.. أما الرب فهو يعلّم الودعاء طرقه، وكأنه المعلّم الوديع الذى جمع الودعاء فى حجرة الدرس لكى يلقنهم درساً هو درس الوداعة.

جميع طرق الرب رحمة وحق لحافظى عهده وشهاداته. من أجل اسمك يا رب اغفر لى خطيتى لأنها كثيرة

أحياناً يظن الإنسان أن الله قد تخلى عنه، وربما فى جهالة ينسب لله أى شئ، أو يعاتب الله عتاباً قاسياً عن أمر من الأمور. ويدخل فى خصومة مع الله!! لكن المرتل يقول: "جميع طرق الرب رحمة وحق لحافظى عهده وشهاداته..".

الله كامل فى قداسته، فلا يمكن أن تُنسَب إلى الله جهالة، فالإنسان الجاهل هو الذى ينسب إلى الله أى نقص فى تدبيره أو أحكامه أو طرقه. من يحفظ وصايا الرب، ويحافظ على العهد الذى قطعه مع الله أن يسلك فى طرقه ووصاياه بلا لوم، تكون لهذا الإنسان: جميع طرق الرب رحمة وحق.

يعود المرتل ليقارن حالته بتلك التى لحافظى عهده وشهاداته؛ حالة الودعاء فيقول: من أجل اسمك يا رب اغفر لى خطيتى لأنها كثيرة. أنا أعرف يا رب أننى أغضبتك مراراً كثيرة، إنما لنبدأ من جديد، سوف أجتهد أن أكون مع هؤلاء الودعاء وحافظى عهدك وشهاداتك..

وعبارة "**من أجل اسمك**" تحمل معانٍ كثيرة:

فمن أجل اسمه الذى دُعى علينا كأولاد لله يهمه طبعاً أن تمحى خطايانا.

ومن أجل اسمه باعتباره هو الله القدير يهمه أن يكون قادراً على هزيمة الشر والخطية والشيطان.

ومن أجل اسم الرب يسوع نطلب مغفرة خطايانا لأن الملاك قال عنه "وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم" (مت١: ٢١). وكلمة "يسوع" فى اللغة العبرية "يهوشع" بمعنى "يهوه خلّص". و"يهوه" هو الاسم الخصوصى لإله إبراهيم.

من هو الإنسان الخائف الرب
يرشده فى الطريق التى ارتضاها
نفسه فى الخيرات تثبت ونسله يرث الأرض

وكأنه يقول إن الإنسان الخائف الرب؛ هذا هو من يرشده فى الطريق التى ارتضاها..

مشكلتنا فى حياتنا الروحية هى أننا كثيراً ما نأخذ من الله خيراتٍ ونضيّعها، إنما الإنسان الروحى الذى وصل إلى قامة روحية عالية، تجد نفسه ثابتة فى الخيرات. نحن ربما نبنى ثم نعود لنهدم ما قد بنيناه، فلا نتقدم للأمام، لكن الإنسان الخائف الرب؛ نفسه فى الخيرات تثبت.

ربما نحضر القداس ونتعزى ونتناول، ثم نخرج لنضيّع ما قد أخذناه.. نقرأ الإنجيل ونأخذ تعزيات ثم نعود لنتهاون ونضيّع ما تعزينا به.. نصلى ويعطينا الله تعزيات فى الصلاة ثم نترك حرصنا فنفقد التعزية.. أما الإنسان الخائف الرب؛ فنفسه فى الخيرات تثبت. وإذا ثبتت نفسه فى

الخيرات، تنمو هذه النفس وتتزايد فى حياة الفضيلة، وتتأصل فيها بل تصير الفضيلة جزءاً لا يتجزأ من طبيعتها، ويصير الإنسان بهذا مؤهلاً لحياة الملكوت. ليس هذا فقط بل تكون النفس مثمرة تستطيع أيضاً أن تؤثر فى الآخرين؛ نفسه فى الخيرات تثبت ونسله يرث الأرض.

ما هى مشكلة الخادم الذى يخدم المسيح عندما تصير خدمته غير مثمرة، رغم أنه يتعب فى الخدمة، وبالرغم من أنه تمر عليه مراحل يكون فيها متصلاً بالله اتصالاً قوياً؟! ربما عدم إثمار الخدمة يكون بسبب أن النفس غير ثابتة فى الخيرات. الشجرة إذا تنقلت يوماً بعد يوم من مكانٍ لآخر لن تثمر أبداً، إن لم تُروَ بانتظام لن تأتى بأى ثمر. أما الإنسان الذى نفسه فى الخيرات تثبت نسله يرث الأرض؛ نسله الروحى أيضاً يكون مثمراً، ويستطيع أن يرث الأرض، وقد قال السيد المسيح: "**طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض**" (مت٥: ٥)؛ هؤلاء هم الودعاء الذين يهديهم الرب فى الطريق أو يهديهم فى الحكم، ويعلّمهم طرقه؛ هؤلاء يرثون الأرض.

الرب عز لخائفيه، واسم الرب لأتقيائه
ولهم يعلن عهده

الإنسان الخائف الرب يحيا فى عزٍ، معزز مكرم، مرفوع الرأس أمام الشياطين فتخافه وتخشاه.. كرامته محفوظة كإنسان.

فالرب عز لخائفيه لأنه يعطيهم كلمته، كما يعطيهم كرامة، مثلما قال السيد المسيح: "إن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب" (يو١٢: ٢٦)، فيصير فى عزٍ..

قديس مثل الأنبا ابرآم أسقف الفيوم كان يعيش فى هذا العز الإلهى وهذا العز الروحى، كما يقول المرتل: "عزيزٌ فى عينى الرب موت أتقيائه" (مز١١٦: ١٥)، إنسان عزيز فى عينى الرب، والله عزٌ بالنسبة له، تصير له خيرات كثيرة؛ خيرات روحية، كما يعطيه الرب مواهب روحية لمجد اسمه.

فكون اسم الإنسان مسيحياً أو رجل الله، كما أن هذا من الناحية الشكلية؛ فله أيضاً قيمته الجوهرية.. فالمسيحى الحقيقى هو الذى تظهر فيه صورة المسيح لذلك يقول:

واسم الرب لأتقيائه ولهم يعلن عهده؛ أى أن صورة الله واضحة فى حياته "حامل فى جسدى سِمات الرب يسوع" (غل٦: ١٧) من يراه يرى فيه صورة الله، يقولون هذا هو رجل الله بالحقيقة.. "اسم الرب برج حصين. يركض إليه الصديق ويتمنع" (أم١٨: ١٠)..

اسم الرب لأتقيائه؛ أى يعطى لهم سلطان استخدام اسمه، فعندما يسمون باسم الله، أو يدعون باسمه، حينئذ تظهر قوة الله العاملة معهم.. يقول لك الرب: أنا أعطيك اسمى؛ يُدعى اسمى عليك. أعطيك اسمى كقوة قادرة تستطيع أن تعمل "فإننا نحن عاملان مع الله.." (١كو٣: ٩).

ولهم يعلن عهده.. فالعهد الأساسى الذى ذُكر فى الكتاب المقدس هو عهدان؛ العهد القديم والعهد الجديد، فقد قال السيد المسيح عن الكأس "هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم" (لو٢٢: ٢٠)، لكن ما معنى أن الرب يعلن لنا عهده؟ **يعلن لنا عهده أى يكشف لنا عن حبه وخلاصه العجيب فى حياتنا، وندرك عظمة هذه الأسرار الإلهية**..

فى العهد القديم كان العهد بين الله والإنسان بواسطة دم الثيران، عندما أخذ موسى الدم ورش على كتاب العهد (انظر خر٢٤) فصار عهد بين الله والإنسان. والدم يشير إلى الحياة، لذلك فهو عهد حياة. والعهد الجديد بدمٍ ذكى إلهى، يعطى حياة أبدية لمن يتناول منه. لذلك **عندما يقول: لهم يعلن عهده؛ أى لهم يعطى حياة** "الحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأُظهِرَت لنا" (١يو١: ٢).

عيناى تنظران إلى الرب فى كل حين
لأنه يجتذب من الفخ رجلى

الفخاخ منصوبة باستمرار، ومن يفتكر أنه لا يوجد فخاخ "لأنه حينما يقولون سلام وأمان؛ حينئذٍ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون" (١تس٥: ٣). مسكين الإنسان الذى يظن أن الطريق مفروش بالورود، وأن الشياطين لن يحاربوه.. ماذا أفعل يا رب فى هذه الفخاخ؟ يجيب المرتل ويقول: عيناى تنظران إلى الرب فى كل حين.. نحن لا نستطيع أن نمنع الفخاخ، إنما يكفى أن ننظر إلى الرب فى كل حين.. من يرفع عينى قلبه دائماً متأملاً فى جراحات السيد المسيح، هذا هو الذى تنجو رجليه من الفخاخ؛ هذا هو الإنسان الخائف الرب، هذا هو الذى يدرك أن أجرة الخطية موت، وثمرة البر حياة أبدية فى شخص السيد المسيح المعلّق على الصليب "لأن أجرة الخطية هى موت. وأما هبة الله فهى حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا" (رو٦: ٢٣).

انظر إلىّ وارحمنى لأنى ابن وحيد وفقير أنا

وحيد ليس لى أحد سواك، "أبى وأمى قد تركانى أما الرب فقبلنى" (مز٢٦: ١٠). نحن نبحث عن تعزيات البشر، فنعود أخيراً لنقول مع

أيوب: "معزون متعبون كلكم" (أى١٦: ٢). نبحث عن الراحة مع الناس فلا نجدها، إذ هم أكثر احتياجاً لهذه التعزية.

من يضع رجاءه فى الآخرين، ومن يضع سلامه فى الآخرين سوف يصاب بخيبة أمل كبيرة. أما المرتل فقال: "**لأنى ابن وحيد وفقير أنا**"؛ ليس لى أحد يستطيع أن يخلصنى وينقذنى من البشر العاديين؛ غريب من إخوتى، نزيل عند بنى أمى "لأنى أنا غريب عندك. نزيل مثل جميع آبائى" (مز٣٩: ١٢) أنا وحيد ويتيم ومسكين وفقير لا أملك شيئاً.. هكذا يقف الإنسان أمام الله شاعراً بفقره وغربته واحتياجه، هذا الإنسان يستطيع الله أن يعطيه، وأن يشبعه من غنى نعمته.. ليتنا نقف عند هذه الآية كلما صلينا هذا المزمور، ليؤكّد الإنسان فقره واحتياجه أمام الله.

أما ذاك الذى يقول: "إنى أنا غنى وقد استغنيت ولا حاجة لى إلى شئ" (رؤ٣: ١٧)، فيجيبه الله قائلاً: "لست تعلم أنك أنت الشقى والبئِسُ وفقير وأعمى وعريان" (رؤ٣: ١٧). كثيراً ما نقف أمام الله دون أن نشعر باحتياجنا الشديد إليه فلا نأخذ منه شيئاً.

أحزان قلبى قد كثرت

هذا العالم مملوء بالهموم والأحزان، وكل فرح وسعادة فيه هى أمور وقتية زائلة، لهذا قال السيد المسيح: "سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا

ينزع أحد فرحكم منكم" (يو١٦: ٢٢).. هذا الفرح الذى وعد الرب به تلاميذه؛ قد أعقب الحزن الذى أصابهم وقت صلب السيد المسيح ودفنه فى القبر ثلاثة أيام.

ولأننا نهرب من الحزن على خطايانا، نميل إلى السعادة والفرح الزائف لذلك لا تعمل النعمة الإلهية فى حياتنا. أما من يحزن على خطاياه هذا هو الذى سوف يتعزى ويفرح "طوبى للحزانى لأنهم يتعزون" (مت٥: ٤). لم يقصد السيد المسيح فقط الحزانى لأجل ميت، فأى إنسان يستطيع أن يعيش نائحاً.. فلماذا يرتدى الراهب ملابس سوداء مثل أولئك الحزانى لأجل عزيزٍ لديهم؟ يرتدى ملابس سوداء لأنه يحزن على خطاياه.. **إنسان راهب بمعنى أنه يرهب جلال اسم الله القدوس، يتعبد له فى رهبة ومخافة وفى خشوع**. لذلك يجب أن يرى الناس فيه صورة المخافة الإلهية، كما يشعرون فيه برهبة حياة الخشوع والعبادة، أما إن اتخذ الراهب صورة العلمانيين فى مرحهم وانطلاقهم فى حياة العالم؛ سيعيش فى انحلال ويفقد حياته كراهب.

يقول المرتل فى موضع آخر: "عند كثرة همومى فى داخلى تعزياتك تلذذ نفسى" (مز٩٤: ١٩) فعندما يرى الله أن أحزان قلوبنا قد كثرت، يشعر أننا قد صرنا محتاجين للتعزية، وإلا فمن هم الذين يعزيّهم الله؟

أخرجنى من شدائدى، انظر إلى تواضعى وتعبى، واغفر لى جميع خطاياى

إنسان غارق فى شدائده وأحزانه، يشعر أنه فى شدة وضيق، ولا يستطيع أن يجد مخرجاً. كثيراً ما يتعب الإنسان من حروب الشياطين، وربما يتعب من فشله المتكرر، ويتألم بوجع قلب بسبب خطاياه، فيردد مع المرتل ويقول: أنا يا رب لا أستطيع أن أقدم لك أى شئ أكثر من تذللى أمامك، وانسحاق نفسى.. لا أملك سوى هذا التعب الذى أتعبه فى هذا الحزن على خطاياى، لقد تعبت كثيراً فانظر إلى تواضعى وتعبى.. ها قد تعبت من عثرات الخطية، تعبت من محاربات الشياطين التى أطاحت بى، أقول مع داود النبى: "إنى قد أكلت الرماد مثل الخبز ومزجت شرابى بدموعٍ" (مز١٠٢: ٩)، "ركبتاى ارتعشتا من الصوم ولحمى هزل عن سمنٍ" (مز١٠٩: ٢٤).. كثيراً ما يساعد الصوم الإنسان أن يقدّم كل هذه المعانى، وهو يشعر بالتعب حقاً.

إن كشف لنا الله عن فظاعة الخطية ومرارتها، وكيف تبعد الإنسان عن الله وعن خلاص نفسه، وكيف وهو مخدوع وبعيد يشعر بالتعب الشديد، يقوم ليصرخ إلى الله ويقول: انظر إلى تواضعى وتعبى، واغفر لى جميع خطاياى..

انظر إلى أعدائى فإنهم قد كثروا وأبغضونى ظلماً

أنت يا رب عادل، وتعرف أننى لم أفعل شيئاً لأولئك الشياطين القائمين علىّ. وقديماً ماذا صنع آدم للشيطان، هل أساء إليه فى شيءٍ؟! كلا.

هنا يصرخ المرتل قائلاً: ما هو ذنبى فى هذه المحاربات؟ ذنبى هو موجّه إليك أنت، فقد أخطأت فى حقك، وخطاياى قد كثرت وثقل حملها علىّ.. إنما الشيطان، ماذا فعلت له لكى يأتى ويحاربنى ويتعبنى، ويقوم ليذلنى ويشمت بى. هذا الشيطان سأتركه لك يا رب لكى تنتصر عليه، وتعامله كصلاحك.

حقاً إن الإنسان مظلوم مع الشياطين، **ولسبب هذا الظلم صنع الله الخلاص من أجل الإنسان لكى يرفع عنه الظلم**، لأن الله عادل وبار ومستقيم، وأعطى إمكانية الخلاص لكل بشر، كما يقول الكتاب "ويبصر كل بشر خلاص الله" (لو٣: ٦)، **وكما أن الإنسان قد أخطأ بإرادته، فلابد أن يخلص أيضاً بإرادته، وأن يهتم بخلاص نفسه** كالمكتوب: "**كيف ننجو نحن إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره**" (عب٢: ٣). لكن لماذا لا ننجو؟ ذلك لأننا أضعنا الفرصة التى قدّمها لنا الله من أجل خلاصنا.

إن أردت أن تقدّم دعوى على أحد، لا تقدّمها إلا على الشيطان، لا هذا ولا ذاك، إنما هو الشيطان الذى يقوم ضدك.. قل للرب: "انظر إلى أعدائى فإنهم قد كثروا وأبغضونى ظلماً".. إن أردت أن تبغض أحد، لا تبغض سوى الشيطان، **لأنه هو عدو الخير، عدو الله، عدو كل بر.** ولا تبغض الشيطان مجرداً، إنما ابغض ذاك الذى يؤثر فى حياتك لكى يجتذبك إلى الهاوية والهلاك الأبدى معه. وهذه البغضة تجعلك لا تدخل معه فى صداقات أو عهود، إنما تظل الحرب قائمة، واليقظة مستمرة، والنفور منه دائماً. احترس من أى هدنة فى الحرب مع الشيطان.

احفظ نفسى ونجنى

أريد يا رب أن تحفظ هذه الوديعة كإناءٍ لا ينكسر. احفظ نفسى ونجنى، احفظها لكى تكون لك أنت وحدك، تكون ملكك، احفظ نفسى طاهرة مقدسة. احفظ نفسى آنية مهيأة لسكناك.

لا أخزى لأنى عليك توكلت

هذا تكرار للمعنى الذى ذكرناه سابقاً فى بداية المزمور، هكذا يختمه أيضا حيث إن الاتكال على الله هو أساس الحياة الروحية كلها. ثم يُظهِر أن الإنسان الذى يجاهد فى حياته الروحية؛ الذى يطلب الله وينتظر عمله

المقدس، هذا الإنسان ترافقه الملائكة، كما تؤازره معونة الأبرار والصديقين.

الذين لا شر فيهم والمستقيمون لصقوا بى لأنى انتظرتك يا رب. يا الله انقذ إسرائيل من جميع شدائده. هللويا

أنا يا رب أنتظرك؛ من أجل هذا أحبتنى الملائكة، وأتت لمعونتى؛ هؤلاء هم الذين لا شر فيهم. وأتت أيضاً أرواح الصديقين تؤازرنى شفاعتهم وتضرعاتهم، كذلك الأبرار الذين فى العالم.. الذين لا شر فيهم والمستقيمون لصقوا بى؛ قد صرت صديقاً للأبرار والتصقت بهم، لأنى أنتظرك معهم مردداً مع الكنيسة: {**وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى**}.

انقذ إسرائيل شعبك الذى افتديته؛ انقذ الكنيسة. انقذ إسرائيل عبدك حبيبك وقديسك..

إن كان الإنسان فى حياته الروحية يجاهد كفرد، إنما لا يستطيع أن ينكر أن وجوده كعضو فى الجماعة هو أمر ضرورى. فهو لا يجاهد وحيداً، إنما هو يشعر أن مصدر خيره وحياته هو الله، وهو لا يلقى اتكاله على إنسانٍ ما بعيداً عن الله، لكنه أيضاً يشعر بأهمية أب الاعتراف والقيادة الروحية، ويشعر أن جماعة الأبرار والقديسين، وجماعة المجاهدين؛ كل

هؤلاء يشكِّلون كياناً واحداً، وكنيسة واحدة، كنيسة مقدسة، فيعود لكى لا يذكر نفسه وحده فقط، إنما يقول للرب: يا الله انقذ إسرائيل، انقذ شعبك كله الذى افتديته.

هذا يوضّح لنا أنه وإن كان الإنسان يجعل أمر خلاص نفسه هدفاً أساسياً، إنما لا يفكر فى نفسه وكأنه بمعزل عن الجماعة، لكنه يهتم بالكل، يهتم بخلاص الكل وحياتهم. وكيف ذلك؟

أقل ما فى الأمر هو أن يطلب من أجلهم جميعاً. وهذا لا يتعارض البتة مع قوله "لأنى ابن وحيد وفقير أنا". عندما يقول أنا وحيد أى غريب، أى أنا يا رب لا يمكن أن أجد أحد غيرك ينقذنى مما أنا فيه، وكما أننى أدرك هذا أعرف أيضاً أن جميع إخوتى يحتاجون إلى نفس هذا الإله؛ إلى نفس المخلّص، إلى أب الأرواح، إلى أب الجميع الذى يجمع الكل إلى أحضان محبته. من أجل ذلك إن غابت عن الإنسان هذه الحقيقة ربما يتوه فى الطريق.

لا يجب أن تؤخذ الحياة الروحية من جانبٍ واحدٍ، أو من جهةٍ واحدةٍ. بل أغلب الحقائق الروحية لها وجهتان لابد أن نعرفهما لكى نستطيع أن نضبط السلوك الروحى فى حياتنا ونعرف الطريق الملوكى التى نسلكها.

وكمثال لتوضيح هذا؛ **الصوم**: يمكن أن يكون وسيلة للخشوع والاتضاع والانسحاق أمام الله، أو يكون وسيلة لتمجيد الذات والسبح الباطل

والكبرياء. فإن عرف الإنسان هذين الوجهين يستطيع أن يسلك فى الصوم بالأسلوب السليم الذى يستفيد منه روحياً. أيضاً إن نظرنا للصوم كهدف فى ذاته يمكن أن تفسد حياتنا الروحية، لكن إن نظرنا إليه كوسيلة بها نزداد قرباً من الله، وحرارة فى عبادتنا؛ هذا هو الطريق الصحيح. وتكون فترة الصوم هى فرصة للتأمل.

كذلك **الصمت** يمكن أن يؤدّى إلى الكبرياء كما يمكن أن يؤدّى إلى الانسحاق والاتضاع.. وهكذا جميع الأمور الروحية لابد أن نعرف كل جوانبها، ولا ننظر إليها من جانب واحد.

ليت فترات الصوم تكون فرصة للصلاة بالمزامير بفهم، إذ من خلالها نطلب من الله أن يحقق لنا وعوده المكتوبة فيها.. يمكن لإنسان أن يصلى مزموراً واحداً بعمق وفهم من كل قلبه، فيستفيد روحياً أكثر ممن يصلى مئات المزامير بدون فهم أو تأمل. ولكن هذا لا يمنع من إتمام القوانين لئلا يعتاد الإنسان عدم الصلاة.

ليتنا نحوّل صلوات المزامير إلى تأملات روحية عميقة، ونحاول أن نطبّق كلمات المزمور على حياتنا الشخصية. كما نركّز على المعانى التى تمس خلاص نفوسنا وعلاقتنا مع الله.

ولإلهنا المجد دائماً أبدياً آمين

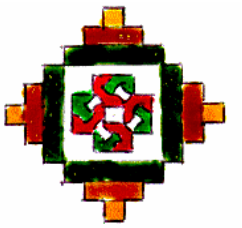

مقدمة

المزامير هى أفكار إلهية منطوقة من خلال واقع إنسانى.. وهى خلجات ومشاعر أوحى بها الروح القدس. وليس هناك أفضل من أن نخاطب الله بالكلمات التى اختارها هو لنا، لأننا لا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى، ولكن الروح يشفع فينا "الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها" (رو٨: ٢٦).

فالمرتل الذى رنّم بالمزمور كان الروح القدس يعزف فيه **كما لو كان هو قيثارة يعزف عليها الروح**.. ولكى يؤدى المزمور نفس التأثير معنا، يجب أن نتناغم مع المزمور داخلياً، لذلك يلزمنا أن نتأمل فى كلمات المزمور.

صلوات المزامير لها قوة وفاعلية خاصة لأنها موحى بها من الله. وهى تعلّم الإنسان كيف يتكلم مع الله، وكيف يعرف حالته الروحية، وكيف يطالب الله أن يحقق مواعيده فى حياته. ويكون الإنسان مطمئناً أن هذا هو كلام الله نفسه، أى أنه يصلّى ويقرأ فى الكتاب المقدس فى آنٍ واحد. شئ جميل جداً أن يقرأ الإنسان الكتاب المقدس ويصلّى فى نفس الوقت.. أحياناً يقرأ الإنسان فى الكتاب المقدس ويشعر باحتياج للصلاة، وأحياناً

أثناء صلاته يشعر باشتياق لقراءة الكتاب المقدس. فما أجمل أن يجتمع الأمران معاً.

لكى تستفيد من صلاة المزامير تفاعل معها وعِش فيها، تلامس مع عمق معانيها، صلِ بها وكأنك أنت الذى كتبتها.. ومن الممكن أن تدرس الظروف التى قيل فيها المزمور، فيعطيك هذا خلفية فكرية له. إنما أهم من هذا هو مشاعرك الخاصة التى بها تتفاعل مع المزمور..

من أجل ذلك لابد أن نقترب من المزامير بروح الفهم، بروح الصلاة متأملين فى كلماتها.

نطلب من الرب أن يعلن فى داخل قلوبنا قوة معانيها، ويعطينا أن نتذوق حلاوة المزامير، ونصليها بروح التأمل والعبادة.

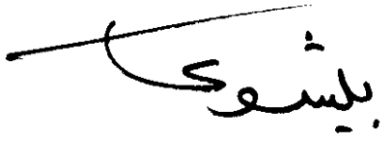

عيد الميلاد المجيد

٧ يناير ٢٠٠٧م **مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى**

٢٩ كيهك ١٧٢٣ش **ورئيس دير القديسة دميانة بالبرارى**

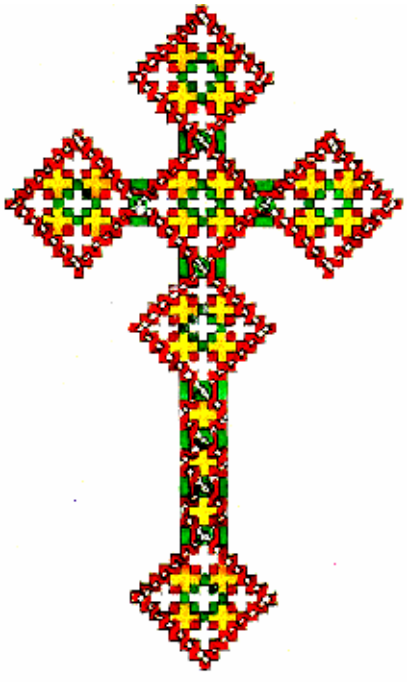

تأملات فى مزمور

على أنهار بابل هناك جلسنا

المزمور المائة والسادس والثلاثون

على أنهار بابل هناك جلسنا، فبكينا عندما تذكرنا صهيون. على الصفصاف فى وسطها علقنا قيثاراتنا. لأنه هناك سألنا الذين سَبَوْنا أقوال التسبيح، والذين استاقونا إلى هناك قالوا: سبحوا لنا تسبحة من تسابيح صهيون. كيف نُسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة؟ إن نسيتك يا أورشليم أنسى يمينى، ويلتصق لسانى بحنكى. إن لم أذكرك، إن لم أسبق فأرتب أورشليم فى ابتداء فرحى. أذكر يا رب بنى أدوم فى يوم أورشليم القائلين: انقضوا انقضوا حتى الأساس منها. يا بنت بابل الشقية، طوبى لمن يكافئك مكافأتك التى جازيتنا. طوبى لمن يمسك أطفالك، ويدفنهم عند الصخرة.

من ذكريات السبى

بعد أن انتهينا من التأمل فى بعض ترانيم المصاعد التى هى خمسة عشر مزمور، وآخرها مزمور "ها باركوا الرب يا عبيد الرب.. يأتى هذا المزمور -الذى نصلّيه فى صلاة النوم والستار وفى الخدمة الثالثة من صلاة نصف الليل- **الذى هو من ذكريات السبى.**

لا شك أن هذا المزمور قد كُتب فى مدة السبى وليس فى أيام داود النبى، وهذا يتضح من كلماته. وعلى سبيل التعميم تُنسَب المزامير كلها لداود النبى، لكن من المعروف أن داود النبى لم يكتب كل المزامير، إنما هو الذى أسس سفر المزامير ثم أُضيف إليه مزامير أخرى لعدة كُتّاب آخرين من بعده منهم سليمان الملك.

وهذا المزمور كما قلنا كُتب فى أيام السبى أو بعد السبى.. هذا السبى حدث فى أيام صدقيا ملك يهوذا، وهذا يفصله عن داود النبى سنوات كثيرة جداً.. ولا شك أن داود النبى لم يتكلم عن السبى؛ إلا أنه أشار إليه فى عبارات قصيرة بروح النبوة.

على أنهار بابل هناك جلسنا

مدينة بابل أول من أنشأها هو نمرود بن كوش بن حام بن نوح

(تك١٠: ١٠)، لكنها ذُكرت فى الكتاب المقدس حينما أراد نسل نوح أن يبنوا لهم برجاً رأسه فى السماء (انظر تك١١: ١-٩)، وأصبحت بابل رمزاً للكبرياء؛ كبرياء الإنسان يريد أن يبنى برجاً رأسه فى السماء، حتى إذا أتى طوفان على الأرض من قبل الله يدخل إلى البرج ليحتمى من الطوفان!!

وقد بنوا البرج أيضاً ليصير لهم اسمٌ "قالوا هلم نبنِ لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض" (تك١١: ٤)، فلما نظر الرب إلى هذا البرج وهذا الكبرياء، كما إلى عدم إيمانهم فى وعده أنه لن يجلب طوفاناً على الأرض مرة أخرى، نزل وبلبل ألسنتهم ولذلك دعى اسم ذلك المكان بابل (مشتقة من كلمة بلبل).. فقد بلبل ألسنتهم فصاروا يتكلمون بلغات عديدة ولا يفهمون بعضهم بعضاً، فتبددوا على وجه الأرض.

حينما نذكر بابل نذكر ذلك البرج الذى شرع البشر فى بنائه بروح الكبرياء والتعالى، وبروح عدم الإيمان بكلام الله، وبروح العناد وعدم السلوك فى محبته. بابل هذه عظّمها بعد ذلك نبوخذنصر الملك، وقد ذُكر فى سفر دانيال أنه "عند نهاية اثنى عشر شهراً كان يتمشى على قصر مملكة بابل. وأجاب الملك فقال أليست هذه بابل العظيمة التى بنيتها لبيت الملك بقوة اقتدارى ولجلال مجدى" (دا٤: ٢٩، ٣٠)، هذا

يبيّن مدى عظمة مملكة بابل وبالأخص مدينة بابل التى افتخر بها الملك نبوخذ نصر، وقد عاقبه الله على هذا الغرور (انظر دا٤: ٣١-٣٧).

هناك على أنهار بابل

كانت مدينة بابل مبنية على أنهار فى منطقة أرض العراق كنهر الفرات، مبنية على جانبى النهر من هنا ومن هناك. وكان أهل بابل يخرجون إلى الأنهار حيث الحدائق لكى يقضوا أوقاتاً فى اللهو واللعب والمجون إذ كانوا وثنيين أشرارًا.. ويبدو أنه كانت هناك أوقات معينة يقضيها الشعب حول ضفاف أنهار بابل إذ كانت مدينة عظيمة بها الحدائق المتسعة.. وعلى ضفاف الأنهار كانت تُغرس أشجار الصفصاف.

فبكينا عندما تذكرنا صهيون
ذكريات أليمة

فى وسط الشر والفجور والمجون الذى فى بابل جلس بنو إسرائيل وبنو يهوذا المسبيون، وأخذوا **يتذكّرون** تلك الأيام المفرحة الممتعة التى كانوا يقضونها عند هيكل الرب فى أورشليم؛ **يتذكّرون** الهيكل، وتابوت

العهد وما يصاحبه من حضور علنى لمجد الله فى وسط الهيكل.. **يتذكّرون** الأيام المقدسة والاحتفالات والأعياد وعبادة الرب.. **يتذكّرون** فِرق المسبّحين فى هيكل أورشليم، مقارنين الحياة المقدسة فى أورشليم بهذه الحياة المملوءة بالشر والخلاعة التى يقيمون فيها الآن.

لقد **تذكّروا** ذلك المجد الذى زال من أورشليم أو من صهيون.. فكثيرٌ من القديسين فى العهد القديم كلما **تذكّروا** أورشليم كانوا ينوحون مثل نحميا الذى عندما سأل عن أورشليم وعرف ما آلت إليه أحوالها **جلس يبكى نائحاً صائماً مصلياً أمام الرب**، سمع أن الذين بقوا من السبى هناك هم فى شرٍ عظيم وعار، وسور أورشليم منهدم وأبوابها محروقة بالنار، يقول: "فلما سمعت هذا الكلام جلست **وبكيت ونحت أياماً** وصمت وصلّيت أمام إله السماء. وقلت أيها الرب إله السماء الإله العظيم المخوف الحافظ العهد والرحمة لمحبيه وحافظى وصاياه. لتكن أذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك الذى يصلى إليك الآن نهارًا وليلاً لأجل بنى إسرائيل عبيدك ويعترف بخطايا بنى إسرائيل التى أخطأنا بها إليك. فإنى أنا وبيت أبى قد أخطأنا. لقد أفسدنا أمامك ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التى أمرت بها موسى عبدك.." (نح١: ٤-٧).

مشاعر المذلة فى أرضٍ خربة

لا شك أن كل من شعب إسرائيل وشعب يهوذا كان يشعر بالمذلّة فى أرض السبى. لقد أدركوا مجد أورشليم الذى ضاع، وقيمة الحرية التى فقدوها فى السبى، إذ صاروا كالعبيد مملوكين لمن سبوهم.

لقد أخذ ملك بابل أمراء وأشراف بنى يهوذا وجعلهم خداماً له. وكثيراً ما أعطاهم الرب نعمة أمام الملوك والرؤساء. وبالرغم من ذلك كانوا يشعرون بالمذلة، لأنهم فقدوا حرّيتهم، وفقدوا وطنهم ومجدهم الأول.

وإذ جلس المسبيون ينظرون إلى عظمة بابل وما فيها من مظاهر اللهو والمرح، **جلسوا وبكوا وناحوا** عندما تذكروا صهيون.. **عندما تذكروا تلك الذبائح اليومية التى كانت تُقدَّم**، والعلاقة الدائمة بين الله وشعب إسرائيل؛ الموضع الذى سُرَّ بأن يُدعى اسمه فيه.

لم يعد الله يوجد فى هذا الموضع، أو لم يعد يُسمَع هناك صوت التسبيح، ولم تعد ترتفع رائحة الذبائح والمحرقات.. صار الموضع خرِباً، مدوساً ومهاناً، كالنفس المقفرة التى توقفت عن الصلاة، وكفت عن الحياة مع الله؛ فقدت كل علاقة لها معه.. نفس خربة بعد أن كانت ذبائح الحب الإلهى تقدم فيها باستمرار، وبعد أن كانت أصوات

التسبيح لا تنقطع فى داخلها صارت نفس مقفرة من الصلاح.. أحاط بها الأعداء من كل جانب بمترسة وهدموها، ولم يعد فيها شئ من الأمور المقدسة.. **صارت كلها ذكرى.**

ولكن هذه الذكرى يقول عنها المزمور: "**تذكّرت** الأيام الأولى ولهجت فى كل أعمالك.." (مز١٤٢: ٥).. إذا ابتعد الإنسان بعض الوقت عن الله، ربما تدفعه ذكرى الأيام الأولى إلى أن يرجع إلى أحضان الرب مرة أخرى.

حزنكم يتحول إلى فرح

لقد قال السيد المسيح لتلاميذه: "إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح، أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحوَّل إلى فرحٍ.." (يو١٦: ٢٠). نحن هنا فى هذا العالم ربما نحزن بسبب خطايانا وننوح ونبكى عليها "فأنتم كذلك عندكم الآن حزن" (يو١٦: ٢٢) وأما العالم فيلهو ويفرح. فيقول الإنسان: على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون. ولكن هذا الحزن سوف يتحول إلى فرح فيما بعد، حينما يعزى الله قلبه ويدخله إلى أورشليم السمائية.

على الصفصاف فى وسطها علقنا قيثارتنا

الصفصاف

على ضفاف أنهار بابل كانت تُغرس أشجار الصفصاف؛ وهذه الأشجار خاصة توجد بكثرة على مجارى المياه. وطبيعة شجر الصفصاف أنه يتدلى بأغصانه حتى تتلامس مع المياه، ليست هى أشجار شاهقة عالية، إنما تتدلى أغصانها نحو المياه.. ويقال أن زهر الصفصاف إذا نُقع فى الماء فمشروبه يعطى هدوءًا للجسد والحواس ويهدئ الشهوات. فيبدو أن الصفصاف فى الكتاب المقدس والأسفار الإلهية يعتبر رمزاً للطهارة.

ومِن قديسى القرن الثانى الميلادى مَن كتب تأملاً فى هذا المزمور قال فيه إن شجر الصفصاف يرمز إلى حياة الطهارة. وسوف يتضح فيما بعد ما هى علاقة الطهارة بالأشجار التى ذُكرت فى هذا المزمور.

علّقنا قيثاراتنا

فى خروجهم إلى السبى أخذوا معهم قيثاراتهم التى عليها يعزفون، فإذ وجدوا أن الوسط المحيط بهم لا يتناسب مع التسبيح؛ وسط من اللهو والمجون. فعلّقوا القيثارات على الأشجار.. فسألهم أهل بابل أن يسمعوا نغمات جديدة، وألحان جديدة بروح الفضولية قالوا لهم اعزفوا لنا لكى يستخدموا تلك الألحان فى أعمال لهوهم ومجونهم.

لأنه هناك سألنا الذين سبونا أقوال التسبيح والذين استاقونا إلى هناك، قالوا: سبحوا لنا تسبحة من تسابيح صهيون

هناك سألنا الذين سبونا !

كثيراً ما يسبينا الشيطان فى الظلمة والخطية، ثم يسألنا أن نسبّح!! ينصح أن يعيش الإنسان كما يريد وليس عليه سوى أن يسبّح الرب.. ربما يتعجب البعض كيف يسألنا الشيطان أن نصلّى..

لا تتعجب من هذا فالشيطان من الممكن أن يسألك أن تصلّى بدون أن تتوب.. يطلب إليك أن تترنم بالألحان فى الكنيسة لكن قلبك بعيداً عن التوبة والنوح والدموع والبكاء.. تحيا فى جو الحياة الروحية، فى وسط جماعة القديسين لكن قلبك فى أرضٍ غريبة مبتعداً بعيداً عن الله. ومثل هذا الوضع يقودك إلى حالة الشيخوخة الروحية إن استمريت فيه.

نقِ أولاً داخل الكأس

عليك فى هذه الحالة أن تجاوب إبليس أن الله لن يقبل صلاتى إلا من خلال قلبٍ تائبٍ منسكبٍ خاشعٍ أمامه.. من أجل ذلك قال

السيد المسيح: "إن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك. وحينئذٍ تعالَ وقدِّم قربانك" (مت٥: ٢٣، ٢٤).. وقال أيضاً: "متى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شئ لكى يغفر لكم أيضاً أبوكم الذى فى السماوات زلاتكم. وإن لم تغفروا أنتم لا يغفر أبوكم الذى فى السماوات أيضاً زلاتكم" (مر١١: ٢٥، ٢٦).. من هذا يتّضح أنه يجب أن ينقّى الإنسان قلبه أولاً قبل الصلاة. فإن لم ينقّيه فصلاته غير مقبولة؛ كما يقول بولس الرسول: "فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال" (١تى٢: ٨). فالأهم من كل هذا أن توجد العلاقة القوية مع الله لكى يكون التسبيح مقبولاً أمامه.

إرحمنا.. كيرياليسون

الصلاة الوحيدة التى يمكن أن يقبلها الله من الخاطئ هى التى تقترن بطلب الرحمة والتوبة والمغفرة.. وكثيراً ما تردد الكنيسة فى صلواتها وطقوسها {كيرياليسون.. يا رب ارحم}.. فى القداس بعد كل الأواشى نصلى {يا رب ارحم}، ونصلى {ارحمنا ياالله مخلصنا} وفى صلوات الأجبية نصلى {٤١ مرة يا رب ارحم} فى كل صلوة.. **لماذا كل هذا؟**

هذا يعنى أننا نطلب مراحم الله باستمرار، نشعر أننا خطاة ويجب أن نطلب الرحمة قبل كل شئ.. فالإنسان الذى لا يسلك بمشاعر التوبة، فصلاة مثل هذا غير مقبولة أمام الله..

وقد رتبت الكنيسة فى أول كل صلاة أن نصلى المزمور الخمسين: "ارحمنى يا الله كعظيم رحمتك" نطلب رحمة الله العظيمة لكى تدركنا.. ولكى تكون أيضاً صلاتنا مقبولة نقول: "تنضح علىّ بزوفاك فأطهر، تغسلنى فأبيض أكثر من الثلج.. قلباً نقياً اخلق فىّ يا الله وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى" (مز٥٠: ٧، ١٠). فمن الأمور المهمة جداً أن لا يقف الإنسان أمام الله إلا بالنقاوة والطهارة.

الكاهن عند بداية القداس أثناء غسل اليدين يصلى قائلاً: [أغسل يدى بالنقاوة وأطوف بمذبحك يا رب، لأسمع صوت تسبيحك وأنطق بجميع عجائبك] لكى يتذكر أنه يجب أن يقف بقلبٍ طاهرٍ نقى أمام الله..

أما الذى يدفعه الشيطان أن يصلى وكفى؛ عليه أن يجاوبه: **كيف نسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة؟!**

سبحوا لنا تسبحة من تسابيح صهيون

لم يسألوا تسابيح الرب ولم يكن الهدف من سؤالهم العبادة والتخشع، إنما كانوا يطلبونها كأغنية من الأغانى بغرض اللهو والمرح. ولكى يؤكد المسبيون رفضهم لهذا الأمر؛ إذ كيف يستخدمون تلك القيثارات التى بها يعزف المسبّحون فى الهيكل بأورشليم، كيف يستخدمونها فى الطرب واللهو فى أرض بابل؟! من أجل ذلك علّقوا القيثارات على أشجار الصفصاف.. وكأنهم كمن اعتزل المهنة، فعلق أدواته، معلنين عن عدم رغبتهم فى العزف أو الترنم أو التسبيح.

كيف نسبّح تسبحة الرب فى أرضٍ غريبة؟!

العجيب أن أولئك الذين سبوهم هم أنفسهم الذين يطالبونهم بأن يسبّحوا! لكنهم رفضواً تماماً أن يسبّحوا تسبحة الرب فى أرض غريبة، حتى وإن كانوا هم الذين قد عرَّضوا أنفسهم لأذى هؤلاء.. لكن ماذا يعنى أن الإنسان يسبّح تسبحة الرب فى أرض غريبة؟!

يقول **القديس ثيؤدوسيوس**: [إن الروح القدس يعلِّم النفوس الطاهرة المتبتلة تسابيح مقدسة سرية، ليبتهجوا بها أمام الله فى صهيون السمائية]. الروح القدس يعزف على قيثارة القلب تسابيح قدسية..

يعلِّم النفوس الطاهرة تسابيح مقدسة سرية ليبتهجوا بها أمام الله. وهذه التسابيح السرية المقدسة، تؤهل الإنسان للتسبيح فى أورشليم السمائية. **الإنسان الذى ليس له صلة سرية مع الله، وليس لديه قيثارة يعزف عليها الروح القدس هذه النغمات السرية؛ هذا الإنسان لا يستطيع أن يدخل فى وسط جماعة الأبرار القديسين فى السماء، إذ كيف يتجاوب مع الجو الموجود هناك.**

النفوس المقدسة فعلاً لها تسابيح لا يعرفها أحد غيرها، ولها كلمات سرية مع الله ربما من خلال نفس الكلمات التى يتلوها الكل. فنحن كلنا نصلى صلوات المزامير، لكن ربما تقف نفس أمام الله لتردد تلك الكلمات إنما بمعانٍ سرية خاصة لها صداها فى داخلها، تُدخِل الإنسان إلى شركة عميقة مع الله، فيتطلع نحو الأسرار الإلهية.

"**كيف نسبّح تسبحة الرب فى أرض غريبة؟!**" تسبحة الرب لها مناخ مخصوص تقال فيه، ولها وضع قدسى معين وخشوع ومشاعر معينة، كيف نستطيع فى وسط اللهو والفجور أن نسبّح الرب؟! هل نكون مثل بيلشاصر الملك الذى شرب الخمر فى آنية الرب هو وعظماؤه، فظهرت أصابع يد إنسان وكتبت على الحائط ما معناه وُزنت بالموازين فوُجدت ناقصاً، وفى تلك الليلة قُتل (انظر دا ٥).

وقد وضّح علماء الآثار والحفريات أن بيلشاصر الملك قُتل فى نفس الليلة بطريقة عجيبة جداً؛ فلم يقتحم جيش الأعداء المدينة مباشرةً، لكنهم عملوا سرداباً يوصّل إلى قصر الملك فى بابل، فهجم الأعداء من خلال هذا السرداب وفاجأوا الملك.. وبذلك تحققت كلمات الرب فى تلك الليلة.. لقد أثبت علماء الحفريات هذه الأمور فى دراستهم العلمية ومقارنتها بما ورد فى الكتاب المقدس، وهذا يؤكّد صدق أقوال الكتاب المدوَّنة من الناحية العلمية التاريخية أيضاً.

مَن يسبحون فى أرض غريبة؟

فإذا أخذ هؤلاء المسبيون قيثاراتهم ليعزفوا بها هناك لكان قد حل عليهم غضب إلهى، كما حدث لبيلشاصر..كثيرون **يسلكون فى الحياة الروحية بطريقة شكلية؛ يقرأون الكتب المقدسة، يخدمون، يعظون، أو يمارسون أنشطة كثيرة داخل الكنيسة، لكن الخطية تعمل فى نفس الوقت داخل أنفسهم**.. هؤلاء هم الذين يسبّحون تسبحة الرب فى أرض غريبة..كيف ذلك؟

هؤلاء **يسبّحون بأفواههم فقط ولكن القلب ليس مع الله** كما قال الكتاب: "هذا الشعب قد اقترب إلىَّ بفمه وأكرمنى بشفتيه وأما قلبه

فأبعده عنى" (إش٢٩: ١٣).. من هؤلاء **مَن يدخل الكنيسة وقت القداس إنما عقله منشغل بأمورٍ مادية أو شهوات عالمية**.. مثل هذا يسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة.

ذاك الذى يكون فى قلبه حقد أو كراهية أو شر من أى نوع، ويشترك فى التسابيح والصلوات هذا هو الذى يسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة. كذلك هناك من يقدمون ترانيم بنغمات عالمية صاخبة ويمتزج روح العالم بكلمات التسبيح، وبهذا يسبحون الرب فى أرض غريبة.

إن نسيتك يا أورشليم أنسى يمينى

أورشليم لها ثلاث معانٍ؛ **مدينة أورشليم القدس، وأورشليم السمائية** التى هى السماء حيث الحياة مع الله، **وأورشليم التى هى الكنيسة** كما ذكرنا فى مزمور "هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً". الكنيسة هى جماعة المؤمنين..

وأورشليم أيضاً تشير إلى النفس البشرية.. كل نفس هى عروس للمسيح، تعتبر أورشليم من الناحية الرمزية، وفى مقدمة هذه النفوس التى للرب؛ السيدة العذراء والدة الإله كما يقول المزمور: "أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله.. صهيون الأم تقول إن إنساناً وإنساناً حل

فيها وهو العلى الذى أسسها إلى الأبد" (مز٨٦: ٣، ٥).. مدينة الله هى العذراء مريم، وصهيون أيضاً هى العذراء مريم.

فى أيام السبى كان أولئك يقصدون مدينة أورشليم؛ مدينة داود التى ملك فيها، الموضع الذى فيه أقيم هيكل الله؛ هيكل سليمان.. أما نحن فأورشليم بالنسبة لنا هى السماء والحياة مع الله، والحياة داخل الكنيسة. **وأورشليم هى النفس؛ فإن نسى الإنسان أن يهتم بخلاص نفسه فقد نسى أورشليم**.. معلمنا بولس الرسول يقول لتلميذه تيموثاوس: "**لاحظ نفسك** والتعليم وداوم على ذلك. لأنك إذا فعلت هذا تخلِّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً" (١تى٤: ١٦).. فعندما يقول له: "لاحظ نفسك" أى **اذكر نفسك أو اذكر أورشليم**. من أجل ذلك عندما أرسل السيد المسيح تلاميذه قال لهم: "تكونون لى شهوداً **فى أورشليم** وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع١: ٨) **فأورشليم هى الأولى فى الكرازة**.. فيجب أن يبدأ الإنسان أولاً بنفسه قبل كل شئ، لأن أنفسنا هى هيكل الله "أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣: ١٦).. إذن **حيث يوجد هيكل الله فهناك أورشليم**.

وأورشليم تعنى مدينة السلام حيث المصالحة والسلام بين الله والإنسان. فعندما يدخل الإنسان فى عشرة مقدسة مع الله يصطلح معه وتظهر فيه ثمرة السلام.

أورشليم أيضاً هى السماء؛ أورشليم السمائية التى ينبغى أن نتذكرها باستمرار.. إن نسيتك يا أورشليم وحوّلت ولائى وحبى إلى مدينة أخرى أرضية عالمية.. إن نسيتك أكون قد ارتضيت أن تكون بابل هى وطنى، وبذلك أدخل فى حالة من الارتخاء، ولا أعود للتفكير فى العودة إلى أورشليم، وهكذا نظل فى السبى.

لى اشتهاء أن أنطلق

أولئك المسبيون لم يرضوا أن يسبحوا إذ هم متطلعون فى اشتياق للعودة إلى أورشليم.. فالتسبيح تمخض به قلوبهم، وكأنه محجوز داخلهم فى حبس.. مشتاقين للتسبيح لكنهم لا يستطيعون بل يقولون: كيف نسبّح تسبحة الرب فى أرض غريبة؟!

هكذا قال بولس الرسول: "لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً" (فى١: ٢٣).. فالإنسان يعيش على الأرض ويشعر أنه فى غربة كما يقول الكتاب: "أيها الأحباء أطلب إليكم **كغرباء** ونزلاء أن

تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس" (١بط٢: ١١). ويقول معلمنا بولس الرسول: "**ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة**" (عب١٣: ١٤).

من أجل ذلك كلما رتّل الإنسان هذا المزمور كأنه يقول: أنا لا أستطيع أن أنسى أن لى وطن آخر فى السماء؛ هذا هو الوطن الحقيقى أما فى هذا العالم فهو مكان غربتى.

هنا على الأرض يمكن للإنسان أن يؤدى رسالته بكل أمانة وسط إخوته وشعبه، ويحب الكل لأن الوصية نفسها تأمره بذلك، **إنما أشواقه كلها تكون نحو السماء، لا يحب الأرض فلا يرتبط بها**.

إن لهوت عن ذكرك بذكر أشياءٍ أخرى اشتهيتها وتغنيت بها ومدحتها، إن ظللت تتكلم عن المادة وعن أمور العالم وشهوات الدنيا ومفاتنها، إن انشغلت بكل هذه الأمور يقول المرتل: **إن نسيتك يا أورشليم السمائية أنسى يمينى**، أى تفقد قوتها وتتوقف عن العمل.

ويلتصق لسانى بحنكى. إن لم أذكرك

من الأفضل جداً أن لا أتكلم البتة، خير من أن أتحدث فى أمور العالم الباطلة فأميل نحو العالم، "فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم"

(مت١٢: ٣٤) و"حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً" (لو١٢: ٣٤).. يجب أن نحرك أحشاءنا بالشوق والحنين نحو السماء.

تذكّر الملكوت لتتحرك فيك شهوته

يقول أحد القديسين: [تذكّر ملكوت السماوات لتتحرك فيك شهوته].. من يفكر فى السماء والملائكة والقديسين تبدأ شهوة الدخول إلى الملكوت، وشهوة الحياة مع الله تدخل إلى قلبه.. لماذا ترك كثيرون العالم وذهبوا إلى البرية للأديرة للترهب؟ أليس لكى يتفرغوا للتطلعات الروحية والتأمل الروحى..

فى هذا المناخ تزداد حرارة أنفسهم فى الرغبة للوصول إلى ملكوت الله.. هذا هو أهم هدف فى حياة الرهبنة.. يحرك الإنسان كل شهوته نحو السماء. ويستكمل هذا القديس قوله فيقول للخاطئ: [تذكّر جهنم لتبغض أعمالها] فكلما تذكّرت السماء؛ تشتهى الملكوت. بينما إن تذكّرت جهنم؛ تبغض أعمالها وتهرب منها لئلا تتوانى وتتكاسل فى الخطية.. هذا يعطينا منهجاً روحياً مهم هو أنه حيثما يوجه الإنسان نفسه هناك تكون.

هذا هو عمل القديسين

"إن نسيتك يا أورشليم أنسى يمينى" أنا لا أقدر أن أنساكِ البتة.. ويقول لنفسه هيا يا نفسى لتتأملى وتتفكرى فى أمجاد الملكوت.. **هذا هو عمل القديسين.**

وتمتلئ سير القديسين من أمور عجيبة فى هذا الأمر.. يحكى بستان الرهبان عن أحد القديسين كان يضع قفتين بجانبه كلٍ من ناحية، وتارة يضع حصى فى إحداهما وتارة أخرى يضع الحصى فى الأخرى، وعندما ألحوا عليه ليعرّفهم ماذا يفعل، أجابهم أنه يراقب أفكاره؛ فإذا جاء على فكره أفكار مقدسة يضع الحصاة فى القفة عن يمينه، وإذا جاء على فكره أفكار غير مقدسة أو باطلة يضع الحصاة فى القفة عن يساره، ثم فى آخر يومه يحاسب نفسه أى القفتين حصاها أكثر، وبهذه الطريقة كان يتابع حياته الروحية، ويعطى لنفسه قوانين وتأديبات لتقويمها.. تُرى ما فلسفة هذا العمل؟!

هذا العمل ربما يبدو غريباً فى ظاهره، إنما فلسفته هو إنسان يدرّب نفسه أن لا تتوانى أبداً عن التفكير فى أمور الملكوت.. لا يريدها أن تنشغل بأى أمر من أمور العالم كما قيل: [تذكّر ملكوت السماوات لتتحرك فيك شهوته].

تُرى كم من الوقت نفقده فى أمور عالمية؟ آباؤنا الرهبان أرشدهم الرب للحكمة فاختاروا النصيب الصالح لكى يتفكروا دائماً فى الأمور الروحية السمائية.. فيجب أن نحفظ أفكارنا دائماً، يجب أن نحرك أحشاءنا بالشوق والحنين نحو السماء.

إن لم أسبق فأرتب أورشليم فى ابتداء فرحى

فى حياتنا مع الله يحتاج الإنسان أن يجعل الأمور الروحية (مثل الصلاة ودراسة الكتاب) فى البداية دائماً، كما يقول الرب: "الذين يبكرون إلىَّ يجدوننى" (أم ٨: ١٧).. إذا كان الإنسان لديه عملين أحدهما روحى، فالأفضل جداً أن يبدأ ويرتّب العمل الروحى فى البداية، لئلا يعتاد أن يترك عنه العمل الروحى وينشغل فى أمورٍ أخرى كثيرة.

أورشليم أولاً

لأن القلب متعلق بالسماء وأفراحها التى هى الأفراح الحقيقية..كل ملذات العالم وشهواته ومتعه لا تجذبه ولا تشغله.. إنما ابتداء فرحه دائماً هى أفراح الروح؛ يفرح جداً بصلاة طويلة معزية، يفرح جداً بقداس يشعر فيه بعمق الشركة مع الله، يتذوق حب الله من خلال التناول من جسد المسيح ودمه، أكثر مما يفرح بأى أمر من أمور العالم سواء كان

متع باطلة محرمة أو حتى متع وملذات غير محرمة.. ليس فقط الأمور التى تُعتبر خطية، إنما حتى تلك التى ليست خطية. عندما يكون قلب الإنسان منشغلاً بالله، تكون المسرات العالمية بالنسبة له أموراً ثانوية جداً، ويقل اهتمامه بها..

"إن لم أفضّل أورشليم على أعظم فرحى" تعطى معنى أن أى شئ ضد أفراح أورشليم السمائية يكون مرفوضاً تماماً، ولا شئ يجتذب الإنسان بعيداً عن أفراح الروح مهما كان الفرح الذى يجلبه على الإنسان.

اذكر يا رب بنى أدوم فى يوم أورشليم القائلين: انقضوا انقضوا حتى الأساس منها!!

بنى آدوم

أدوم هى فى أرض سعير حيث سكن عيسو أخو يعقوب، ولأن عيسو لما وُلد كان مشعراً مثل الفراء بلون أحمر؛ لذلك دُعى أدوم-تلك الكلمة العبرية التى تعنى أحمر.. وحتى آدم يعنى اسمه أحمر لأن الله أخذه من تراب أحمر فى منطقة ما بين النهرين وليس من طينٍ أسود مثل طمى وادى النيل، الذى من أجله يميزون أرض مصر ويسموها "كيمى" أى الأرض السوداء وباللغة القبطية "xhmi".

أما التراب الموجود فى منطقة ما بين النهرين يكون طيناً أحمراً، ولأن الرب جبل آدم من طينٍ أحمر دعاه آدم، وهذا الاسم يذكّره دائماً أنه قد أُخذ من تراب الأرض.. ولما أخطأ آدم ودخل الموت إلى العالم قال له الله: "**لأنك تراب وإلى ترابٍ تعود**" (تك٣: ١٩).. وعند موت الإنسان يتحلل جسده إلى تراب؛ ليس تراباً أسوداً كالطمى أو الأرض السوداء إنما تراب يميل إلى الحمرة.

الذين حضنتهم أفناهم عدوى

بنو أدوم هم نسل عيسو، وكان هناك عداءٌ شديدٌ بينهم وبين أورشليم، وعندما جاء جيش الكلدانيين من بابل، وحاصر أورشليم حدثت مأساة قاسية جداً يمكن أن نرى لمحة بسيطة منها فى مراثى أرميا الأصحاح الثانى: "كلت من الدموع عيناى. غلت أحشائى. انسكبت على الأرض كبدى على سحق بنت شعبى لأجل غشيان الأطفال والرضع فى ساحات القرية. يقولون لأمهاتهم أين الحنطة والخمر إذ يُغشى عليهم كجريح فى ساحات المدينة إذ تُسكب نفسهم فى أحضان أمهاتهم" (مرا ٢: ١١، ١٢)، وأيضاً "انظر يا رب وتطلع بمن فعلت هكذا. أتأكل النساء ثمرهن أطفال الحضانة. أيُقتَل فى مقدس السيد الكاهن والنبى. اضطجعت على الأرض فى الشوارع الصبيان والشيوخ.

عذارای وشبانی سقطوا بالسيف. قد قتلت فى يوم غضبك ذبحت ولم تشفق. قد دعوت كما فى يوم موسم مخاوفى حوالىَّ فلم يكن فى يوم غضب الرب ناجٍ ولا باقٍ. **الذين حضنتهم وربيتهم أفناهم عدوى**" (مرا ٢: ٢٠-٢٢).

مما تقدم يتضح أن حتى الأطفال قد قاسوا الأمرّين فى حصار أورشليم هذا.. قد وقف بنو أدوم شامتين وأورشليم تتنهد، صاروا متهللين قائلين انقضوا اهدموا حتى الأساس منها..

"اذكر يا رب بنى أدوم" أما فى حياتنا نحن الروحية فمن هم الذين يشمتون عندما نقع فى الخطية سوى الشياطين، وكما قال المرتل فى المزمور: "يا رب لماذا كثر الذين يحزنوننى كثيرون قاموا علىّ كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بإلهه" (مز٣: ١، ٢) هكذا الشياطين دائماً تعيّرنا إذا سقطنا.. يقول المزمور: "إلى متى يا رب تنسانى إلى الانقضاء، حتى متى تصرف وجهك عنى.. إلى متى يرتفع عدوى علىَّ.. الذين يحزنوننى يتهللون إن أنا زللت" (انظر مز ١٢).. عندما ترجع النفس لله بالتوبة تقول له: اذكر يا رب بنى أدوم فى يوم أورشليم.

فى يوم أورشليم

يوم أورشليم هذا الذى جاء عليها عندما سقطت ودُمرت.. فى ذلك اليوم كان الأعداء فرحين، فرُد يا رب فرحهم وكيدهم على رؤوسهم، وأقلب فرحهم إلى حزن، ليخزَ جميع المقاومين.

عندما نصلّى هذا المزمور نتذكر دائماً أن بنى أدوم يرمزون إلى الشياطين الذين يشمتون عند وقوعنا فى أى خطية، ونقول للخطية مع النبى: "لا تشمتى بى يا عدوتى، إذا سقطتُ أقوم، إذا جلستُ فى الظلمة فالرب نورٌ لى" (مى٧: ٨).. إذا وقع إنسان فى الخطية، يحاول الشيطان أن يحطمه إلى النهاية وينتزع من قلبه كل رجاء وكل جذور علاقته مع الله، كما يقول المرتل إن بنى أدوم قالوا: "انقضوا انقضوا حتى الأساس منها" يريد أن يسقطه فى اليأس تماماً، ويقطع كل علاقته مع الله، لكى لا تصير له عودة أخرى أو قيام مرة أخرى.

يا بنت بابل الشقية طوبى لمن يكافئك مكافأتك التى جازيتنا. طوبى لمن يمسك أطفالك ويدفنهم عند الصخرة. هللويا

لقد فسّر بعض المفسرين بنت بابل أنها أدوم.. لكن إن كان المزمور بدأ ببابل فأدوم هنا ذُكرت عارضاً.. والأرجح هو التفسير

المباشر؛ أن بنت بابل التى هى بنت بابل فعلاً وليست أدوم.. ماذا عملت بنت بابل فى أورشليم؟!

كما ذكرنا فى مراثى أرميا؛ فى لحظة سقوط أورشليم قد حدثت مذبحة قُتل فيها الأطفال وعقرت بطون الحوامل وذُبحت العذارى والشبان.. فكان ذلك فناءً أو شبه فناء لأورشليم.

إذا كان يقول اذكر يا رب بنى أدوم الشامتين، فما هو الحال فى أولئك المدمرين.. يقول المرتل يا بنت بابل كما صُنِع ببناتنا فى أورشليم، هكذا فليُصنَع فيكِ أنت وبناتك.. لكن تُرى من هى بنت بابل التى نتحدث عنها؟

حتى لا يظن أحد أننا نلعن أو نسب أو نتمنى الشر لأحد من الناس، فإننا فى المسيحية لا نلعن أحداً..

قبل الكسر الكبرياء

لنتذكر بابل حيث البرج العالى؛ حيث الكبرياء والتشامخ.. بابل هى رمز لخطية الكبرياء التى هى أصل كل الشرور والخطايا كقول الكتاب "قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم١٦: ١٨).. بنت بابل هى الخطية التى وُلدت من خطية الكبرياء.

خطية الكبرياء تلد الزنا، كما قال الآباء القديسون إن الإنسان المتعجرف يسقط فى الزنا.. لأن شيطان العجرفة يسلّمه لشيطان النجاسة ليذله..

الكبرياء أيضاً تولّد الغضب، والحسد، والحقد، والنميمة، والقساوة، ومحبة الذات، ويمكن أن توصل إلى الأنانية التى تؤدى بدورها إلى السقوط فى أنواع الخطايا الحسية المختلفة..

إن خطية الشيطان نفسه الأولى كانت هى الكبرياء، وعندما أراد أن يُسقِط الإنسان الأول أسقطه أيضاً فى الكبرياء، إذ قال له ستصير مثل الله.

نقرأ فى الكتاب أن "الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (١بط٥: ٥)، **ولقداسة البابا شنودة الثالث** تعبير جميل فى هذا الأمر يقول فيه: [إن الشيطان يحارب كل الناس بالخطايا، أما المتكبر فلا يحاربه الشيطان! ذاك لأنه يكون قد وصل به إلى الخطية الأم التى تلد جميع الخطايا].. هذا أقصى ما يعمله الشيطان وهو أن يصل بالإنسان إلى الكبرياء، وهناك لا يحتاج أن يحاربه إذ يصير الإنسان عدواً لنفسه! إذا وصل إلى الكبرياء يكون قد انتهى أمره أو قُل على وشك الانتهاء.. وأسوأ من هذا يصير ذاك الإنسان صورة من الشيطان..

بنت بابل

بابل هى رمز الكبرياء الروحية.. إنسان يشعر أنه شئ، ولا يحتاج إلى الله. فعندما أرادوا أن يبنوا ذلك البرج أرادوا بذلك أن يصعدوا به إلى فوق لكى يرتكبوا الخطايا كلما أرادوا ولا تمتد إليهم يد الله بالعقوبة.

مِن أطفال الكبرياء أيضاً: الانحصار حول الذات والذى يؤدى إلى الرغبة فى اللذة، لأن الذات مسيطرة فتتولد محبة اللذة، ومن هنا يدخل الزنا والفسق والفجور..

إذن أطفال بنت بابل هم جميع الخطايا التى نعرفها والتى لا نعرفها.

طوبى لمن يصنع بكِ كما صنعتِ بنا.. ماذا عملتِ؟.. قتلتِ أطفالنا، فنحن أيضاً نقتل أطفالك التى هى الخطايا المتنوعة الكثيرة، لكن كيف نقتلهم؟

نضرب بهم الصخرة، أو ندفنهم عند الصخرة.... ويقول الكتاب "لأنهم كانوا يشربون من صخرةٍ روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح" (١كو١٠: ٤)، هذه الخطايا التى ينبغى أن نمسكها ونضرب بهم الصخرة التى هى المسيح (انظر ١كو١٠: ٤) **يضرب بهم الصخرة أى**

يأتى عند أقدام الصليب ليدفن هذه الخطايا، عند أقدام الصليب، عند الجلجثة ويضرب بهم الصخرة ليقتلهم روحياً "من سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه" (مت٢١: ٤٤).

وعندما اعترف بطرس بأن المسيح هو ابن الله الحى، أجابه وقال: "أنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى **هذه الصخرة** أبنى كنيستى، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت١٦: ١٨)، هذه الصخرة **هى الإيمان بالمسيح الذى هو ابن الله الحى، وليست هى بطرس.** إنما **اعتراف بطرس** هذا **هو صخرة الإيمان** التى بنى السيد المسيح كنيسته عليها..

يقول الكتاب عنه إنه "**الحجر** الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية. كل من يسقط على ذلك الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه" (لو٢٠: ١٧، ١٨).. فبالرغم من أن السيد المسيح وديعٌ ومحبٌ جداً لكنه كالصخر إذا سقط على أحد يسحقه تماماً..

هذا ما يحدث عندما نأتى تحت أقدام الصليب، لنعترف بخطايانا ونقدم ضعفنا أمام إلهنا، فالله بقوته الإلهية يسحق الشيطان تحت أقدامنا سريعاً.. هذا الإنسان الضعيف يكون الشيطان أمامه قوى وجبار، لكن **أمام صخرة الإيمان بالمسيح، وعند أقدام الصليب وفوق الجلجثة**

هناك ندفن جميع الخطايا والشرور، فيخرج الإنسان وقد انتقم لنفسه من الخطية..

والصخرة كانت المسيح

يدّعى الكاثوليك أن بطرس هو الصخرة عندما قال له الرب أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى.. ولكن كلمة بطرس التى هى باليونانية Pe,troj هى مجرد اسم، وفى اللغة اليونانية الكلاسيكية تعنى حجر أو جزء مقطوع من الصخر. أما فى عبارة "على هذه الصخرة أبنى كنيستى.." فإنه يستعمل الكلمة المؤنثة Pe,tra التى تعنى صخرة ككيان حقيقى، وذلك تمييزاً لها عن الحجر أو الجزء المقطوع من الصخرة. قال الرب: "أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابنى كنيستى" **أى صخرة الإيمان الذى نطق به** الذى هو: "أنت المسيح ابن الله الحى".. كما يقول بولس الرسول: "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء **ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية**" (أف٢: ٢٠).

هل معقول أن يبنى السيد المسيح كنيسته على إنسان معرض للضعف، وإن كان ذلك فما هو عمل السيد المسيح إذن؟! فهو عريس الكنيسة ومؤسسها، وهو صخر الدهور والكنيسة هى عمود الحق وقاعدته

(انظر ١تى٣: ١٥). من ذلك يتضح أن الصخرة هى المسيح، ولذلك عندما ضرب موسى الصخرة مرتين غضب عليه الله، إذ أن الضربة الأولى كانت رمزاً لموت السيد المسيح على الصليب، الذى ماته مرة واحدة البار من أجل الأثمة (انظر ١بط٣: ١٨)، إنما عندما يضرب الصخرة مرتين يصلب لنفسه ابن الله ثانية ويشهره (انظر عب٦: ٦)، لذلك غضب عليه الله ولم يدخله أرض الميعاد بل نظرها من بعيد رغم محبته له ومكانته عنده.

عند أقدام الصليب

إن كنت تريد أن تنتقم فانتقم من الشيطان، وجِّه كل طاقة الانتقام التى فيك وكل طاقة الغضب اتجاه الخطية واتجاه الشيطان..

إذا كرهت الشيطان لا تكون هذه كراهية، أو كأنك تحب البغضة، لأن الشيطان هو عدو الله وعدو كل بر، فأننا نكره كل من يعلن الله أنه قد صار عدواً له، لأن عدو الله هو عدو المحبة، فلا يمكن أن نتجه نحوه بالحب. وعندما يقول الكتاب "اغضبوا ولا تخطئوا" (مز٤: ٤) أى أننا نغضب على الخطية، ونغضب على الشر لكى لا نخطئ.

لنأخذ الخطايا ونأتى بها عند أقدام السيد المسيح، وهناك تتحطم تلك الخطايا ويخرج الإنسان متحرراً من هذا الثقل.. الذى فى سبى بابل يذهب إلى هناك مأسوراً بالخطية، لكنه يبكى وينوح بالتوبة، وبذلك يخرج محالَلاً مبارَكاً.. يصلى الأب الكاهن على رأسه صلاة التحليل فتُدفن الخطايا عند الصخرة.

المزمور هنا يطوّب الإنسان الذى يتوب
يالسعادة هذا الإنسان الذى لا يتوانى أن يحارب الخطايا
ويأتى إلى السيد المسيح لكى يمنحه خلاصاً وغفراناً
وحياةً أبدية، ويتهلل أمام الله

مقدمة عن صلاة المزامير

الروح يقتادك فى الصلاة

الجميل فى المزامير أنه كما إنها كلام الله، هى فى نفس الوقت كلام الإنسان، وكما يقول معلمنا بولس الرسول "لأننا لسنا نعلم ما نصلّى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها" (رو٨: ٢٦)، فمن الأمور المفرحة للإنسان الذى يصلّى أن يشعر أن الروح القدس يقتاده فى الصلاة بصورة يقدر أن يعبّر بها عن احتياجاته، ويطمئنه أن الله سيستجيب بل وسيعطيه أكثر جداً مما يطلب أو يفتكر.

لقاء بين الله والإنسان

فى المزامير تتعلم كيف تتكلم مع الله، كما أنك تسمع صوته أيضاً. كقول المرنم: "إنى أسمع ما يتكلم به الرب الإله" (مز٨٤: ٨)[١].

ويتجلى هذا اللقاء العذب بين الله والإنسان فى كثير من المزامير، ففى مزمور الساكن فى عون العلى يقول المصلى: "أنت هو ناصرى وملجأى،

[١]) نصوص وترقيم المزامير هى حسب الترجمة القبطية.

إلهى فأتكل عليه" (مز٩٠: ٢)، فيرد الله ويقول: "جعلت العلى ملجأك فلا تصيبك الشرور" (مز٩٠: ٩، ١٠).

المزامير حديث متبادل

شئ جميل أن نصلى بكلام الله نفسه؛ نتعلم ونحن نصلى.. نتعلم من أنفاس الله المقدسة. والصلوات التى أوحى بها الروح القدس تعطى للإنسان طمأنينة كبيرة جداً فى علاقته مع الله.

أصلّى مثلاً المزمور الثالث "يا رب لماذا كثر الذين يحزنوننى"، وأجد أن هذه الأفكار كثيراً ما تكتنفنى، وأتساءل هل لى خلاص، هل سأصل إلى الملكوت أم لا، ويكون الإنسان قلقاً من جهة أبديته وخلاص نفسه. لكن كلما أجد أن الله نفسه أوحى بهذه الكلمات، ووضعها لى لأصلّى بها. فإن هذا يجعلنى أشعر أن الواقع الذى أعيشه، والمخاوف التى أحس بها، يعرفها الله نفسه بدليل أنه كتبها لأجلى لكى أصلّى بها. لم يكتبها لى أحد القديسين أو أحد الآباء أو أحد المرشدين، إنما الروح القدس نفسه هو الذى أوحى بهذه الكلمات كقول معلمنا بطرس الرسول: "لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢بط ١: ٢١).

والسيد المسيح قال: "لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء **والمزامير**" (لو٢٤: ٤٤). فالسيد المسيح نفسه **شهد لسفر المزامير بأنه موحى به من الله**. فعندما يقول الإنسان فى صلاته "كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بإلهه"، "فأنت يا رب أنت هو ناصرى، مجدى ورافع رأسى" (مز٣: ٢، ٣) أنت يا رب مجدى، وأنت الذى ترفع رأسى على أعدائى، وأنت الذى تعطينى الانتصار الروحى، وأنت الذى تبطل تعييرهم لى، وتحت ستر جناحيك أشعر بالأمان.

المزامير طلب ووعد بالخلاص

"لماذا كثر الذين يحزنوننى" (مز٣: ١) إنسان يتكلم مع الله ويقدم له شكواه، وييثه أشجانه ومشاعره ومتاعبه. فيجيبه الله بنفسه من خلال كلمات المزمور ويعطيه وعوداً. عندما تقول فى هذا المزمور "أنت يا رب أنت هو ناصرى" من جانبك أنت تعلن هذا بأنك تؤمن أن الله قادر أن يعطيك هذه النصرة، ومن جانب آخر أنت تأخذ وعداً من الله أن يكون هو ناصرك.

إذا كانت هذه هى كلماتك أنت؛ فستكون مجرد صلاة. إنما إن كان الله هو الذى أعطاك هذه الكلمات لكى تصلّى بها، فتكون **طلباً ووعداً بالخلاص فى آنٍ واحد.**

المزامير مدرسة الصلاة

الجميل فى مزامير معلمنا داود النبى أنها تعبّر عن حياة الإنسان الروحية بصورة صادقة.. بل الجميل بالأكثر أن هذه الكلمات لم تأتِ بمشيئة إنسان، ولكن تكلّم بها داود النبى مسوقاً بالروح القدس، أى أن هذه الكلمات يكلّم بها الإنسان الله، وقد أعطاها الله للإنسان ليكلمه بها.. وهى تعبّر عن حياة الإنسان الروحية بكل مراحلها وكل حالاتها.. فيجد الإنسان فيها ما يناسب حالات الفتور الروحى، حالات الضعف، حالات السقوط، كما يجد ما يناسب حالات التوبة، والنصرة، أيضاً يجد مشاعر الفرح والشكر والرجاء، وتذكُّر إحسانات الله، والتأمل فى خلاصه العجيب..

من أجل ذلك اعتبر الآباء القديسون المزامير مدرسة للصلاة، كما اعتبروها حياة روحية، بل حديقة مملوءة بالأثمار الحسنة.. أما بالنسبة للآباء الرهبان، فكانوا يعتبرون المزامير هى حياتهم، أو أهم شئ فى

تكوينهم الروحى.. لكن ليس الرهبان فقط بل كل المتدينين سواء فى العهد القديم أو فى العهد الجديد..

وترتَل المزامير بأنغام بالمزمار والقيثار، بصنوج التسبيح.. وعندما كتب داود النبى المزامير كتبها فى صورة شعرية بحيث إنها تصلح لأن تكون تراتيل وأغانى روحية، وتقال بنغمات الموسيقى فى صلوات كلها عاطفة من عمق المشاعر.

المزامير مدرسة وحصن

كما أن المزامير مدرسة للصلاة، هى أيضاً حصن لحياة الإنسان الروحية، منها ترتعب الشياطين لأنها كلمات نطق بها الروح القدس. كما أن لها قوة وتأثير الروح القدس، كما قال السيد المسيح: "إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (مت١٢: ٢٨).

والسيد المسيح قال لليهود: "ماذا تظنون فى المسيح، ابن من هو؟ قالوا له ابن داود. قال لهم: **فكيف يدعوه داود بالروح رباً** قائلاً قال الرب لربى اجلس عن يمينى.." (مت٢٢: ٤٢-٤٤). **إذن فالسيد المسيح نفسه شهد أن داود نطق بهذه المزامير بالروح القدس.**

المزامير رعب للشياطين

من المعروف أن المزامير ترهب الشياطين وتفزعهم، لهذا عندما كان داود النبى يعزف على القيثار أو يزمر أمام شاول الملك، كان داود النبى يقيّد الروح فلا يعذّب شاول ويهدأ عنه فيستريح. لأن روح الله الذى يحرك داود وينطق على لسانه كان يقيّد الشيطان. فعلاقة الشيطان بالمزامير علاقة قديمة ومنذ زمن بعيد يرتعب منها.. فما بالك إذا أضيفت إليها بركات العهد الجديد حينما نصلى بها ونحن فاهمون أسرار الخلاص، وباسم الرب يسوع. فبجانب أنها مدرسة تعلمنا الصلاة لأنها صلاة موحى بها من الله، وإلى جانب أنها دراسة فى الكتاب المقدس وصلاة فى آنٍ واحد، فهى أيضاً **لها قوة وفاعلية فى محاربة الشياطين**. ونسمع عن أشخاص لهم موهبة إخراج الشياطين يستخدمون صلوات المزامير بوجه خاص لإخراج الشياطين من المعذَبين بها.

الإنسان الذى يصلّى بالمزامير ترتعب منه الشياطين وتخافه، ويقال أن من يحب المزامير ويصليها بتأمل وروحانية، ففى وقت انتقاله بالإضافة إلى حضور السيدة العذراء مع الملائكة لاستقبال نفس هذا الإنسان، يأتى داود النبى أيضاً بمزماره وقيثاره وأوتاره لكى يستقبل هذه النفس على نغمات المزامير الحلوة التى عاشت بقوتها، وسبّحت الرب بها كل حين.

المزامير معين فى الجهاد

ما أجمل الصلاة بالمزامير كما يقول **قداسة البابا شنودة الثالث** – أطال الرب حياة قداسته- **{احفظوا المزامير تحفظكم المزامير}**. فالمزامير تستطيع أن تحفظ الإنسان فى جهاده الروحى وفى علاقته مع الله، فى حربه ضد الشيطان، وتستطيع أن تقيمه من عثرته ومن سقوطه، وأن تثبته فى حياة النصرة لكى يقوم فى حياة البر والطهارة..

بهذا نشعر أن سفر المزامير بحر متسع لا حدود له، غنى بالتأملات الروحية، بالمعانى الجبارة وبالوعود العظيمة، وبالدروس المفيدة جداً لحياتنا الروحية.

المزامير مرآة النفس

وللقديس أغسطينوس قول جميل عن الصلاة بالمزامير إذ يقول **{شكِّل روحك بمشاعر المزمور}**.. أى اجعل روحك تتشكل مع مشاعر المزمور الذى تصليه؛ فإن كان المزمور ينفث روح صلاة فلتصلِ، وإن كان مملوءاً تنهداً تنهد أنت أيضاً، إن كان مفرحاً افرح معه، وإن كان للتشجيع واهباً رجاءً ترجى الله. إن كان يدعو إلى الخوف والتقوى ارتعب

أمام العظمة الإلهية.. فإن كل هذه المشاعر تحمل مرآة تعكس سماتنا الحقيقية.. دع قلبك يعى ما تعنيه كلمات المزامير.

المزامير رمز لتجسد الكلمة

فى المزامير تتجسد العشرة مع الله، مثل تجسد الله الكلمة **إنما على سبيل الرمز**، لذلك فأغلب المزامير تحمل نبوات كثيرة جداً عن السيد المسيح.. والشياطين ترتعب من المزامير جداً لأنها تحمل كثير من النبوات.. فهى أفكار إلهية منطوقة من خلال واقع إنسانى، لذلك عندما تصليها تستقى من فكر الله نفسه لكن بما يتناسب مع طبيعة حياتك كإنسان..

ضمان للصلاة حسب مشيئته

فى المزامير تتأكد أن صلاتك هى حسب إرادة الله.. ربما يتشكك البعض من قبول صلواتهم، بل ربما يخشى البعض أن تغضب صلواتهم قلب الله، ويخاف الإنسان أن يتجاوز بُعداً معيناً فى صلواته. لكن فى المزامير يمكنه أن يقول إلى متى يا رب تنسانى.. إلى متى يرتفع عدوى علىَّ.. ألا ترى يا رب أن الأعداء يشمتون بى، والشياطين تتهلل بسقوطى..

الله يريدك أن تقول له هذا فلا تخف. **الله يريدك أن تدخل معه فى حوار، يقول لك: أريدك أن تكلّمنى من الواقع الذى تحيا فيه وتشعر به،** أريد أن أسمعك تقول لى إلى متى تنسانى، لكى أجيبك وأُعرّفك إرادتى. فربما تركتك لكى تتعلم الحرب.. ربما تركتك لكى تدرك أنك بدونى لا تقدر أن تعمل شيئاً. وإذا أدركت هذا أقوم الآن أصنع الخلاص علانية.. هكذا تعيش فى خبرات ممتدة فى عشرة الرب والشركة معه.

المزامير من مواهب الروح القدس

صلاة المزامير لها أهمية خاصة بالنسبة لحياتنا الروحية، لأنها تقدم لنا منهجاً للصلاة. وقد ذكر معلمنا بولس الرسول عن وضع الكنيسة فى العصر الرسولى، إذ لم تكن الكنيسة قد ترتبت بالصورة الحالية، فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول: "فما هو إذاً أيها الإخوة. **متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور**، له تعليم، له لسان، له إعلان، له ترجمة، فليكن كل شئ للبنيان" (١كو١٤: ٢٦).. هذا يعنى أن من مواهب الروح القدس التى كانت تعمل فى الكنيسة فى العصر الرسولى كانت **موهبة المزامير**.

المزامير منهج الكنيسة

كان الروح القدس يحل على أحد المؤمنين أو يملأه ويمنحه موهبة فينطق بأحد المزامير الموحى بها من الله "أما الأنبياء فليتكلم اثنان أو ثلاثة وليحكم الآخرون" (١كو١٤: ٢٩). لأن هناك فى الكنيسة موهبة تسمى موهبة تمييز الأرواح كما قال: "لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة. ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد. ولآخر إيمان بالروح الواحد ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد. ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح ولآخر أنواع ألسنة. ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء" (١كو١٢: ٧-١١).

موهبة تمييز الأرواح كانت من ضمن مواهب الروح القدس، لذلك قال وليحكم الآخرون حتى إذا نطق أحد بمزمور من نفسه لا يناسب الحال أو المقام، فمن له تمييز الأرواح يمكن أن يكشفه، ومن يتكلم بألسنة غير حقيقية كنوع من الرطانة أو الانفعالات العصبية أيضاً من الممكن أن يُكشَف فى الكنيسة.

ففى الكنيسة كانت موهبة تمييز الأرواح للحكم فى الأمور التى تحدث فيها، فكانوا يفرزون إن كان هذا الأمر من الروح القدس أم لا.

من هذه الإعلانات الإلهية كان الروح القدس يعطى لإنسان فى الكنيسة أن ينطق بمزمور، سواء هذا المزمور من مزامير داود النبى أم مزمور آخر مثل مزامير آساف أو غيرهما من الأنبياء أصحاب المزامير المدونة فى سفر المزامير، ينطق بالمزمور أى يعلن أسرار إلهية وينطق بكلام الله. بنفس الحالة التى كان عليها داود النبى عندما كان يصلّى بالمزامير، إذ كان يحل عليه روح الرب ويعزف على قيثارته. وكان الروح القدس يعزف على فمه وعلى يده أعذب الألحان وينطق بأعمق الكلمات الروحية.

الروح القدس نفسه الذى أوحى بهذه المزامير هو يعطى للإنسان الذى يصلّى بها فهماً للمزامير.. فإن كان من الممكن أن يعطى موهبة ترجمة للغاتٍ لم نتعلمها فهل لا يستطيع أن يترجم المزمور إذا قيل بلغتنا؟! من أجل ذلك لابد أن نقترب من المزامير بروح الفهم والتأمل. ونطلب أن يعلن الرب فى قلوبنا قوة معانيها.

الكنيسة منقادة بالروح القدس

ربما يتساءل البعض عما ذكرناه فى رسالة كورنثوس لماذا لا يعطى الروح القدس فى هذه الأيام مزامير مثل العصر الرسولى أو لا يعطى لسان أو إعلانات متواصلة غزيرة بنفس الصورة التى كانت فى العصر الرسولى؟

فى العصر الرسولى لم تكن طقوس الكنيسة قد ترتبت، ولم يكن هناك أناجيل أو رسائل، فإذا اجتمعت الكنيسة كانت تحتاج إلى أن يحرك الروح

القدس الحاضرين فيها لكى يقدموا للشعب تعليماً أو إعلاناً من الله، سواء أثناء الصلاة عن طريق التكلم بألسنة بشرط أن يترجم أحد، أو عن طريق موهبة النبوة.. فكان الروح القدس شخصياً يقوم بعملية التعليم فى الكنيسة. فبدلاً من القراءات الكنسية كان الروح القدس بنفسه يتولى تعليم المؤمنين، فكان يحرك أحد الحاضرين لينطق بإعلانات إلهية إذ لم يكن هناك أناجيل.

وحتى إن قرأوا فى العهد القديم سواء فى الأنبياء أو المزامير أو ناموس موسى فكانوا محتاجين شرحاً لهذه الأسفار ومعرفة مدى مطابقتها لمفاهيم العهد الجديد.

وبعد أن كتب معلمنا بولس الرسول –كمعلم فى الكنيسة– رسالته إلى العبرانيين وباقى رسائله، وشرح مفهوم الكهنوت فى العهد الجديد ومقارنته بالكهنوت الهارونى، وشرح مطابقات، وأظهر أن أمور العهد القديم هى ظل الأمور العتيدة وبدأ يقارن بين الرمز والمرموز إليه. وبعد أن اتضحت هذه المفاهيم، أصبح فى الكنيسة إمكانية الاستفادة من أسفار العهد القديم بصورة تجعل الإنسان يفهم ماذا تقصده هذه الأسفار بالنسبة لقضية الفداء والخلاص. أما فى العصر الرسولى فكان لابد أن يقوم الروح القدس شخصياً بالتعليم فى الكنيسة.

فإذا وقف أحد ليتكلم بعظائم الله ويتكلم عن أسرار الفداء وأسرار الخلاص، التى نقرأها نحن اليوم فى الأناجيل إذ نقول قال الرب يسوع.. أما من كان له موهبة الإعلانات كان يقول: قال الرب يسوع دون أن يراه أو يسمع منه بالجسد. ولكن الروح القدس هو الذى يعطيه أن يقول ما قاله الرب يسوع.

الوحى الإلهى

هذا الوضع كان لازماً وضرورياً جداً لبنيان الكنيسة فى العصر الرسولى، وهذا الوضع نفسه هو ما حدث مع الإنجيليين والآباء الرسل عندما كتبوا البشائر والرسائل. كان كل منهم فى حالة وحى؛ التى فيها يفقد الإنسان السيطرة على أفكاره الشخصية فينطق بكلام أو يكتب كلمات ليس بإيعاز من فكره الخاص ولكن بإلهام سماوى من الله، وليس معنى هذا أن يفقد السيطرة على نفسه أو يصاب بحالة غيبوبة أو يفقد أسلوبه فى التعبير، لكنه يحتفظ بكل وقاره وكل اتزانه وما يميز شخصيته وأسلوبه ولكن لا يستطيع أن يفرض أفكارًا معينة، ولكن الروح القدس هو الذى يقود فكره، وهو الذى يسيطر على كلامه إذا كان ينطق، أو على يده إذا كان يكتب "لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢بط١: ٢١).

فإذا كان الروح القدس يعلن من خلال صغار المؤمنين فى الكنيسة إعلانات سماوية، فكم وكم يكون بالنسبة لأعمدة الكنيسة الاثنى عشر، أو بالنسبة لمن يرمز إليهم الأربعة أحياء غير المتجسدين، من طغمة الكاروبيم الذين يحملون العرش الإلهى؛ الذين هم الإنجيليون الأربع.

فقد كان الروح القدس يقود أى مؤمن ويستخدمه كجهاز يعبّر من خلاله عن مقاصده الإلهية، فكم وكم يكون الأمر بالنسبة للآباء الرسل. لذلك كتب معلمنا بولس الرسول إلى أهل كورنثوس قائلاً "أشكر إلهى إنى أتكلم بألسنة أكثر من جميعكم" (١كو١٤: ١٨) أى إن كان أحدكم يتكلم بلغة أو أكثر فإن لى كل لغات العالم. وإن كانت هذه وسيلة للافتخار فليس الأمر موضوع افتخار.

الوحى يستخدم مواهب الكاتب ومعرفته

وإن كان الروح القدس لا يعطى فرصة للنبى وهو يتنبأ أن يفرض أفكاره الخاصة، ولكن مع هذا فإنه يستخدم معرفته الخاصة ومواهبه الخاصة ومشاهداته الخاصة.

فإن كان راعياً يستخدم مواهبه الرعوية فيقول: "الرب يرعانى فلا يعوزنى شئ. فى مراعٍ خضر يسكننى، على ماء الراحة يوردنى" (مز٢٢: ١، ٢)،

إذا كان شاعراً مثل إشعياء النبى يأتيه بشعر. **فشخصية الكاتب تؤثر على المكتوب بحسب استخدام الروح القدس لمواهبه.**

بولس الرسول فيلسوف متعمق فى الدراسات على يد غمالائيل فيستخدم عمقه فى الدراسة ويأخذ الوحى لوناً معيناً يميّز شخصية الكاتب.. ولكن ليس معنى ذلك أنه بإرادة وقصد من يكتب "لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان" (٢بط ١: ٢١)، ولكن هذا لا يمنع أن الروح القدس يستفيد من الحالة التى يكون عليها النبى بل يمكن أن يستخدمه هو نفسه كوسيلة إيضاح، وهذا يتضح بالأكثر فى سفر مثل سفر يونان أو سفر حزقيال إذ يجعله هو نفسه وسيلة إيضاح لمعانٍ معينة.

ليكن كل شئ للبنيان

هذا يوضح لنا أن الموهبة عند الآباء الرسل كانت أكثر غزارة من سائر المؤمنين، لذلك عندما كتب الآباء الرسل فقد **كتبوا قمة الإعلان**. لذلك أصبح الأمر عملية تحصيل حاصل لمن يتكلم فى الكنيسة بإعلان أو بنبوة.

ولهذا السبب عندما استقرت أمور الكنيسة انحصرت المواهب أو تحددت فى مواهب أقل فى عددها؛ مثل موهبة شفاء الأمراض، وموهبة النبوة

بمعنى معرفة المستقبل، وموهبة صنع القوات مثل معجزة نقل جبل المقطم، وموهبة كشف أفكار الناس، فالقديس مقاريوس أسقف إدكو أثناء عظاته كان يرى كل من فى الكنيسة ويعرف من هو قديس ومن هو خاطئ، لدرجة أنه كان يبكى أثناء العظة إذ يرى خطايا المجتمعين.

فالمواهب التى لازالت قائمة فى الكنيسة إلى الآن تناسب احتياج الكنيسة، وهذا ما أكده معلمنا بولس الرسول "لكل واحد يعطى إظهار الروح **للمنفعة**" (١كو١٢: ٧) وكررها أكثر من مرة "حتى تنال الكنيسة بنياناً" (١كو١٤: ٥)، "اطلبوا لأجل بنيان الكنيسة" (١كو١٤: ١٢)، "أيها الإخوة متى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور، له تعليم، له لسان، له إعلان، له ترجمة، فليكن كل شئ للبنيان" (١كو١٤: ٢٦).

أى أن المواهب تعطى للبنيان. ولقد ذكر القديس يوحنا ذهبى الفم هذه المعانى وقال عند اجتماع المؤمنين فى الكنيسة إن الروح القدس كان يوحى لبعضهم بتراتيل أو بمزامير.. فحتى التراتيل فى الكنيسة كانت بإرشاد من الروح القدس. هكذا نرى فى التسبحة التى وضعها الآباء القديسون وما فيها من فكر لاهوتى عميق جداً وكذلك فى صلاة القداس الإلهى.

ولذلك يُدعى القديس اغريغوريوس النازينزى "الناطق بالإلهيات"، فلا شك أن الروح القدس كان ينطق على لسانه، ويعطيه الإرشاد بدليل أن القداس منذ وضعه القديس اغريغوريوس إلى اليوم يحمل قوة خلاص فاعل

فى الأسرار لكثيرين.. لذلك يجب أن تكون الكنيسة مؤسسة على تراث آبائى متين وليس بالأمر الاجتهادى.

المزامير مفتاح السماء

ربما يقف إنسان أمام باب ومعه آلاف المفاتيح، وربما يمكث ساعات طويلة لكى يصل إلى المفتاح المناسب لفتح هذا الباب.. ثم يأتى من يعطيه مفتاح الباب بدون جهد أو تعب. **هكذا تكون صلاة المزامير بالنسبة لك؛ فكل مزمور هو مفتاح يفتح أبواب السماء..** لماذا؟ ذلك لأن كلماته هى حسب فكر الله، فيها مواعيد الله، ولكن عليك أن تصليها بفهم وعاطفة وشعور. عندما تُذكِّر الله بمواعيده فيفتح لك أبواب نعمته بكل غنىً.

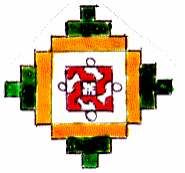

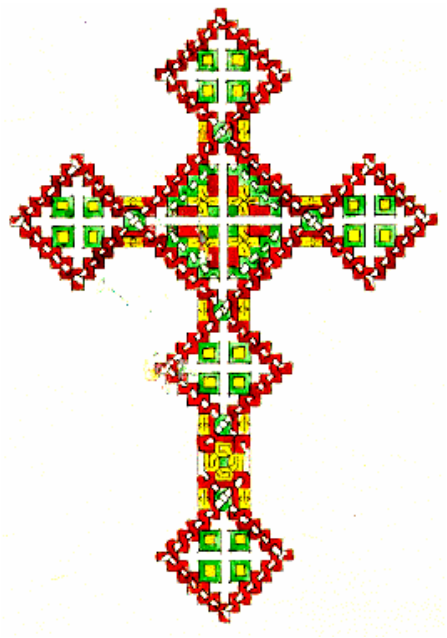

تأملات فى مزمور

من الأعماق صرخت إليك يارب

المزمور المائة والتاسع والعشرون

من الأعماق صرخت إليك يا رب. يا رب استمع صوتى. لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرعى

إن كنت للآثام راصداً يا رب، يا رب من يثبت، لأن من عندك المغفرة.

من أجل اسمك صبرتُ لك يا رب.

صبرتْ نفسى لناموسك.

انتظرتْ نفسى الرب، من محرس الصبح إلى الليل. من محرس الصبح فلينتظر إسرائيل الرب. لأن الرحمة من عند الرب. عظيم هو خلاصه وهو يفتدى إسرائيل من

من الأعماق صرخت إليك يا رب

هذا المزمور الذى نكرره كثيراً فى صلواتنا: فى صلاة النوم وفى صلاة الستار وفى الخدمة الثالثة من صلاة نصف الليل؛ مزمور "من الأعماق صرخت إليك يا رب" يناسب كثيراً من الأحوال فى حياة الإنسان. فهو لسان حال الإنسان المحب لله، والإنسان الساقط فى الخطية، وغارقاً فى الهاوية، والإنسان المجرب بالضيقات.. كل هؤلاء وغيرهم يجدون تعزية فى صلاتهم بهذا المزمور

من الأعماق

كلمة من الأعماق من الممكن أن يقولها الإنسان فى حالات روحية متعددة، وليس فى حالة واحدة فقط..

أ- من عمق الحب

يقولها إنسان يعيش فى عشرة عميقة جداً مع ربنا، ويريد أن يعبِّر عن حبه العميق وعمق مشاعره الفياضة فى عبادته وصلاته، فلا يكفيه أنه يخاطب الله بكلام عادى أو يتكلم بكلام سطحى ليس صادراً من عمق القلب، ولكن من أعماق الشعور ومن أعماق العاطفة؛ من عمق القلب، لأن القلب الذى يحب الله يخاطبه بعمق وليس فى سطحية. لأن

الصلاة العميقة هى المؤثرة فى قلب الله المحب، كما أنها تؤثر فى قلب المصلى نفسه..

الإنسان الذى يصلى صلاة سطحية ربما لا تصل إلى سقف حجرته، أما الصلاة التى من العمق هى التى تستطيع أن ترتفع إلى العلو. وكمثال لذلك عند بناء منارة يلزم أن نعمق أساسها لكى ترتفع إلى علو شاهق، فبمقدار عمق الصلاة بمقدار ارتفاعها إلى عنان السماء تدخل إلى عتبة رب الجنود. وعندما قال السيد المسيح لبطرس "ابعد إلى العمق" (لو٥: ٤) ليلقى الشباك للصيد، لم يكن يقصد فقط العمق من ناحية السفينة والبحر؛ لكن كان يقصد أن يؤكد أن الحياة مع الله يلزمها الدخول إلى عمق الشركة معه وعمق الخبرة وعمق العواطف والمشاعر والفكر.

ليتنا كلما نردد هذا المزمور فى كل ليلة أن يذكرنا بأننا يجب أن تكون حياتنا متحررة من السطحية، وما يتبعها من الشكلية فى العبادة، حتى أن صلاتنا لا تؤثر فى قلب الله.

إن الصلاة التى من عمق القلب، تزيد محبة الإنسان لله.. لأن كثرة الحديث يولد الحب. فعندما تتقابل مع إنسان مرات كثيرة وتكلّمه كثيراً تزداد محبتك له، هكذا أيضاً حينما نلتقى مع الله ونتحدث معه بعمق فإن محبتنا له تزداد.

ب- من عمق الخطية والضعف

"من الأعماق صرخت إليك يا رب" يستفيد منها الإنسان الذى يريد أن يصلى من عمق قلبه ومن عمق مشاعره ومن عمق محبته، لكن أيضاً كلمة من الأعماق من الممكن أن تناسب حالات روحية أخرى.. ربما إنسان يكون ساقطاً فى الخطية معذباً من ضعفاته من سقطاته من خطاياه، مثل هذا الإنسان يستطيع أيضاً أن يقول: من الأعماق صرخت إليك يا رب.

ج- من عمق الهاوية

من عمق الهاوية، من عمق الخطية، حينما يجد الإنسان نفسه غارقاً فى بحر الخطية ذى القرار السحيق فإنه يصرخ إلى الله لينقذه فيقول: "من الأعماق صرخت إليك يا رب"..

يصرخ من عمق اليأس والضياع، وهذا يذكرنا بكلمات يونان النبى لما صرخ من العمق قائلاً: "دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى، **صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى**.. نزلت إلى أسافل الجبال، مغاليق الأرض علىَّ إلى الأبد. ثم أصعدت من الوهدة حياتى أيها الرب إلهى، حين أعيت فىَّ نفسى ذكرت الرب **فجاءت إليك صلاتى إلى هيكل قدسك**" (يون٢: ٢، ٦، ٧).. صرخت من العمق فجاءت إليك صلاتى، بل وجئت أنت بنفسك لتنتشلنى. لم تمنعك خطاياى فى عمقها

من أن تصل إلىّ. **بل جئت إلى الأعماق باحثاً عنى** أنا الشقى الغارق فى بحار خطاياى..

"من الأعماق صرخت إليك يا رب" تماماً مثلها "صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى". هذه الهاوية كما أنها بالنسبة للإنسان فى حياته تعبِّر عن هاوية الخطية؛ فالإنسان الخاطئ يصرخ إلى الله ويستغيث لكى يأتى الله وينقذه. هو الرب الذى قال: "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين، الآن أقوم، يقول الرب. أصنع الخلاص علانية" (مز١١: ٥). بعد تعب النهار كله، بعد أن قال الإنسان فى صلاة الغروب: "إذا كان الصديق بالجهد يخلص فأين أظهر أنا الخاطى، ثقل النهار وحره لم أحتمل لضعف بشريتى" يأتى إلى بداية صلاة النوم ويقول: "من الأعماق صرخت إليك يا رب".. من وسط لجج وبحار الخطايا والشرور أصرخ إليك لكى تنتشلنى وتخلصنى.

د- من عمق التجارب

كلمة من الأعماق أيضاً من الممكن أن تناسب حالة الإنسان الذى تعصف به التجارب، إنسان فى تجربة أو ضيقة مثل يونان النبى الذى قال: "دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى" (يون٢: ٢). من عمق

الضيقة.. ربما يصرخ الإنسان إلى الله وهو فى عمق الضيقات، فيستجيب له الله ويرفع عنه الضيقة ويخرجه إلى الرحب والسعة كما يقول: "دخلنا فى النار والماء ثم أخرجتنا إلى الخصب" (مز٦٦: ١٢)، لكن ربما لا يرفع الله الضيقة ولكنه يرفع الإنسان فوق الضيقة. لكن كيف يرفعه فوق الضيقة؟! **يعطيه نعمة الصبر والاحتمال، يعطيه فرح داخلى فى الضيقات** "احسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة" (يع١: ٢). **أحياناً يرفع الرب عنا الضيقة، وأحياناً يرفعنا فوق الضيقة لنشاركه آلامه ونتأهل أيضاً لنتمتع بمجده. نختبر عمل شدة قوته فينا، ونختبر قوة قيامته كغالب ومنتصر.** وحينئذ نستطيع أن نفرح فى عمق التجربة كقول معلمنا بطرس الرسول: "كما اشتركتم فى آلام المسيح، افرحوا لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين" (١بط٤: ١٣).

وقت التجربة يلزمنا أن نصرخ إلى الله ونصلى.. لماذا؟ لأن بدون معونة الله يمكن للتجربة أن تطغى علينا، اللجج والتيارات تغمرنا. ويسقط الإنسان فى اليأس. لذلك فالصلاة هى سند فى وقت الضيق.

من الأعماق.. صرخة البشرية

وأيضاً لعل هذا كان لسان حال الجنس البشرى كله قبل مجيء السيد المسيح، الكل كان يذهب إلى هاوية الجحيم، فلسان حال البشرية كلها أنها تصرخ إلى الله لكى يأتى ويخلّصها. والسيد الرب لم يتنازل فقط بأنه جاء إلى الأرض من أجل خلاصنا، أى أنه نزل من السماء وتجسد على الأرض، لكنه أيضاً تنازل بالأكثر ونزل إلى الجحيم من قِبل الصليب، ونزل "إلى أقسام الأرض السفلى" (أف٤: ٩) إلى عمق الهاوية، وقال بفم النبى وتغنى: "من يد الهاوية أفديهم من الموت أخلّصهم" (هو١٣: ١٤).

إذن السيد المسيح جاء لكى يخلصنا ليس فقط فى حياتنا على الأرض لكن من العمق من الهاوية ذهب إلى هناك. وعن السيد المسيح تكلم الآب السماوى بفم نبيه إشعياء قائلاً: " أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم، لتفتح عيون العمى **لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة**" (إش٤٢: ٦، ٧). هؤلاء الذين فى بيت السجن الجالسين فى الظلمة، وقد رقدوا على رجاء الخلاص، كل واحد منهم كان يصرخ قائلاً: "من الأعماق صرخت إليك يا رب". حتى بعد انتقاله من الجسد كانت روحه تصرخ فى الجحيم وتقول: "من الأعماق صرخت إليك يا رب" قالها المرنم بروح النبوة وقالتها البشرية كلها معه.

من الأعماق فى جثسيمانى

السيد المسيح فى وقت صراعه عندما كانت نفسه حزينة جداً حتى الموت، كان يجاهد مصلياً لكى يعلمنا أن الصلاة ضرورية فى وقت الضيق. "وظهر له ملاك من السماء يقويه" (لو٢٢: ٤٣).. شئ عجيب جداً يقف الإنسان أمامه فى حيرة، كيف يتجرأ الملاك أن يأتى ليقوى خالقه!! لكن لأن السيد المسيح كان فى دائرة الإخلاء -أخلى ذاته- فكما أنه قَبِل أن يرضع من لبن العذراء مريم وهو الذى يقوت المسكونة كلها من عطاياه، وكما قَبِل أن تحمله ذراعا العذراء وهو الحامل المسكونة كلها بقدرته الإلهية، "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب١: ٣).

هذا الإله فى دائرة الإخلاء ارتضى أن يحتاج إلى الماء وإلى الطعام. وأن تأتى ملائكة لتخدمه بعد صومه الأربعين المقدسة "وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه" (مت٤: ١١). فهكذا أيضاً فى دائرة إخلائه لذاته إذ ترك مجده ووجد فى الهيئة كإنسان وأطاع حتى الموت موت الصليب، فإنه أيضاً ارتضى أن يقبل معونة من الملاك، كما قبل المعمودية من يوحنا المعمدان "وقال له اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمِّل كل بر" (مت٣: ١٥). وكأن يوحنا هذا هو ملاكه الذى يهيئ الطريق قدّامه، فالملاك الذى جاء لتقوية السيد المسيح ليس لأن المسيح له المجد

أقل من الملاك، أو أنه يحتاج إلى قوة الملائكة، ولكنه وضع نفسه. وحينما وضع نفسه وُجد فى صورة المحتاج من أجلنا، لكى يكمل كل بر –على نفس منهج قبوله المعمودية من يوحنا- ليعلمنا أن بالصلاة تأتى ربوات من الملائكة للمعونة. أى أن الصلاة فى وقت الضيق فيض من المعونة الإلهية، جماهير من الملائكة تستطيع أن تأتى لمعونتنا. لذلك حينما يكون الإنسان فى ضيقة يصرخ قائلاً: من الأعماق صرخت إليك يا رب.

من الأعماق صرخت

لا يقول من الأعماق تكلمت إليك، بل يقول من الأعماق **صرخت إليك**.

❖ الإنسان الذى **يشتعل قلبه بنار الحب الإلهى**، الذى يصلى من الأعماق، يشعر أن حديثه مع الله ليس مجرد كلام لكنه مثل صراخ السرافيم. كما يصلى الكاهن فى القداس الإلهى ويقول عن الشاروبيم والسرافيم فى تسبيحهم للرب: {يصوّتون ويصرخون قائلين..}، وكيف يصوتون؟!

ليس كما يصرخ ويصوّت أهل العالم فى شجارهم أو فى إضجاجهم أو فى حزنهم، ولكنه **صراخ الحب، صراخ الانبهار بروعة الجمال الإلهى**

الأخاذ.. كما ينظر أحد منظراً جميلاً، فمن شدة الانبهار يصرخ أمام هذا المنظر. فهذا الصراخ صراخ المحبة مثل السرافيم. وكلمة ساراف كلمة عبرية معناها المتقد بالنار، وجمعها سرافيم إشارة إلى أن هذه الطغمة تتقد بنار الحب الإلهى. ويقول الكتاب إن الله هو "الصانع ملائكته رياحاً وخدامه **نارًا ملتهبة**" (مز١٠٤: ٤). سواء كانوا يصرخون ويقولون تسبحة الثلاثة التقديسات {قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت}، أو يرسلون تسبحة الغلبة والخلاص الذى لنا، أو أى نوع من التسبيح لكنهم يصرخون ويصوِّتون.

الإنسان عندما يتكلم بعاطفة يتكلم من عمق القلب، يصرخ من عمق مشاعره، ليس بفتور ولكن بقوة.

❖ وأيضا على الجانب الآخر الإنسان الذى هو **فى عمق الخطية** فإنه ينبغى أن يصرخ إلى الله بكل قواه لينقذه الرب ويخلصه قبل أن يضيع وتضيع أبديته..

❖ وكذلك الإنسان **المجرّب بالضيقات**، أو فى مأزق مثلما كان بطرس يمشى على الماء، "وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً: يا رب نجنى، ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به" (مت١٤: ٣٠، ٣١). ربما تكثر على الإنسان مضايقات الشياطين، كما نقرأ عن المحاربات التى اجتازها أباؤنا القديسون سواء كانت بسبب حسد الشياطين أو المحاربات الروحية،

فكانوا يصرخون إلى الله بقوة أثناء هذه المحاربات. فعندما يصلى الإنسان صلاة سهمية كما يقول: "اللهم التفت إلى معونتى يا رب أسرع وأعنى" (مز٦٩: ١)، إذ يشعر أن الشيطان يهجم فيستنجد بالله بسرعة ويقول: من الأعماق صرخت إليك يا رب.

هذا الصراخ صلاة تصل إلى عنان السماء..

وحتى عن خطية أهل سدوم وعمورة "قال الرب: إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر.. أنزل وأرى هل فعلوا بالتمام **حسب صراخها الآتى إلىَّ**" (تك١٨: ٢٠، ٢١). فإذا كانت الخطية يمكن أن يصعد صراخها إلى الله، فأيضاً الخاطئ إذا كان يصرخ لكى ينجو من الخطية فإن صراخه بالأولى كثيراً جداً يصعد إلى الله، كما يقول بولس الرسول "ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة. لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين" (رو٥: ١٥). فالهبة أو العطية تكون أكثر قوة من الخطية. "ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جداً" (رو٥: ٢٠).

الإنسان الذى يجتاز فى ضيقة يصرخ إلى الله.. فلا أتصور إنساناً فى مواجهة قطار على وشك أن يصدمه، وهو ملقى فوق القضيب، وفى هدوء يسأل من يرفعه من فوق القضيب! هذا غير معقول، ولكنه يصرخ

بكل قوته، ولسان حاله يقول كما يقول الشاعر (حسبما أشار **قداسة البابا شنودة الثالث** – أطال الرب حياة قداسته):

صوتى عِلى مثل صرخة غريق بيصرخ بيصرخ بيصرخ
بكل قـــــواه للحيـــــاة

غريق يصرخ بكل قواه للحياة، فنحن نصرخ إلى الله لأن الله هو حياتنا كلنا..

قوة الصراخ

هذا الصراخ علامة الصلاة القوية الصادرة من عمق القلب. ليس مثل الصلاة الضعيفة الواهنة أو الفاترة. بل صراخ يصل إلى عنان السماء ويحرك قلب الله..

المقصود بالصراخ ليس هو الصوت العالى أو كما تصنع بعض الطوائف. ولكن المقصود بالصراخ؛ أنه كلمات قوية نارية ملتهبة. ربما تكون صادرة من القلب وليست من الشفتين، ولكنها مثل صراخ السرافيم، أو مثل صرخة غريق يصرخ بكل قواه للحياة. هذا لا يمنع أن يجد الإنسان نفسه أحياناً فى حالة روحية تستدعى أن يستعمل الصوت فى بعض الأحوال. ربما يكون أثناء التسبحة يسبح بصوت مسموع عالٍ ويجد تعزيته فى هذا.

ربما فى قلايته أو حجرته الخاصة وهو يصلى يجد أحياناً مشاعره متدفقة، ويريد أن يعبر عنها بصوت عالٍ بطريقة معقولة ومقبولة. لكن ليس من الضرورى أن يكون الصراخ صراخاً مسموعاً، إذ أن الصراخ يمكن أن يكون أنيناً قوياً عميقاً فى داخل القلب.

يا رب استمع صوتى

لا أتصور أنى أصرخ إلى الله وكأنى أُلاكم الهواء، وأتكلم إلى لا شئ. لكن فى مقابل هذا الصراخ لابد أن يكون هناك استجابة. أقول له يا رب إن استماعك لصوتى هو علامة العلاقة القائمة بيننا، فأنا أصرخ إليك لأنك أنت إلهى، وأنت تسمع وتستجيب لأنى أنا موضوع اهتمامك وعنايتك وحبك كخالق أمين فى عمل الخير، تهتم بخليقتك وتعتنى بها وترفعها إليك فى حنو بالغ لتتمتع بمجدك وجلالك..

استماعك لصوتى علامة على أن الحديث ليس هو من طرف واحد، أنا أتكلم وأنت تسمع.

لكن ربما يتساءل البعض إن كان هذا الأمر من الأمور البديهية لماذا يذكرها المزمور؟! أى أنه مادام قال من الأعماق صرخت إليك يا رب، فلا داعى أن يقول يا رب استمع صوتى. كلا، بل أنا يا رب من جانبى أصرخ من الأعماق، وأرجوك أن تسمع وأن تستجيب، وأريدك أن تؤكد

فى داخل مشاعرى وأفكارى أنك سامع الصلاة كما يقول الكتاب: "الرب أصغى وسمع وكُتب أمامه سفر تذكرة" (ملا٣: ١٦).

ربما يا رب أنا لا أستحق أن تستمع إلىَّ، ولهذا أطلب منك أن تستمع صوتى. مثل أن تسأل محدثك هل تسمعنى لكى تطمئن إلى استماعه إليك، ليس لأنك تشعر أنه غير قادر على الاستماع ولكن لأنك تشعر أنك صغير عن أن يسمع لك. هكذا أنا أرى عظمة الرب وأنا صغير جداً أمامه، فأقول له حقاً يا رب أنا لا أستحق أن تسمعنى، ولكنى أرجوك ولو من باب الإحسان أن تستمع إلى صوتى.

أنا لا أستحق أن تستمع إلىّ لكثرة شرورى وآثامى وخطاياى. ولكنك وعدت ألا ترد إنساناً يلتجئ إليك قارعاً أبواب تعطفك. لهذا أرجوك يا رب أن تستمع إلى صوت صراخى إليك من الأعماق.

نجد فى صلاة الأجبية تعبير "**استماع الصلاة**" يتردد كثيراً:

❖ **فى مزامير الأجبية**: "تراءف علىّ يا رب **واسمع صلاتى**" (مز٤: ١)، "أنصت يا رب لكلماتى **واسمع صراخى. أصغ إلى صوت طلبتى** يا ملكى وإلهى" (مز٥: ١، ٢). "**استمع يا الله صلاتى**" (مز٥٣: ٢)، "**استمع يا الله طلبتى**" (مز٦٠: ١)، "أيها الرب إله القوات **استمع صلاتى، أنصت يا إله يعقوب**" (مز٨٣: ٨)، "**أمل يا رب أذنك**

واستمعنى" (مز٨٥: ١)، "يا رب **استمع صوتى**، لتكن **أذناك مضغيتين** إلى تضرعى" (مز١٢٩: ٢)، "**أنصت إلى طلبتى** فإننى قد تذللت جداً" (مز١٤١: ٦).

❖ **وأيضاً فى قطع السواعى بالأجبية**: فى قطع باكر نقول "**اسمع أصواتنا** كعظيم رحمتك". وفى قطع الساعة السادسة "**استمع إلىّ** عشية وباكر ووقت الصبح. كلامى أقوله **فيسمع صوتى**". ونقول: "أنا صرخت إلى الرب، **والرب استمع لى**".

❖ **وأيضاً فى تحليل السواعى**: فى تحليل الساعة الثالثة "**اقبل إليك صلواتنا**". فى تحليل الساعة السادسة نقول "**اقبل إليك تضرعنا**". وفى تحليل الساعة التاسعة نقول "**لتكن صلواتنا** كل حين وصلاة هذه الساعة التاسعة **مقبولة أمامك**". وفى تحليل الغروب نقول "**اللهم اقبل تمجيدنا** هذا الذى صار الآن". وفى صلاة النوم فى قطعة "تفضل يا رب أن تحفظنا" نقول "**اسمعنا يا الله** مخلصنا، يا رجاء أقطار الأرض كلها".. وفى الثلاث تقديسات نقول "**واقبل طلباتنا إليك**".

❖ وفى **الطلبة الأخيرة** لكل صلاة من صلوات الأجبية "ارحمنا يا الله ثم ارحمنا" نقول: "**اقبل منا فى هذه الساعة وكل ساعة طلباتنا**".

لكن ماذا يُقصد باستماع الصلاة؟ المقصود هو استجابة الصلاة وليس مجرد الاستماع العادى.. الله يسمع كل شئ مثلما يقول فى مثل الخمس عذارى الجاهلات: "الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن" (مت ٢٥: ١٢). ليس مقصود أن الله لا يعرف هؤلاء العذارى الجاهلات لأنه يعرف كل شئ، فلم يكن معنى كلمة "لا أعرفكن" المعرفة العقلية ولكن معناها أن ربنا يقول لهن أنتن لا تستحققن أن أعرفكن.

الصلاة المقبولة

هى الصلاة التى يقبلها الله وتدخل إلى حضرته. يحملها واحد من الأربعة والعشرين قسيساً فى مجمرته الذهبية ويصعد بها إلى عرش الله ليقدّمها هناك..

نرى داود النبى يفرح ويقول: "الرب سمع صوت بكائى. الرب سمع تضرعى. الرب لصلاتى قَبِل" (مز٦: ٨، ٩) نجده هنا يتكلم عن الثلاثة معاً (البكاء والتضرع والصلاة) حتى البكاء أو الدموع لها صوت يسمعه الله.. فلابد من أن يسأل كل واحد نفسه: هل صلاتى تصعد إلى الله؟ هل صلاتى يسمعها الله؟ هل صلاتى يقبلها الله؟ هل صلاتى تدخل إلى حضرة الله؟ هل صلاتى تحتاج إلى صلاة ليقبلها الله؟..

الصلاة غير المقبولة

لابد أن نعرف أنه ليست كل صلاة مقبولة أمام الله. ومن أمثلة هذه الصلوات:

١- صلاة الأشرار مكرهة للرب

من الممكن أن أحد يصلى وربنا لا يسمع صلاته "ذبيحة الأشرار مكرهة الرب" (أم ١٥: ٨). الصلاة التى لا تقدم من قلب طاهر، ينطبق عليها قول الرب "حين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم وإن كثّرتم الصلوة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً" (إش١: ١٥).. أمر عجيب مخيف أن الله لا يحتمل أن يرى هذا المصلّى.. يستر وجهه عنه لكى لا يراه ولا يسمع صلاته.

٢- الصلاة التى بفكر شارد

يصلى الإنسان بعقل سرحان. ويستمر يردد بلا فهم فى كلام الصلوات وهو لا يدرى ماذا يقول. ينطبق على هذا الإنسان قول الرب "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً" (مر٧: ٦ ، انظر إش٢٩: ١٣).

٣- الصلاة التى من الفم دون القلب

ليس فقط يصلى وهو سرحان. بل من الممكن أن الكلمة التى يقولها بلسانه لا يعنيها. بمعنى أنه لا يقصدها بقلبه.

ممكن يقول فى صلاته "أنا مسكين وفقير" أو "أنا حقير وبائس" وهو لا يعنى ما يقول. بمعنى أنه ليس مستعد أن يكون فى نظر نفسه بائس أو مسكين أو حقير ولكنه فى نظر نفسه كبير جداً. فقد قالها لمجرد أنها صلاة مكتوبة. هو ليس سرحان، لكن لا يريد أن يعنى ما يقول.

إذن ينطبق عليه أيضاً قول الرب "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً".

٤- الصلوات المتكبرة

الصلوات التى بكبرياء أو بافتخار مثل صلاة الفريسى الذى قال: "اللهم أنا أشكرك أنى لست مثل باقى الناس الخاطفين، الظالمين، الزناة، ولا مثل هذا العشار" (لو١٨: ١١). يشكر ربنا أنه ليس مثل باقى الناس.. هذه الصلاة مرفوضة أمام الرب. ولذلك تلاحظون أنه توجد طِلبات من أجل أن تكون الصلاة بغير افتخار..

٥- الصلاة التى لا توافق مشيئة الرب

هذه الصلاة غير مقبولة التى يقول فيها الرب: "تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديأً لكى تنفقوا فى لذاتكم" (يع٤: ٣). لذلك نقول فى كل صلاة "لتكن مشيئتك" (الصلاة الربانية). أنا أطلب يا رب، ولكن لتكن لا مشيئتى بل مشيئتك أنت يا قدوس. فالصلاة التى لا توافق مشيئة ربنا، لا يستجيب لها الله.

لذلك عندما نقول: "استمع يا الله صلاتى" يجب ألا تقتصر المسألة على هذه الطِلبة، لكن لابد أن نجعل لصلاتنا الصفات الروحية التى تؤهلها لأن تكون مقبولة أمام الله؛ فلابد أن أصلى لتكون صلاتى مسموعة ومقبولة؛ على الأقل ليلهمنى الرب كيف أصلى لكى تصير صلاتى مقبولة، ولكن إن صليت مباشرةً بدون طلب معونة ربنا، ربما تكون صلاتى غير صحيحة. فعليك أن تردد كل الطِلبات التى ذكرنا بعض منها من صلوات الأجبية لكى تكون صلواتنا مقبولة أمام الرب وتدخل إلى حضرته.

لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرعى

أريد يا رب أن أشعر باهتمامك الشخصى بصلاتى. وبإصغائك خصيصاً لصوت تضرعى. يمكنك يا رب أن تميّز صوتى من وسط

الأصوات المرتفعة أمام جلالك وعظمتك. هذه قدرتك غير المحدودة كإله تستطيع أن تهتم بالكل فى آن واحد..

كل ليلة عندما تقف فى الصلاة لتقول من الأعماق صرخت إليك يا رب، فى نفس الوقت الذى تصلى فيه أنت هذه الصلاة يوجد كثيرون يصلون، لكنك تقول له يا رب استمع **صوتى** ولتكن أذناك مصغيتين إلى **صوت تضرعى**. وكأن ليس هناك غيرك الذى يصلى، أو كأن الله هو إله خصوصى لكل واحد فينا. أنت يا رب تستطيع أن تميّز صوتى فى وسط آلاف الملايين من الأصوات وكأنك أنت كلك لكل أحد مع أن كل أحد هو لك، ومع أنك غير محصور وغير محدود وليس شئ من النطق يستطيع أن يحد جلالك وعظمتك، إنما هذا هو العجب فى المعاملة بين الله وبين الإنسان. يستطيع أن يعطى كل إنسان إحساساً بأنه هو إلهه الخصوصى.

إن كنت للآثام راصداً يا رب
يا رب من يثبت
يا رب من يثبت

العبرة فى علاقة الإنسان مع الله؛ هو باشتياق الإنسان إلى حياة البر والكمال والقداسة. فيقول المصلى يا رب أنت تعرف إنى أحبك، وأنى أريد أن أكون بكاملى لك، وأنى أكره الخطية. وأنا أعرف أنك قدوس رافض للشر تكره الخطية جداً. لكن إن كنت أنت للآثام راصداً؛ من يستطيع أن يثبت أمامك؟! إذا عاملنا الله بمنتهى الصرامة والحزم من يستطيع أن يثبت؟!.. إن كان ربنا لا يستعمل معنا غفرانه وصفحه عن آثامنا فلا أحد يستطيع أن يتبرر أمامه إذا كانت كل خطية يعملها الإنسان ترصد عليه ولا تُمحى.

"إن كنت للآثام راصداً يا رب" أى إن كنت ترصد الآثام ولا تمحى من أمامك إلى مالا نهاية فهذا معناه أن يضيع كل إنسان. ولكنك أنت يا رب تغفر بدم ابنك الوحيد الجنس "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا" (١يو٢: ١، ٢)، "فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح" (رو٥: ١).

لأن من عندك المغفرة
عاملاً الصلح بدم صليبه

يا رب أنت من عندك المغفرة.. كيف ندخل إلى حالة سلام ومصالحة مع الله إلا من خلال إيماننا وثقتنا فى غفران الله لخطايانا، لكن

إن تراكمت خطايانا وكانت تمثل حاجزاً بيننا وبين الله سوف ندخل فى حالة خصومة وعداوة ونفقد سلامنا معه.

المرنم فى العهد القديم كان يتكلم عن المغفرة.. ربما المغفرة فى العهد القديم كانت تفهم بصورة تختلف عن المغفرة فى العهد الجديد. والسلام القلبى الذى ننالـه بدم المسيح، لا يمكن أن يقارن بالاختبار الذى للمغفرة فى العهد القديم التى كانت كمجرد ظل الأمور العتيدة.

ينبوع محبة المسيح المتفجر من جنبه على الصليب بدمه الإلهى يطهّر ضمائرنا من أعمال ميتة (انظر عب٩: ١٤) باستمرار فهذا يعطينا سلام جزيل أمام الله، لكن من الجانب الآخر كلما ننظر إلى هذه المحبة الفياضة وغفرانه العجيب، نشعر بالخجل والخزى من خطايانا.

فعندما قدّم السيد المسيح نفسه على الصليب رأينا كم صنعت الخطية بفادينا المحب فأصبح لدينا إمكانية بالنظر إلى الصليب أن نكره الخطية، وننبذ دوافعها الداخلية متحررين من سلطانها..

الخطية التى كانت محبوبة ممكن أن تتحول إلى شئ كريه فى حياة الإنسان. وعلى العكس فإن الله الذى كان فى نظر الإنسان فى صورة عدو أصبح فى الصليب كما يقول: "قاتلاً العداوة به" (أف ٢: ١٦) أى قاتلاً العداوة بين الإنسان والله، ففى الصليب أصبح للإنسان إمكانية أن ينظر إلى الله ويحبه، لذلك فقد كان من اللازم أن يقدّم لنا الله شيئاً

نستطيع أن نحبه أكثر من الخطية يجتذبنا إليه، أى أنه من اللازم أن يكون الله بالنسبة لنا كائناً يستحق أن يُحَب؛ مهما كانت مشاعر الإنسان ساقطة، ومهما كانت الخطية تسيطر على حياته... لكن يحس حقاً أن محبة المسيح الفائقة تغطى وتمحو كل محبة أخرى خاطئة فى قلبه وفى حياته.

إذن ليس هذا المزمور تشجيعاً للإنسان لكى يتمادى فى الخطايا أو الشرور، ولكن بالعكس نقول له أنت يا رب من عندك المغفرة، لكن ثمن المغفرة غالٍ جداً دم كريم كما من حمل بلا عيب.

ماذا تعنى إن نسينا خطايانا؟

نحن يا رب لا نستطيع أن ننسى لأنفسنا خطايانا، ولكنك يا رب تقول: "أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها" (إش٤٣: ٢٥) فاغفر أنت يا رب وانس خطاياى.

عندما يقول الإنسان أنا من جانبى لا أستطيع أنسى خطاياى، ليس لكى يسقط فى اليأس لأن هذا يتعارض مع ثقته فى غفران الله، بل بمعنى أنه لا يستطيع أن يسمح لنفسه أن تعود وتعمل هذه الأمور السيئة جداً التى لا تليق بأولاد الله. وكما قال الآباء {**إن تذكّرنا خطايانا ينساها لنا**

الله، وإن نسينا خطايانا يذكرها لنا الله}. وفى حال تذكرنا لخطايانا لا ينبغى أن نعود إلى مشاعر الخطية وتفاصيلها المتعبة وتذكار الشر الملبس الموت بل مجرد الندم عليها بصفة عامة.

فعبارة "**إن نسينا خطايانا**" تُعنى؛ إن نسينا أننا خطاة ومستوجبون للدينونة، وافتكرنا أننا أبرار فى أنفسنا وإن افتكرنا أننا أفضل من غيرنا، وإن افتكرنا أننا لسنا مديونون لله بشئ، حينئذ يذكر لنا الله خطايانا ولا ينساها. ولكن على العكس إن حكمنا على أنفسنا، لا ندان مع العالم. وكما قال القديس مقاريوس للتلميذ أو أحد الرهبان الذى كان يخطئ قال له: {أحكم يا أخى على نفسك قبل أن يحكم الناس عليك}، كما يقول بولس الرسول: "**لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا**" (١كو١١: ٣١).

ليتنا نعيش هذا الاختبار أننا لا نخلط بين أمرين؛ بين غفران الله الكامل وقلبه الكبير ومسامحته المتسعة، وبين غفراننا نحن لأنفسنا. فلا يجب أن نغفر لأنفسنا الخطايا التى نرتكبها. أى أننى أثق فى غفران الله ومتأكّد منه لكى لا أسقط فى اليأس، وفى نفس الوقت أشعر أمام نفسى باستمرار بأنى ملوم ومدان، فيجب أن يبكت الإنسان نفسه باستمرار.

كثيراً ما تكلم القديسون عن تبكيت النفس وعن تذكار الموت، وكل حياتهم كانوا يبكون.. لكن لماذا يبكى القديس؟!.. لماذا يبكى وهو يعيش حياة القداسة؟! فيقول إنه يبكى على خطاياه، وإن لم تكن خطاياه الحاضرة؛ فإنه يبكى على خطاياه السالفة. هذا الاختبار فى الحقيقة فى هذه الأيام صار ضعيفاً إلى حد ما خاصة فى وسط أهل العالم لسبب تأثيرات من البروتستانت، أو لسبب نسيان الناس لخطاياهم لكثرة مشاغلهم العالمية.. ربما فى الأديرة يكون اختبار البكاء والنوح وتذكار الخطايا، وأن يشعر الإنسان دائماً بأنه خاطئ ويدين نفسه ويلومها. أما عن قول الكتاب: "طوبى لمن لا يدين نفسه فى ما يستحسنه" (رو١٤: ٢٢) هذا عما يستحسنه من الأمور الصالحة فى حياته أو فى خدمته، أما خطاياه فكيف يستحسنها فهو دائماً يبكت نفسه ويبكى على خطاياه حتى القديم منها يبكى وينوح عليها.

نحن يا رب لا نستطيع أن ننسى أننا أخطأنا إليك، ولكنك أنت دائماً تنسى هذه الخطايا، **لأنك أنت هو الحب، أنت هو القلب الكبير، أنت هو الأب الحقيقى الذى يحتمل كل شئ من أجل خير أبنائه باذلاً حياته لأجلهم..**

من أجل اسمك صبرت لك يا رب

يسوع الاسم المخلص

من أجل **اسمك**.. ما هو اسم الرب؟ إنه الأبوة والخلاص والمحبة الكاملة "تدعو اسمه **يسوع** لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (مت١: ٢١). ما هو أجمل اسم من أسماء الله؟ الله له كثير من الأسماء، فما هو أجمل هذه الأسماء سواء فى العهد القديم أو فى العهد الجديد؟ أجمل اسم لله هو **يسوع**، ولكى نعرف قوة هذا الكلام يجب أن نعرف معنى كلمة يسوع.

"يسوع" هو "يهوشع" باللغة العبرية أى "يهوه خلّص" بمعنى "الله خلّص"، و"يهوه" هو اسم الله الخصوصى، كما نقول أوصنا أو هوشعنا أى خلصنا.. ليتنا نحفظ هذا الأمر لأنه من الركائز المهمة جداً فى علاقتنا مع ربنا. فمثلاً ممكن أن تقول {يا يسوع المسيح أعنى}، فيجب أن كلمة يسوع لا تأخذ مجرد معنى اسم السيد المسيح ولكن تعنى "يهوه خلّص".

أجمل اسم من أسماء الله هو "يهوه خلّص"، الله نفسه كان فرحاً بهذا المعنى عندما قال: "أنا أنا الرب **وليس غيرى مخلص**" (إش٤٣: ١١)، وأيضاً فى إشعياء النبى "تقول فى ذلك اليوم أحمدك يا رب لأنه إذ غضبت علىّ ارتد غضبك فتعزينى. **هوذا الله خلاصى فاطمئن** ولا ارتعب لأن **ياه يهوه قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً**. فتستقون

مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص" (إش١٢: ١-٣). "قوتى وتسبحتى هو الرب صار لى خلاصاً" هذه الترنيمة نرددها فى أسبوع الآلام فى الجمعة العظيمة وهى مأخوذه من (إش١٢: ١-٣).

كلمة "الرب" فى هذه التسبحة مقصود بها "يهوه"، وليس هناك سوى يهوه واحد الذى هو "**رب الأرباب**"، لذلك عندما نقول يهوه المخلص الذى ليس غيره مخلص "يسوع المسيح.. **ليس بأحد غيره الخلاص** لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص" (أع٤: ١٠، ١٢).

لذلك عندما ترنم المرنم بهذا المزمور وقال من أجل **اسمك** صبرت لك يا رب .. من أجل **اسمك** .. ما هو **اسمك** .. **اسمك** المرتبط بحياتى أنا كيانياً. إنك أنت قوتى وتسبحتى وقد صرت لى خلاصاً. **من أجل هذا الاسم الذى هو عهد خلاص بين الله والإنسان**، من أجل هذا الاسم الذى يحمل كل الحب.. كما يقول فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص، أحمدك يا رب لأنه إذ غضبت إرتد غضبك فتعزينى هوذا الله خلاصى فأطمئن. لذلك عندما يقول: "صبرت لك يا رب" **أنا صابر لأن اسمك معناه الخلاص واسمك معناه الحب واسمك معناه الأبوة الباذلة. فاسمك هذا فى حد ذاته يصبّرنى.**

من أجل **اسمك** الذى هو **إعلان الحب وإعلان الأبوة وإعلان الفرح وإعلان التجديد وإعلان الحياة الأبدية وإعلان الخير والبركة والخلاص من أجل هذا الاسم**، أنا صبرت لك يا رب. ثقة منى فى خلاصك الذى أعددته، وفى محبتك غير المحدودة. ثقة منى فى أبوتك الباذلة التى كلها عطاء، أبوتك القادرة أن تخلّص إلى التمام.

"من أجل اسمك صبرت لك يا رب" تعنى أيضاً **من أجل مجد اسمك أنا صابر وأحتمل أى ضيقات أو تجارب لكى يتمجد اسمك القدوس**.. من أجل هذا الاسم الحسن الذى كله حب وكله عطاء أنا أيضاً أصبر للرب.

لم أفشل من الانتظار ولم أفقد صبرى وانتظارى. لأن اسمك هو عهد خلاص بين الله والإنسان. كما قيل عن السيد المسيح: "أنا الرب قد دعوتك بالبر فأمسك بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم. لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة" (إش٤٢: ٦، ٧).

لقد انتظرت البشرية مجيء السيد المسيح زمناً طويلاً، ولكنها لم تيأس.. ورقد كثير من القديسين على **رجاء الخلاص**. كما قال يعقوب أب الآباء عن موته "**لخلاصك** انتظرت يا رب" (تك٤٩: ١٨).

لكن تحديد قصد المرنم يظهر فى الآية التى تليها أو العبارة التالية: صبرت نفسى لناموسك.

صبرت نفسى لناموسك

أو فى بعض الترجمات "تمسكت نفسى بناموسك" وماذا عن ناموس الرب:

ناموس الرب يتضمن مواعيد الله، والعهود بينه وبين الإنسان والوعود بأن يصنع الخلاص لأجله. فالبشرية صبرت انتظارًا لتحقيق ما وعد به الرب فى كلامه بفم أنبيائه القديسين. والمصلى أيضاً يصبر انتظارًا لتحقيق مواعيد الله فى حياته حسبما هو مكتوب فى ناموسه وشريعته المقدسة. كقول الرب لأبينا إبراهيم أب الآباء: "أجعلك أمة عظيمة وأباركك. وأعظم اسمك وتكون بركة. وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (تك ١٢: ٢، ٣).

لقد حقق الرب كل مواعيده المقدسة لأبينا إبراهيم أكثر مما يستطيع الإنسان أن يظن أو يفتكر.

ناموس الرب فيه مواعيد بالخلاص كما يقول فى القطعة رقم ١١ بالمزمور الكبير "تاقت نفسى إلى **خلاصك** وعلى كلامك توكلت، كلت

عيناى من انتظار أقوالك قائلتين متى تعزينى.. كم هى أيام عبدك" (مز١١٨: ٨١-٨٤). لذلك عندما يقول: "صبرت نفسى لناموسك" يعنى؛ أنا يا رب منتظر تحقيق مواعيدك فى حياتى، منتظر تحقيق أقوالك المقدسة. تاقت نفسى إلى خلاصك وعلى كلامك توكلت..

أنا يا رب محتاج إلى تحقيق مواعيدك فى حياتى وواثق أن مواعيدك صادقة، لكن كم هى أيام عبدك؟.. بنفس المعنى الذى قال فيه "إلى متى يا رب تنسانى إلى الانقضاء" (مز١٢: ١). لكن هنا لا تعنى إلى متى تتركنى يا رب إنما جاءت بطريقة أخرى فيقول له أنا صابر يا رب، صابر ومنتظر تحقيق مواعيدك فى حياتى. كما يقول بطرس الرسول: "وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت" لماذا؟ يقول: "إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم" (٢بط ١: ١٩). إذن إنسان يعيش مع الله ولديه رجاء وثقة فى مواعيد الله وموقن أنه مهما تأخر الرب ولكن لابد أن يجيء.

"من أجل اسمك صبرت لك يا رب" ربنا أعطانا مواعيد ونحن ننتظر أن تتحقق، قال الرب للتلاميذ إن "ابن الإنسان سوف يُسلّم إلى أيدى الناس فيقتلونه، وفى اليوم الثالث يقوم" (مت١٧: ٢٢، ٢٣) فنحن ننتظر نصرة وقوة القيامة فى حياتنا.

إنسان يجاهد فى حياته الروحية ولكنه يريد بهجة القيامة وفرحتها. فالصليب نحن نعرف طريقه عند الجلجثة، فأى إنسان يبحث عن الصليب سيجده عند الجلجثة، القبر نحن نعرف الطريق إليه، المزود نعرف طريقه، بستان جثسيمانى نعرف طريقه، لكن الرب القائم من الأموات هذا ما لا نعرف له طريق!!

أين أنت يا رب؟ أين أنت قائماً ممجداً منتصراً قائماً من الأموات؟ أين نجدك؟ كان تلميذا عمواس يسيران فى حيرة متى يظهر؟ أين يظهر؟ متى يحقق الرب مواعيده فى حياتنا؟ فتقدم ولاقاهما ورافقهما فى الطريق. متى يرافقنا فى مسيرة حياتنا؟ لا نعرف.. هل ونحن مجتمعون فى العلية؟ أم ونحن نسير فى الطريق؟ ومن الملاحظ أن أى مكان كان محدداً ماعدا لقاء الرب بعد قيامته فلا أحد يعرف أين، إلا بعدما قال هو أن يذهبوا إلى الجليل هناك يرونه.

أقول له من أجل اسمك صبرت لك يا رب، وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت إلى أن يفجر الرب نوره الإلهى فى داخل قلوبنا، وعندما يشرق فى حياتنا تمتلئ حياتنا فرحاً وبهجة ونعيماً.

نقرأ فى بستان الرهبان عن الآباء.. أحدهم يظل ثمانى سنين يجاهد ويذهب لأحد الشيوخ قائلاً إنى لم أجد نياحاً، فأجابه إن لى خمسين سنة أجاهد من أجل هذا النياح الذى تريده أنت فى ثمانى سنين فقط. معنى هذا أن الحياة مع ربنا تحتاج إلى صبر، والفضيلة لكى تكتمل فى حياة الإنسان تحتاج إلى صبر ويقول له: من أجل اسمك صبرت لك يا رب.

اسم الرب برج حصين

أنا صابر وأعرف أن اسمك كله عطاء وكله مواعيد صادقة، ومن أجل اسمك أنا صابر لكى يُمَجَد اسمك القدوس فى حياتى. هذا الصبر ليس هو مجرد فعل من ناحية الإنسان وإنما هو ناشئ من الوعد الإلهى، ومن الطمأنينة النابعة من اختبار الإنسان لعمل ربنا، ورؤيته لعمله العجيب هذا يجعله صابراً لأنه مسنود بالصبر بقوة إلهية، على الأقل عندما يتأمل فى الاسم العجيب ويرى عمل الصليب وعمل الخلاص فيمتلئ طمأنينة أن الله لم يصلب بلا سبب إنما لأجل خلاص كل إنسان.

انتظرت نفسى الرب من
محرس الصبح إلى الليل
أكثر من المراقبين الصبح

هذه العبارة فى الترجمة البيروتية "**نفسى تنتظر الرب أكثر من المراقبين الصبح**".. من هم هؤلاء المراقبين الصبح؟

فى القديم كان الحراس والمراقبون وحملة الأبواق يقفون على أسوار المدن، للمراقبة والحراسة والإنذار. بعض هؤلاء المراقبين كانت مهمتهم أن ينتظروا بزوغ الفجر وشروق الشمس لينفخوا فى الأبواق، معلنين بداية النهار ومجيء الصبح، فيفتح الحفظة أبواب المدينة للشعب الموجود بداخلها ليخرج إلى عمله فى الحقول ومباشرته ورعاية غنمه.. وبنفس الطريقة ينفخون فى الأبواق عند نهاية اليوم لكى تغلق أبواب المدينة. أى ينفخون فى الأبواق للمسافرين من المدينة وإليها.. إلخ.

هكذا أيضاً يقول المصلى إنه انتظر الرب أكثر من المراقبين الصبح فى شوق لبزوغ النور ليبدأوا نهاراً جديداً حافلاً بالأعمال.

نفسى تنتظر الرب أكثر من المراقبين الصبح

إنسان متألم سهران طوال الليل متألماً يتطلع إلى بدء النهار، الحارس على أسوار المدينة طوال الليل ساهراً فى الحراسة يريد طلوع النهار لكى يستريح، الإنسان الذى لديه مباشرات أو أعمال أو سفر ينتظر حتى بزوغ الفجر يشد على ركوبته متكلاً على الله. كل هؤلاء يراقبون الصباح.

الصبر له عمل تام

نفسى تنتظر الرب أكثر من المراقبين الصبح.. إذا كان هؤلاء يمكثون طوال الليل مراقبين الصبح، فأنا أمكث منتظراً إشراقة النور الإلهى فى حياتى أكثر منهم. "عندنا الكلمة النبوية وهى أثبت التى **تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير فى موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم**" (٢بط١: ١٩)، اثبت فى مكانك، اثبت فى قلايتك (بالنسبة للراهب)، اثبت فى طريقك الروحى تأخذ تعزيات..

كثيراً ما تأتى المحاربات فى القلاية للراهب لكى يترك قلايته، أو ليترك ديره.. اثبت فى ديرك تأخذ بركات. بروح الحكمة والإفراز يعرف الإنسان أنها محاربات من العدو. فعليه أن يثبت فى موضعه، يثبت فى حياته الروحية، يثبت فى طريق الله. يجب أن يثبت فى الطريق، لا ييأس ولا

يفشل كما يقول الرسول: "لا نفشل فى عمل الخير لأننا سنحصد فى وقته إن كنا لا نكل" (غل ٦: ٩).

الصبر له عمل تام، ويقول السيد المسيح: "**بصبركم اقتنوا أنفسكم**" (لو٢١: ١٩)، لابد أن نصبر سواء فى الضيقات أو فى الجهاد الروحى.

ومن الفضائل الهامة فى الحياة الروحية **المثابرة**. إن من ينتظر الرب عليه أن يترقب إشراق نعمته فى حياته بكل اشتياق، وفى يقين من أن شمس البر لابد أن يُشرق بنفس اليقين الذى ننتظر به إشراق الصباح. هل يمكن أن تظن أن النهار سوف لا يشرق؟! فإن قيل لك إن الليل سوف لا يعقبه نهار، لن تصدق هذا الأمر.. فبنفس اليقين الذى ننتظر به إشراق الشمس أو النهار فى العالم، هكذا ننتظر إشراقة النعمة الإلهية فى حياتنا، بنفس اليقين. وهذه هى الكلمة النبوية التى هى أثبت.

لابد أن يأتى وقت فى حياتنا مع الله تشرق فيه النعمة بقوة داخل قلوبنا وعلينا أن ننتظر ثابتين مترقبين مجاهدين فى حياة التوبة الدائمة متسلحين بجسد المسيح ودمه غير متزعزعين عن رجاء الحياة الأبدية.

من محرس الصبح
فلينتظر إسرائيل الرب
قام مع إشراق الصبح

ويا لها من لمحة لطيفة جداً؛ أن السيد المسيح قصد أن يقوم فى فجر الأحد، أول الأسبوع.. لماذا؟ إن هذا يتماشى مع هذا المزمور "**أكثر من المراقبين الصبح، فلينتظر إسرائيل الرب**"..

قام السيد المسيح مع إشراقة الصباح الأولى، مع إشراقة الفجر، **لكى يؤكد أن القيامة سوف تشرق فى حياتنا بعد ليل مظلم مملوء بالأحزان. وأن قيامة السيد المسيح** -القيامة التى هى الحياة- **هى نفسها إشراقة النور الإلهى فى داخل قلوبنا**. فالقيامة وهى النصرة على الخطية هى أيضا تحرر من سلطان الظلمة. لذلك دائماً فى إنجيل رفع بخور باكر فى آحاد الخماسين بعد القيامة، بل معظم آحاد السنة يذكر أن باكراً فجر الأحد أول الأسبوع أتين النسوة إلى القبر فوجدن الرب المصلوب قد قام.

"من محرس الصبح فلينتظر **إسرائيل** الرب" من هو إسرائيل؟ إسرائيل بمعناه النهائى هو السيد المسيح، أو هو شعب المسيح الذين هم خاصة الرب، شعب الله، هذا هو إسرائيل الروحى. هؤلاء الذين صاروا مِلكاً لله، فلينتظروا الرب لأن عليه رجاءهم واتكالهم.

لأن الرحمة من عند الرب

لا يمكن أن ننال الغفران أو الرحمة من مصدر آخر إلا الله وحده.

عندما أتوا بالإنسان المفلوج للسيد المسيح فقال له: يا بنى مغفورة لك خطاياك.. فقالوا: ما هذا الذى يقوله، لماذا يتكلم هذا هكذا بتجاديف.. فقال لهم أيما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال له قم واحمل سريرك وامش. أى من الاثنين أسهل؟ قم احمل سريرك وامشِ سهلة، فأى نبى أو قديس يستطيع أن يعملها، إنما **"مغفورة لك خطاياك" هذا سلطان إلهى**. لكن لكى تعلموا أن لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا. قال للمفلوج: لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك (انظر مر٢: ٥-١١). لذلك فالرحمة هى من عند الرب، والغفران هو من عنده، وخلاصه خلاص عظيم.

لهذا يجب أن ننتظر مجيئه وننتظر عمله فى حياتنا. ولو تأخر الرب فلابد أن يجيء حسب وعده. وحينما يأتى، فإنه يأتى بكل قوة واقتدار ليصنع خلاصاً عظيماً لشعبه فيتبدد الأعداء ولا يكون لهم ذكر فيما بعد..

أثناء حرب الإنسان مع الشياطين يشعر بهجوم الشياطين عليه فيقول مع المرنم: "كادوا يفنوننى من الأرض" (مز١١٨: ٨٧)، ويصرخ إلى الله ويقول من الأعماق صرخت إليك، فيأتى الرب ليسحق الشياطين، فتتبدد سريعاً، ويحس أن العاصفة قد عبرت، وكأنهم لا شئ فيقول:

عظيم هو خلاصه

إن أشد الخطايا سطوة تتبدد أمام عمل الله العجيب فى حياتنا حتى تبدو حروب الشياطين كلا شئ بعد أن كادت أن تفنينا على الأرض. هذا هو **الخلاص العظيم** الذى نعرف من خلاله قوة إلهنا الساحقة لأجناد الشر الروحية.

الرب قوى فى الحروب، مقتدر جبار يسحق الأعداء سريعاً فيتبدد الأعداء ولا يكون لهم ذكر فيما بعد؛ مثلما خلّص شعبه القديم من فرعون وفرسانه المركبية وطرحهما فى البحر الأحمر. وتأخذ مريم أخت هرون الدف بيديها وتقول "الفرس وراكبه طرحهما فى البحر" (خر١٥: ٢١).

وهو يفتدى إسرائيل من كل آثامه

إن الرب يفتدى شعبه من كل الآثام، لأن هذا الشعب هو خاصته التى اقتناها لنفسه بدمه الإلهى. إنه يشعر بمسئوليته المباشرة عن افتداء شعبه الخاص والنفوس التى اختارته نصيباً لها.. لقد وهبنا دمه الإلهى كتيار متدفق من جنبه الإلهى المطعون يحمل معه قوة الفداء والخلاص والغفران لشعبه ومختاريه.

فلنتقدم بتوبة واعتراف إلى الأقداس لكى ننال غفران خطايانا وحياة أبدية إذ تعمل فينا قوة الحياة الجديدة لتكميل وصاياه المحيية.

ليت علاقتنا مع الله يكون فيها هذا المعنى، خاصة ونحن نصلى بهذا المزمور. إن ربنا لا يرصد لنا الأخطاء، كما يقول له فى أول المزمور إن كنت للآثام راصداً يا رب، بل على العكس يقول هنا يفتدى إسرائيل من كل آثامه. ربنا يصلح لنا أخطاءنا، انظر هذا المعنى الذى وصلنا إليه فى آخر المزمور، فهو ليس فقط لا يرصد الأخطاء لكنه **يصلح الأخطاء** ويفتدى إسرائيل من كل آثامه.

إله مهمته كيف يصالحنا معه، كيف يصلح أخطاءنا، كيف يستر عيوبنا، كيف يكمل نقائصنا. أب يسعى نحو ابنه لكى يصير ناجحاً، ويحاول أن يصلح كل عيوبه، ويداوى جميع أمراضه، ويجبر كسر عظامه، ويقوِّم اعوجاجه، ويرشده ويقول له: "أعلمك وأرشدك الطريق التى تسلكها، أنصحك، عينى عليك" (**مز ٣٢: ٨**).. إله عجيب جداً!! بينما هذا الإله من المفروض إنه قاضٍ يحاسب الناس على خطاياهم، هو إله يصلح للناس أخطاءهم، ويدفع هو الثمن!!.. **مثل هذا الإله لابد أن يُحَب.**

هللويا

بمعنى هللوا لله.. ونحن نردد كلمة **هللويا** فى ختام كل مزمور لأننا نصل فى نهاية المزمور إلى معنى روحى مفرح.. فالإنسان من إعجابه بالله يتهلل أمامه. ويجب أن كل مزمور تقوله تشعر أنك أخذت منه شيئاً يفرح قلبك، وما يفرح القلب يسبب فى نفس الوقت خزى وهزيمة للشيطان..

الله يعطينا بركة المزامير وبركة صلوات الأجبية

ولإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين

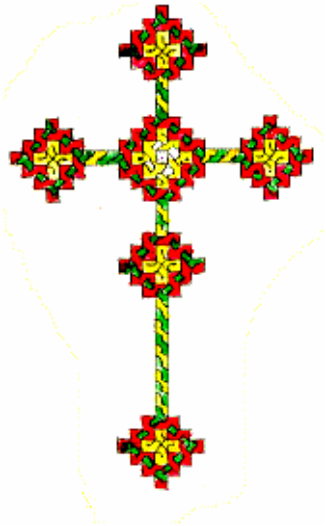

تأملات فى مزمور

هابركوا الرب

المزمور المائة والثالث والثلاثون

ها باركوا الرب يا عبيد الرب

القائمين فى بيت الرب

فى ديار إلهنا

فى الليالى ارفعوا أيديكم إلى القدس

وباركوا الرب

يباركم الرب من صهيون

الذى خلق السماء والأرض

هللـــويا

مزمور "ها باركوا الرب" الذى يقال فى صلاة النوم وصلاة الستار وفى الخدمة الثالثة من صلاة نصف الليل، **هو آخر مزمور من مزامير المصاعد التى هى خمسة عشر فى عددها**، التى معها كانوا يصعدون درجات حتى يصلوا إلى بيت الرب، وفى هذا المزمور الخامس عشر يتضح أنهم بعدما صعدوا الخمس عشرة درجة وقفوا عند هذه الأخيرة، فهتفوا بهذا المزمور الذى يخبرهم بوصولهم إلى بيت الرب فقال:

ها باركوا الرب يا عبيد الرب
القائمين فى بيت الرب، فى ديار إلهنا

الهيكل

أنتم الآن داخلون الهيكل، فهيئوا أنفسكم واستعدوا للصلاة والعبادة فى داخل هيكل الرب.. ولنقف وقفة صغيرة لنعرف لمحة عن الحياة داخل الهيكل والخدمة فيه..

من المعروف أن الله قد اختار سبط لاوى، وخصّصهم لخدمة بيت الرب -الذى كان هو فى البداية خيمة الاجتماع- وخدمة الأوانى المقدسة. كما كانوا يحملون محتويات خيمة الاجتماع بما فيها من تابوت عهد الرب، ليرحلوا من مكانٍ إلى مكان.

كان عليهم إلى جانب حراسة القدس وخدمته، أن يرتحلوا به حاملين مائدة خبز الوجوه، ومذبح البخور والمنارة ذات السبعة سرج، كما يحملون مذبح المحرقة والمرحضة، وكل محتويات الهيكل. بل كانوا يحملون الخيمة نفسها حيث يفصلون كل أجزائها وأعمدتها. عمل كبير جداً.. أما بعد استقرار الخيمة فى موضع واحد وذلك تمهيداً فيما بعد لإقامة الهيكل كبيت للرب، فقد بطل الكثير من هذه الخدمة، واختلفت نوعية خدمتهم بما يتناسب مع طبيعة الحياة الجديدة والخدمة فيه.

وقد قسم داود النبى اللاويين إلى أربعة وعشرين فرقة؛ "لأجل الوقوف كل صباح لحمد الرب وتسبيحه، وكذلك فى المساء.. وليحرسوا حراسة خيمة الاجتماع وحراسة القدس، وحراسة بنى هرون إخوتهم فى خدمة بيت الرب" (١أى٢٣: ٣٠-٣٢)، كما هو موضّح فى سفر أخبار الأيام الأول الأصحاح الثالث والعشرين.

خدمة اللاويين فى الهيكل

كانوا أربعة وعشرين فرقة تخدم فى دوريات، إذ كان الهدف من ذلك ألا ينقطع حمد الرب وتسبيحه ليلاً ونهارًا. وليس التسبيح فقط إنما أيضاً الحراسة، **لكن ماذا كانوا يحرسون؟**

يحرسون الأوانى الذهبية التى فى الهيكل؛ أوانى ذهب وفضة ونحاس. كما يحرسون تابوت عهد الرب خشية أن يتجاسر أحد المتعدين فيدخل ويتجرأ ليقطع السجف أو ليكسر كاروبيما الذهب، أو يعبث فى أى شئ من الأقداس.

لماذا لا يدافع الله عن أقداسه ؟!

لا شك أنه يمكن أن تنزل نار من السماء لتحرق أى متجاسر على الأقداس، وكثيراً ما حدث مثل هذا؛ فعندما تجاسر ابنا هرون وقدما نارًا غريبة على مذبح الرب، نزلت نار من السماء وأحرقتهما (انظر لا١٠). وفى نقل تابوت العهد عندما لمس عزَّة التابوت الذى كاد أن يقع لأن الثيران كانت قد انشمصت، فمات فى الحال لأنه ليس من سبط الكهنوت (انظر ٢صم٦).. فمن الممكن جداً أن يبطل الله بقوته أى تجاسر على مقدساته، إنما الله دائماً **يسوس العالم بالقوانين أكثر من أن يسوسه بالمعجزات**.

فأنت لا تترك بابك مفتوحاً وتدّعى أنه يكفى أن الله يحرسه، لكن فى كل أمور حياتنا لنعمل ما نستطيعه والرب يكمل ما لا نقدر عليه، لأنه يقول: "لا تجرب الرب إلهك" (مت٤: ٧).. وفى الهيكل كانت الحراسة

خوفاً من أى متعدٍ، وليس ذلك فقط إنما أيضاً من أى غريب؛ الذى لا يعرف مقدار هذه المقدسات.

لكن ربما تتعجب عندما تعرف أن الله يخاف على ذاك الذى يدخل بدون وعى ليتجرأ على الأقداس، أكثر جداً من المقدسات نفسها!! فبدلاً من أن يدخل ويقع عليه قصاص وعقوبة تجاسره، ينبهه أحد حارسى الهيكل من خطورة الدخول.. هذا أيضاً عملٌ خاصٌ بحراسة الهيكل. فكما أن عليهم المحافظة على قدسية المكان، أيضاً عليهم تنبيه الداخل والخارج للحفاظ على طقسه.

كان رئيس الكهنة لا يدخل قدس الأقداس إلا مرة واحدة وليس بدون ذبيحة؛ أى أنه يقدم ذبيحة أولاً ليكفر بها عن خطايا نفسه وخطايا الشعب، ثم يدخل بعد أن يربطوه من وسطه بسلسلة حتى إذا مات فى الداخل يمكنهم أن يسحبوه دون أن يدخل أحد.

خدمة الحراسة فى العهد الجديد

من أعمال الحراسة أيضاً فى الهيكل كانت حراسة الذهب الموجود فى المكان..كل هذه الأمور لها معانٍ روحية فى العهد الجديد، فالله فى العهد القديم كان يعلمهم أن يحرسوا الذهب، وفى العهد الجديد عندما نعرف أن الذهب يشير إلى حياة القداسة، والذهب فى الكنيسة

هو القدسات التى للقديسين، لم يعد مجرد معدن نخاف على سرقته، وإن كان بالكنيسة أشياء نخاف عليها من السرقة، لكن ليس بنفس مفهوم العهد القديم. فما يُسرق يمكننا أن نعوضه، لكن ما هو أهم هو المحافظة على المقدسات فى الحياة المقدسة مع المسيح أهم بكثير من المادة المصنوع منها أى شئ فى الكنيسة.. من هذا المنطلق نستطيع أن نفهم معنى قول المرتل فى هذا المزمور: ها باركوا الرب يا عبيد الرب القائمين فى بيت الرب..

عبيد الرب

هم أولئك الداخلون الهيكل للصلاة، فالكل هم عبيد لله؛ يتعبدون له. ومن الممكن أن يكون المقصود هم الخدام القائمون على حراسة القدس، "لأجل الوقوف كل صباح لحمد الرب وتسبيحه، وكذلك فى المساء.. وليحرسوا حراسة خيمة الاجتماع وحراسة القدس، وحراسة بنى هرون إخوتهم فى خدمة بيت الرب" (١أى٢٣: ٣٠-٣٢).

عبيد أم أبناء ؟

ربما يعترض البعض على كلمة "**عبيد**" فيقول إن السيد المسيح قال: "لا أعود أسميكم عبيداً.. لكنى قد سميتكم أحباء" (يو١٥: ١٥)،

لكن المسيحية لا تؤخذ بآية واحدة إنما تؤخذ ككلٍ لا يتجزأ. ماذا تقول عن بولس الرسول الذى يفتخر فى أغلب رسائله بل ويفتتحها بقوله: "بولس **عبد** ليسوع المسيح" (رو١: ١)، وفى افتتاحية رسالته إلى فيلبى يكتب: "بولس وتيموثاوس **عبدا** ليسوع المسيح.. " (فى١: ١) ليس هو وحده إنما أيضاً تيموثاوس. ليس بولس فقط كتب ذلك، إنما أيضاً يهوذا الرسول فى بدء رسالته يكتب: "يهوذا **عبد** يسوع المسيح.." (يه ١).

فكلمة "**عبد**" إذن **لها مفهومان**؛ فيمكن أن تُفهَم **بمعنى العبودية المُرة** التى فيها يفقد الإنسان علاقته ومحبته لله، فتتحول إلى علاقة عبودية وخوف واستعباد. ويمكن أن تفهم **بمعنى إنسان أسير لمحبة المسيح** وخادم له.. وكثيراً من يتسمى باسم "عبد المسيح" خريستو ذولوس Cristou/ dou/loj ويكون مفهومها أنه يحب المسيح ويحيا معه ويخدمه..

فلا تعارض بين "لا أعود أسميكم عبيداً" فهو يقول أيضاً: "العبد لا يبقى فى البيت إلى الأبد" (يو٨: ٣٥)، فهل العبد هنا يقصد به بولس الرسول عندما يقول: "بولس **عبد** ليسوع المسيح" إنه لا يبقى إلى الأبد؟! أم يكون المقصود هو ذاك الذى يعيش مع المسيح ولا تربطه به علاقة محبة كابن، كما قال السيد المسيح: "لا أعود أسميكم عبيداً **لأن العبد لا**

يعلم ما يعمل سيده. لكنى قد سميتكم أحباء **لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى**" (يو١٥: ١٥).

مفهوم العبودية فى المسيحية

العبد لا يعلم ما هى إرادة سيده، فهو يعمل خشية العقاب، فإن لم يوجد عقاب يترك عمله ويلهو. لكن الابن فى بيت أبيه يضع قلبه على كل ما هو صالح للبيت، ويعمل من أجل أن يفرّح أباه ويرضيه. يريد فرح أبيه وهذه هى أجرته الحقيقية التى هى إرضاء قلب أبيه، لا يبحث عن أجرة مادية.

فكلمة "**عبد**" فى المفهوم المسيحى ليس المقصود بها العبودية الخالية من المحبة وروح البنوة التى قال عنها بولس الرسول "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب" (رو٨: ١٥).

روح العبودية التى ترفضها المسيحية هى العبودية القاسية التى تجعل الإنسان لا يسلك إلا بالخوف من العقاب ومن نار جهنم، وإن لم يكن عقاب ونار أبدية لا يحيا مع الله.. والكتاب المقدس كثيراً ما يذكر كلمة عبيد بمفهومها الجميل الذى يتمشى مع روح المسيحية.

ففى سفر الرؤيا الأصحاح التاسع عشر يقول: "وبعد هذا سمعت صوتاً عظيماً من جمع كثير فى السماء قائلاً: هللويا، الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا. لأن أحكامه حق وعادلة إذ قد دان الزانية العظيمة التى أفسدت الأرض بزناها **وانتقم لدم عبيده** من يدها" (رؤ١٩: ١، ٢).. من هؤلاء العبيد؟ أولئك هم الشهداء الذين سُفكت دماؤهم الطاهرة الذكية. "وقالوا ثانية: هللويا. ودخانها يصعد إلى أبد الآبدين. وخر الأربعة والعشرون قسيساً والأربعة الأحياء وسجدوا لله الجالس على العرش قائلين: آمين هللويا. وخرج من العرش صوت قائلاً سبحوا لإلهنا يا جميع **عبيده الخائفيه** الصغار والكبار" (رؤ١٩: ٣-٥).

مفهوم الخوف فى المسيحية

ففى الآية التى ذكرها بولس الرسول "إذ لم تأخذوا **روح العبودية أيضاً للخوف** بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب" (رو٨: ١٥). وهنا فى سفر الرؤيا أيضا يذكر العبيد والخوف فما معنى هذا؟!

مفهوم العبيد يختلف فى الآية الأولى عن الثانية ، أيضاً مفهوم الخوف يختلف فى الاثنين.. يقول الكتاب: "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" (فى٢: ١٢)، ويقول أيضاً "من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك" (رؤ١٥:

٤)، وأيضاً "رأس الحكمة مخافة الرب" (مز١١١: ١٠).. الخوف على نوعين؛ الخوف الذى هو مخافة الابن أن يغضب أباه، فيخاف أن يجرح مشاعره. كما يخاف على محبته، ويخاف على كرامته كأب، كما قال الله فى القديم: "إن كنت أنا أباً فأين كرامتى وإن كنت سيداً فأين هيبتى قال لكم رب الجنود أيها الكهنة المحتقرون اسمى" (ملا١: ٦).

هذا هو الخوف وليس هو روح العبودية التى فيها الخوف والعداوة.. فيقف الإنسان أمام الله مرتعب لا يعرف كيف يتعامل معه.. ففى المسيحية تُرفَع تلك الروح؛ روح العداوة بين الله والإنسان كما قال الكتاب "عاملاً الصلح بدم صليبه" (كو١: ٢٠).

ليس معنى هذا أن يفقد الإنسان المخافة فى حياته الروحية، ويتهاون ولا يكون لله مهابته. فهوذا بولس الرسول يقول "لأن إلهنا نارٌ آكلة" (عب١٢: ٢٩)، و"مخيفٌ هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب١٠: ٣١). وفى سفر الرؤيا عندما يقول "سبحوا لإلهنا يا جميع **عبيده الخائفيه** الصغار والكبار" يقصد بالخائفين الذين يخافون مخافة البنين، التى يقول عنها: "سيروا زمان غربتكم بخوفٍ" (١بط١: ١٧).

الخوف والمحبة

أما عن قول يوحنا الرسول: "لا خوف فى المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج" (١يو٤: ١٨) فهو لا يقصد بالخوف مخافة الله السليمة، لأنهم يقولون فى سفر الرؤيا "من لا يخافك يا رب.. " (رؤ١٥: ٤)، فهذا الخوف إذن الذى تطرحه المحبة إلى خارج ليس هو مخافة الاحترام والمهابة والخشوع إنما هو خوف العداوة والارتعاد وعدم الاطمئنان.

الابن يكون مطمئناً فى حضن أبيه، ولكنه يشعر باحترام شديد نحو هذا الأب. ربما يكون فى حضنه يسند رأسه على صدره لكنه يشعر أنه فى موقف مهوب ومخوف؛ موقف الإجلال والاحترام التام. يقول أشكرك يا رب إذ أخذتنى فى حضنك بينما أنا لا أستحق، وأنا أشعر بمحبتك لكنى أيضاً أشعر برهبة هذا الموقف كما قال يعقوب بعدما شاهد السلم السمائى فى رؤياه: "حقاً إن الرب فى هذا المكان وأنا لم أعلم.. **ما أرهب** هذا المكان ما هذا إلا بيت الله وهذا باب السماء" (تك٢٨: ١٦، ١٧) هكذا قال يعقوب حينما رأى سلماً منصوباً ورأسه يمس السماء، والرب واقفاً عليه.

العبادة المقبولة المرضية

المشكلة أحياناً أن البعض يأخذ آية واحدة من الكتاب المقدس ويبنى عليها مفهوماً روحياً عاماً، كما هو فى الآية "لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف" أو " المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج". أو قول السيد المسيح: "لا أعود أسميكم عبيداً.. لكنى قد سميتكم أحباء".. لكن هل معنى هذا أن الإنسان يعتفى من أن يصير عبداً لله..كلا فماذا عن قول المزمور: **ها باركوا الرب يا عبيد الرب، القائمين فى بيت الرب**..

فى سفر الرؤيا قال الملاك ليوحنا الرسول: "اكتب طوبى للمدعوّين إلى عشاء عرس الخروف. وقال: هذه هى أقوال الله الصادقة. فخررت أمام رجليه لأسجد له. فقال لى انظر لا تفعل. **أنا عبدٌ معك** ومع إخوتك الذين عندهم شهادة يسوع. **اسجد لله**. فإن شهادة يسوع هى روح النبوَّة" (رؤ١٩: ٩، ١٠). هكذا قال الملاك ليوحنا الرسول اسجد لله أنا عبد معك.

لذلك هكذا قيل: "سبحوا لإلهنا يا جميع **عبيده** الخائفيه الصغار والكبار" (رؤ١٩: ٥)، ويقول الملاك ليوحنا: "أنا **عبد** معك ومع إخوتك الذين عندهم شهادة يسوع"، وقيل: "وانتقم لدم **عبيده** من يد الزانية"؛ التى هى الممالك التى اضطهدت القديسين.

ونسمع عن حنة بنت فنوئيل التى كانت فى الهيكل عند دخول السيدة العذراء مع يوسف بالسيد المسيح يقول عنها الكتاب: "وكانت نبية حنة بنت فنوئيل من سبط أشير. وهى متقدمة فى أيام كثيرة. قد عاشت مع زوجٍ سبع سنين بعد بكوريتها. وهى أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهارًا. فهى فى تلك الساعة وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً فى أورشليم" (لو٢: ٣٦-٣٨).. عابدة بأصوام وطلبات، مثل هذه العابدة يقول لها المزمور: **ها باركوا الرب يا عبيد الرب.. فى الليالى ارفعوا أيديكم إلى القدس وباركوا الرب.**

من يفتخر أنه عبد ليسوع المسيح تكون عبادته هذه العبادة المقبولة المرضية التى يثبت فيها الإنسان بالروح والحق "لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له" (يو٤: ٢٣).. هذه التى قيل عنها فى المزمور: ها باركوا الرب يا عبيد الرب القائمين فى بيت الرب.

من واجبنا أن نبارك الرب؛ أى أن ننسب إليه البركة مثلما سوف نشرح بالتفصيل فى عبارة "وباركوا الرب".

فى الليالى ارفعوا أيديكم إلى القدس

الليل مفروز لعمل الصلاة

لماذا قال فى الليالى؟.. لم يقل فى الأيام، أو فى الساعات أو فى النهار؟! مار اسحق يقول: [**الليل مفروز لعمل الصلاة**]، فالليل بهدوئه وسكونه هو أنسب وقت للصلاة والتأمل. ومن أجل إدراك الآباء الرهبان لهذه الحقيقة يسهرون فى الليل يسبحون ويصلون.

كثيراً ما ذُكر الليل فى مزامير داود النبى؛ فيقول: "بالنهار يوصى الرب رحمته **وبالليل تسبيحه عندى صلاة** لإله حياتى" (مز٤٢: ٨)، أى أن الرب يوصى بالنهار رحمته لتحفظنا فى أعمالنا طول النهار، أما بالليل فنحن نصلى ونسبحه كمانح الحياة. فهو يوصى رحمته لحساب صلوات الليل التى هى "لإله حياتى". وكأنه يدَّخر فى الليل رحمة للنهار. ويقول أيضاً "ذكرتُ **فى الليل** اسمك يا رب وحفظت شريعتك" (مز١١٨: ٥٥)، و" **فى نصف الليل** نهضت لأشكرك على أحكام عدلك" (مز١١٨: ٦٢)، وأيضاً "يدى **فى الليل** انبسطت ولم تخدر" (مز٧٧: ٢) أى ظلت يداه منبسطة طول الليل، ظل رافعاً يديه فى الصلاة.. ويقول أيضاً "ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية" (مز١٤٠: ٢).

ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية

ما أجمل أن يرفع الإنسان يديه فى الصلاة على مثال صليب السيد المسيح. فالشياطين ترتعب من رؤيته، إذ أن رفع اليدين ذبيحة. وعندما ترتفع اليدين إلى فوق يساعد هذا على رفع العقل والقلب إلى الله. فالجسد يعمل مع الروح فى العبادة، ولذلك قال بولس الرسول: "فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان **رافعين أيادى طاهرة** بدون غضب ولا جدال" (١تى٢: ٨). فلماذا قال رافعين أيادى طاهرة؟ ذلك حتى لا يقول لهم الله: "حين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم وإن كثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً. اغتسلوا تنقوا.. " (إش١: ١٥، ١٦). فمع رفع العقل والقلب يرفع الإنسان يديه، كما قال المرتل: "ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية" (مز١٤٠: ٢).

الله لا ينسى أبداً هاتين اليدين المرفوعتين. ستكون تلك الأيادى المرفوعة تذكارًا أبدياً أمامه، يفرح بها ويقبل منها صلواتها، بينما يرتعب منها الشيطان. لكن ليس معنى ذلك أن هذا هو الوضع الوحيد الذى تُقبَل فيه الصلاة، فيمكن أن يصلى الإنسان راكعاً، وصلوات كثيرة تُرفع فى وضع السجود، فللصلاة أوضاع كثيرة، لكن رفع اليدين من الأوضاع التى تساعد على ضبط الفكر وضبط العقل، ورفع العقل والقلب إلى الله..

ليتنا ندرب أنفسنا فى صلواتنا أن نرفع أيدينا إلى فوق، ومعها نرفع أعيننا وترتفع قلوبنا، هكذا نكون رافعين أيادى طاهرة بدون غضب ولا جدال. "فى الليالى ارفعوا أيديكم **إلى القدس**" أى نحو المقدس السمائى فى السماء حيث المسيح جالس عن يمين العظمة.

وباركوا الرب

إن أفواهنا تتقدس بذكر اسمه، فحينما نبارك الرب تتبارك نفوسنا، وحينما ننطق اسمه تتقدس ألسنتنا وأفواهنا. وحينما نتعبد له نكون بالحقيقة أحرارًا. ما أعجب أن يطلب الإنسان الحرية بعيداً عن الله، فيصير عبداً للخطية. أما الذى يطلب العبودية فى أحضان الله يصير حراً من الخطية، ملكاً على حواسه وعلى كل كيانه. فحينما نتعبد لله بالحقيقة نكون أحرارًا، وعندما نخدمه ننال شرفاً ومجداً كما وعد قائلاً: "إن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب" (يو١٢: ٢٦).

كيف نبارك الرب؟!

ليس معنى ذلك أننا نباركه كما هو يباركنا. فكلمة نباركك لا تعنى أننا نعطى بركة لله.. حاشا، فهو مصدر كل بركة ونعمة. إنما عندما نقول

فى القداس الإلهى: {نسبحك **نباركك**} إنما نعنى أننا ننطق بكلام البركة الذى يليق بمجده وجلاله.

فعندما تقول له مبارك أنت يا رب، تنسب إليه البركة وتعترف أنه مبارك "**مبارك الرب** إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه" (لو١: ٦٨) هكذا نطق زكريا الكاهن والد يوحنا المعمدان. يقول الكتاب أن فمه انفتح وانحل لسانه بعد صمته وتكلّم وبارك الله، وماذا قال؟ قال: "مبارك الرب.. " يكفى أن أقول أن **الرب مبارك**، هذا ما تعنيه كلمة "**أبارك الرب**" أى أعترف **أنه مبارك**.

يباركك الرب من صهيون
الذى خلق السماء والأرض. هللويا

يباركك الرب

عندما تقول أن الرب مبارك، وعندما تقول مع المرتل: "باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته" (مز١٠٣: ٢)، عندئذ يباركك الرب. عندما أقول له: يا رب أنت مبارك؛ يباركنى. فحسب ما ينسب الإنسان لله من الصفات يتعامل الله معه، إن فكّر أن الله قاسٍ وتعامل بقسوة مع الآخرين، يعامله بالقسوة التى بها يفكر من جهته. هذه هى طريقة الله معنا. كيفما يريد الإنسان أن يكون الله له هكذا يكون، إن

أراد أن يعوج الطريق مع الرب هكذا يتعامل معه الله، وإن أراد أن يسير مستقيماً يسيره الله فى طريق الاستقامة ويحقق له كل مواعيده. هكذا قال المزمور عن الرب "مع الرحيم تكون رحيماً مع الرجل الكامل تكون كاملاً. مع الطاهر تكون طاهراً ومع الأعوج تكون ملتوياً" (مز١٨: ٢٥، ٢٦).

ما هى صهيون هذه ؟

صهيون تل من التلال التى بُنيت عليها مدينة أورشليم، لذلك فى بعض المواضع يقول صهيون، وفى مواضع أخرى يقول عنها أورشليم. صهيون ترمز إلى السماء حيث صعد السيد المسيح ليجلس عن يمين العظمة فى الأعالى.

لذلك عندما يقول:

"يباركك الرب من صهيون" **أى يباركك من جبل صهيون حيث جبل الرب**، إذ ونحن فى هيكل الرب واقفين للصلاة تحل علينا النعم والبركات. ها قد أتينا بذبائح لنضع أيدينا على رأس الذبيحة حسب طقس العهد القديم، ونعترف بخطايانا فننال منه المغفرة. جبل صهيون هو موضع الغفران، موضع استجابة الصلاة، هذا بمفهوم العهد القديم.

"يباركك الرب من صهيون" أى **من جبل أورشليم حيث هيكل الرب،** الموضع الذى سُر الرب أن يُدعى اسمه عليه. أما صهيون الآن فهى السماء، وأيقونة السماء على الأرض التى هى الكنيسة هى صهيون. فالسماء هى الفردوس والكنيسة هى صهيون المتغربة هنا على الأرض، التى تؤول فى النهاية إلى أورشليم النازلة من السماء مثل عروس مهيأة لعريسها.

عندما أقف لأصلى أمام الرب أعيش فى ذكريات صهيون التى يقول عنها المرتل: "يحب الرب أبواب صهيون أفضل من جميع مساكن يعقوب" (مز٨٦: ٢). كان الرب يحب أورشليم ووضع اسمه فيها، وجعل فيها الكهنة والذبائح والأعياد والاحتفالات، كما وضع فيها الهيكل بمجده وقبابه المغشاة بالذهب..

عندما تقول: "**يباركك الرب من صهيون**" تذكر أن الرب يحب هذا المكان، ويحدر فيه نعم وخيرات وبركات. فيه تنزل النار الإلهية من السماء، فيه مجد الرب يملأ الهيكل. فيه الغفران والذبائح الدائمة موجودة بالهيكل. تذكر أن كل من إتجه بقلبه نحو هذا الموضع كان الرب ينظر من سمائه ويستجيب.

عندما ندرك مقدار محبة الله لصهيون، وكيف كان يستجيب لكل صلاة مرفوعة فيها، نستطيع أن ندرك مقدار وقوفنا أمامه فى الكنيسة المقدسة أولاً ثم فى مخدع الصلاة الخشوعية الفردية، ورفع أيدينا حيث المسيح جالس عن يمين العظمة فى الأعالى، من حيث تنحدر الخيرات والبركات مدرارًا.

السماء ليست بالمكان الغريب عنا. ليست هى نحاس أو حديد

إنما السماء هى مكان العشرة مع الله، هى الخدر السمائى التى يشتاق الله أن يدخل فيه الإنسان لكى تحل عليه كل الخيرات والنعم والبركات

ولإلهنا كل مجد وكرامة من الآن وإلى الأبد آمين

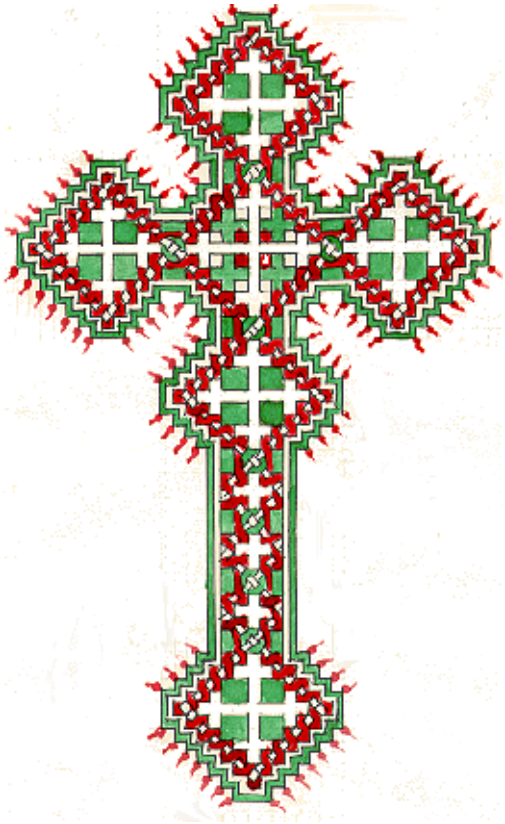

تأملات فى مزمور

هوذا ما أحسن وما أحلى

المزمور المائة والثانى والثلاثون

هوذا ما أحسن وما أحلى

أن يسكن الإخوة معاً

كالطيب الكائن على الرأس

الذى ينزل على اللحية

لحية هرون، النازلة على جيب قميصه

مثل ندى حرمون المنحدر على جبل صهيون

لأن هناك أمر الرب بالبركة

والحياة إلى الأبد

من ترانيم المصاعد

هذا المزمور الذى يُصلَى فى صلاة النوم وصلاة الستار وأيضاً فى الخدمة الثالثة من صلاة نصف الليل؛ هو من ترانيم المصاعد. كما سبق وقلنا أن ترانيم المصاعد هى مزامير صغيرة تقال على درجات هيكل سليمان. كان يترنم بها الشعب والمرنمون أثناء دخولهم الهيكل، على درجات الهيكل التى هى خمس عشرة درجة. على كل درجة كانوا يتلون مزموراً..

وترانيم المصاعد كلها مزامير قصيرة ما عدا مزمور "اذكر يا رب داود وكل دعته" هو المزمور الوحيد الطويل فيها. وربما يكون سبب هذا أن هذا المزمور بصفة خاصة هو الذى قيل لأول مرة فى يوم دخول تابوت العهد إلى هيكل سليمان بعد إتمام بناء الهيكل. لذلك يليق بهذه المناسبة ونحن داخلون إلى الهيكل أن نقف طويلاً متأملين فى هذا الموضوع. كل مزامير المصاعد قصيرة، أما عند هذا الموضوع الذى يقال على الدرجة الثالثة عشرة يقال هذا المزمور الطويل الذى قيل فى يوم دخول التابوت إلى قدس الأقداس.

المزمور الذى يليه الذى هو قبل الأخير فى ترانيم المصاعد هو مزمور "هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً".. بعد أن دخل

تابوت العهد إلى موضعه فى الهيكل، وبعد تدشين الهيكل، وبعد أن حل مجد الرب فى المكان يتهلل المرنم قائلاً:

هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً

هوذا ما أحسن وما أحلى إذا ما حل الرب فى موضع فحيثما اجتمع الإخوة فالرب يفرح بهم ويكون موجوداً فى وسطهم. فالسيد المسيح قال: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم" (مت١٨: ٢٠). مزمور صغير وسهل إنما مملوء معانٍ جميلة جداً ومملوء تأملات روحية جميلة.

الكنيسة جماعة المؤمنين

قبل أن ندخل فى تفاصيل كلمات هذا المزمور، نحب أن نوضّح أن هذا المزمور يمكن أن ينطبق على أمور كثيرة، ومواقف متعددة. لكن إذا أردنا أن نضع له عنواناً رئيسياً ممكن أن يكون العنوان "الكنيسة جماعة المؤمنين" أى أن هذا المزمور يتكلم عن الكنيسة. لكن بالرغم من هذا فهو من الممكن أن ينطبق على مواقف أخرى فرعية.. والكنيسة التى هى جماعة المؤمنين؛ هى جسد المسيح والمسيح هو رأسها؛ رئيس الكهنة الأعظم "وإياه جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة التى هى جسده" (أف١: ٢٢، ٢٣).

"هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً" موقف جميل ونافع فى آنٍ واحد.. ما أحلى بمعنى ما أجمل وما أحسن، هنا نشعر أن الروح القدس يؤكد أن اجتماع الإخوة معاً بقلبٍ واحد بنفسٍ واحدة يكون نافعاً جداً وجميلاً جداً ومبهجاً ومفرحاً لقلب الله المحب. وفى سفر الجامعة نقرأ قول سليمان الحكيم: "**اثنان خير من واحد** لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة. لأنه **إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه وويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس ثانٍ ليقيمه**.. وإن غلب أحد على الواحد يقف مقابله الاثنان والخيط المثلوث لا ينقطع سريعاً" (جا٤: ٩-١٢). هنا يؤكد الكتاب المقدس أيضاً على أهمية الوحدة واتحاد الرأى بين الجماعة.

اثنان خير من واحد

ممكن بالمعنى العام أن يكون لك صديق روحى أو زميل روحى، أو لك شركة مقدسة مع أحد المؤمنين أو مع جماعة المؤمنين بالأولى كثيراً فى الوضع العام. وبالمعنى الخاص -بالوضع الموجود بالكنيسة- نستطيع أن نقول إن الإنسان له أب اعتراف أو مرشد روحى. أما إذا سلك وحده بدون أب اعتراف، فإن وقع لا يجد من يقيمه. أما الذى له أب اعتراف إن وقع يسرع إلى أب اعترافه. فأب اعترافه يسنده ويصلى من أجله

ويعزّيه ويشجعه، ويطلب من أجل غفران خطاياه، ويمنحه حِلاً عن الخطية فيشعر بارتياح، ويشعر أنه لا يجاهد وحده ضد الشيطان لكن معه قوة أخرى تسنده. ويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس له ثان ليقيمه.

ويلاحظ هنا أن تعبير "**يقيمه**" يشير بالدرجة الأولى إلى السيد المسيح الذى يقيم الإنسان من الخطية، ويقيمه فى اليوم الأخير، كما أنه يشير إلى الأب الروحى فى الكنيسة باعتباره وكيل أسرار الله.

ويل لمن هو وحده

الكتاب المقدس نفسه يدعونا أن تكون لنا شركة مقدسة مع أناس قديسين سواء بالنسبة لأب الاعتراف أو بالنسبة للصداقات الروحية. مثلاً رهبان فى دير يسندون بعضهم بعضاً فى حياتهم الروحية ويعيشون فى محبة. إخوة خدام فى فرع من مدارس الأحد يسندون بعضهم بعضاً، إن تعرّض أحدهم للضياع وكاد العالم أن يبتلعه يحيط به باقى إخوته الخدام، ويدخلون معه بروح الشركة معركة ضد الشيطان إلى أن يستفيق ويرجع إلى نفسه. ويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس له ثان يقيمه، من هذا المنطلق نستطيع أن نقول: هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً.

إن غلب أحد على الواحد يقف مقابله الاثنان، أى أنه عندما يحارب الشيطان الإنسان يمكن أن يغرر به، يحسّن له فكرة معينة ويصور له أنها شئ حسن أو جيد **أو مسموح به**، فيسقطه فى العطب والتهلكة، أما إن كان اثنان معاً ربما الأمر الذى يخدع الواحد لا يقدر على الاثنين، والحرب التى تُسقِط واحد ربما لا تُسقِط اثنين. إن غلب أحد على الواحد يقف مقابله الاثنان.

لذلك بالنسبة للحياة العامة إن سار أحد فى طريقه وعلم أن إنساناً يتربص له، يمكنه أن يستعين بزميل له يسأله أن يمكث معه هذا اليوم، فعندما يراهما المعتدى سائرين سوياً يخشى ولا يتقدم، إذ يشعر أنه لن يستطيع أن ينتصر وحده على الاثنين.. حتى يقال إن الذئب إذا رأى اثنين من الناس؛ لا يهجم إلا إن رأى واحداً بمفرده. وإن كان الثعلب ممكن أن يخاف، أما الذئب فإن رأى شخصاً بمفرده يهجم عليه ويفترسه. **إن غلب أحد على الواحد يقف مقابله الاثنان.**

الخيط المثلوث لا ينقطع سريعاً

الحبل عندما يفتل من ثلاثة خيوط لا ينقطع ويكون قوياً، لماذا؟ لأن أى حبل فى عملية الفتل نجد به نقط ضعف فى الخيط الواحد على

مدى طوله، هذه النقط الضعيفة إذا ضفر هذا الخيط مع آخر جانبه سيكون موقع نقط الضعف للخيط الواحد ليس هو نفس موقع نقط الضعف للخيط الثانى، فعند شد الجزء الضعيف فى أحد الخيطين سوف يكون مقوى بجزء قوى من الخيط الثانى، وكذلك نقط الضعف التى فى الثانى يسندها أجزاء قوية من الأول. ولكى يصلح هذا لابد أن يكون الخيطان متداخلين فى بعضهما (أى ملفوفين على بعضهما) حتى أن تحميل الحمل والشد لا ينتقل من أول الخيط لآخره دفعة واحدة، إنما ينتقل من خلال الخيط زميله، أى يكون هناك نوع من التداخل أو الالتحام أو الاتحاد. لذلك يقول الكتاب "**والنهاية كونوا جميعاً متحدى الرأى بحس واحد ذوى محبة أخوية مشفقين لطفاء**" (١بط٣: ٨).

وحدانية القلب التى للمحبة

مهم جداً **اتحاد الرأى فى الكنيسة** وسط جماعة المؤمنين. واتحاد الرأى هذا ليس من السهل أن ينشأ حيثما اتفق، أو هو أمر تلقائى لكنه أمر يحتاج إلى يقظة وانتباه ويحتاج إلى جهاد، فوحدانية القلب التى للمحبة لها جهاد.. كون الإنسان يخضع مشيئته للآخرين كما يقول الرسول: "**خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله**" (أف٥: ٢١). كون

الإنسان يتنازل عن مشيئته لآخر؛ فيها بذل للذات. ربما من السهل أن يتنازل عن ملابسه ولا يتنازل عن مشيئته..!!

من أجل ذلك فالكنيسة الأولى يقول عنها الكتاب: "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن أحد يقول أن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شئ مشتركاً" (أع٤: ٣٢)، مادام يوجد قلب واحد من السهل أن تكون الممتلكات مشتركة، مادام هناك نفس واحدة تكون الاشتراكية سهلة جداً.

"المحبة.. لا تطلب ما لنفسها" (١كو١٣: ٥) **ما دام يوجد محبة ووحدانية قلب وواحدانية فكر، هناك يكون شركة فى كل الأمور.**

منظر جميل يقف الله أمامه ويتغنى به. شئ عجيب جداً فقد تعودنا دائماً أننا نحن نتغنى ونتأمل فى جمال الله وصفاته الجميلة ولكن من القليل جداً أن نجده هو يتغنى بشئ جميل يراه فينا !!. **الروح القدس هنا يتغنى فى جمال الكنيسة ويقول: هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً.**

أميل لأنظر هذا المنظر العظيم

موسى النبى عندما رأى النار مشتعلة فى العليقة ولا تحترق قال: "أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم" (خر٣: ٣).. لكنى أريد أن أقول

أن الله نفسه هنا فى هذا المزمور هو الذى كَمن يقول: "أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم"، حيثما اجتمع الإخوة معاً؛ منظر يفرح قلب الله ويسترعى انتباهه، ويتغنى بفرح قائلاً: هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً.

إذا أردت أن تفرح قلب الله؛ أوجِد وحدانية قلب، وحدانية فكر بينك وبين زملائك، بينك وبين إخوتك، بينك وبين أسرتك. ولتكن حريصاً جداً على هذه المسألة. السيد المسيح قال: "طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون" (مت ٥: ٩). فلتكن دائماً صانعاً سلاماً، لا تبث الفرقة بينك وبين غيرك وتقبل أن تصطدم وتتعب وتنفصل، ولا تقبل أن تبث الفرقة بين الآخرين بعضهم بعضاً.

ألفهم الروح القدس مثل قيثارة

الكنيسة فى طقوسها جميلة جداً فى فهمها للمزامير، فالآباء الرهبان لأنهم يحفظون التسبحة ويرددونها باستمرار لديهم غنى وذخيرة جميلة جداً وعمق عجيب فى فهم المزامير.

كنيستنا لم تترك شيئاً إلاّ وقدمت لنا فيه غذاءً روحياً دسماً جداً من خلال فكر الآباء واختباراتهم الروحية. ففى ذكصولوجية باكر تقدم تفسيراً لهذا المزمور فى منتهى الروعة والجمال. نقول فى ذكصولوجية باكر

{ما هو الحسن وما هو الحلو إلا اتفاق إخوة ساكنين معاً. متفقين بمحبة حقيقية إنجيلية كمثل الرسل. مثل الطيب على رأس المسيح النازل على اللحية إلى أسفل الرجلين. يمسح كل يوم الشيوخ والصبيان والفتيان والخدام. هؤلاء الذين ألفهم الروح القدس معاً مثل قيثارة مسبحين الله كل حين. بمزامير وتسابيح وترانيم روحية النهار والليل بقلب لا يفتر}.

ما هذا العجب؟!! كلام الذكصولوجية لا يقِّل روعة عن كلام المزمور. "**هؤلاء الذين ألفهم الروح القدس معاً مثل قيثارة**".. يشبه جماعة المؤمنين أو الإخوة المجتمعين معاً بقلب واحد وفكر واحد ونفس واحدة بغيرة متقدة نحو الله، سواء فى خدمتهم أو فى تسبيحهم أو لأى هدف مقدس آخر، يقول إن هؤلاء ألفهم الروح القدس معاً أى جعلهم فى أُلفة وانسجام مثل قيثارة.

من المعروف أن القيثارة تعتمد أنغامها أساساً على الانسجام والتوافق واتفاق تردد النغمات والأصوات، هذا الانسجام بين الإخوة مثل قيثارة يعزف عليها الروح القدس نغمات جميلة جداً.

هذا يحدث طبعاً فى التسبيح والعبادة والصلاة، لكن حتى إن كان إخوة محبين بعضهم بعضاً، فحتى وإن كانوا ساكتين كأنك تسمع قطعة

موسيقية عذبة رغم أنهم لا يتكلمون. **مجرد المحبة والمشاعر التى تتبادل بين القلوب بعضها البعض هذه تمثل نغمات تصدر عن القيثارة، فما بالك إذا بدأت أفواههم تسبح؟!!** إن كانوا وهم ساكتون ألفهم الروح القدس مثل نغم جميل، فما بالك لو ابتدأوا فى التسبيح معاً. ربما تتوقف الملائكة عن تسبيحها لكى تسمع تسابيح هؤلاء الإخوة المحبين وماذا يقولون، أى أن الأمر ربما يجذب الملائكة لدرجة أنهم يقفون متأملين قائلين: "نميل الآن لننظر هذا المنظر العظيم"، ولو أن الملائكة إذا توقفت عن التسبيح بأفواهها لا يفتر قلبها عن التسبيح. أو بالأحرى أنها لا تتوقف عن التسبيح ولكنها تشترك معهم فى التسبيح. وكثيراً ما ذكرت أقوال الآباء هذا؛ أن الجماعة التى تسبح بالروح تأتى الملائكة لكى تشاركهم فى التسبيح. الإنسان المحب للصلاة يصير صديقاً للملائكة، يشارك الملائكة فى تسابيحها.

هؤلاء ألفهم الروح القدس معاً مثل قيثارة مسبحين الله كل حين بمزامير وتسابيح وترانيم روحية النهار والليل بقلب لا يفتر.

يقال أن فى أيام الرهبنة الأولى أيام القديس أنطونيوس أو بعدها أيام القديس باخوميوس، من كان يسير ليلاً بمركب عبر النيل كان طوال رحلته يسمع الرهبان يسبحون بالمزامير على ضفاف النيل فى قلاليهم مثل هدير الحمام، يسمع تسابيح فى كل موضع وفى كل يوم.

هنـاك بعـض الـبلاد المسـيحية الصـغيرة إلى الآن أو قـرى مسـيحية فى الصعيد، تجدهم وقت صلاة الغروب الكل يعرف موعدها فيقفون كلٌ فى بيته، ويمر أحد الشمامسة المباركين فى الشارع ليوزع المزامير من الشباك.. البلد كلها تصلى وقت الغروب معاً. مثل هذه البلاد أو القرى يقال عنها: "**أعمال مجيدة قد قيلت عنك يا مدينة الله**" (مز٨٦: ٣) تكون هذه هى مدينة الله التى تصلى كلها باتفاق الأصوات، ومن الجميل أيضاً أن تصلى جماعة الشمامسة فى الكنيسة بانسجام قلبى وروحى بينهم، وأيضاً انسجام فى اللحن، وانسجام فى المقاطع وانسجام فى الطبقات وانسجام فى الأصوات.. يشعر الإنسان وكأنه فى السماء ويقول: هوذا ما أحسن وما أحلى أن يجتمع الإخوة معاً.

هنـاك يسكن الله معهم

اجتماع الإخوة معاً يجعلهم فى محبة حقيقية ويعطى إحساساً بوجود الله فى وسط الجماعة. وللقديس دروثيؤس تأمل جميل جداً يقول: [عندما نتخيل أن الله هو مركز الكون أو هو مركز الوجود، وأن الوجود عبارة عن مسطح دائرى والله هو المركز. فكلما تقترب الكائنات من الله الذى هو المركز، تقترب من بعضها البعض بالأكثر، أو كلما تقترب من بعضها تقترب من الله].

لذلك يقول المزمور: هوذا **ما أحسن وما أحلى** أن يسكن الإخوة معاً، لأن هناك يسكن الله معهم كقول السيد المسيح: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم" (مت١٨: ٢٠). فعندما تجتمع جماعة المؤمنين بقلب واحد وفكر واحد ومحبة مسيحية إنجيلية حقيقية هناك يوجد الله.

هناك أكون فى وسطهم

عند وقوفنا معاً لنصلى بروحانية من القلب، فى القداس الإلهى وما يسبقه فى العشية وتسابيح نصف الليل ورفع بخور باكر؛ نشعر بحضرة إلهية عجيبة تمنح للقلب سلاماً، وتمنح للنفس فرحاً وسعادة لا يعبّر عنها، وتجعل الإنسان يشعر بالخشوع والرغبة فى التوبة والرجوع إلى الله، مع ثقة كاملة فى غفرانه العجيب من خلال سر التوبة والاعتراف والتناول من الأسرار الإلهية. فإذا دخل أحد الإخوة فى هذا المجال يتخشع قلبه ويقول إن الله حقاً فى وسط هذه الجماعة، وتكون هذه الجماعة سبباً فى توبة الكثيرين.

إذاً "هوذا ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً" **حيث هناك توجد المغفرة ويوجد الخلاص وتوجد النعمة وتوجد البركات الروحية وتنحدر المواهب السمائية.**

كالطيب الكائن على الرأس الذى ينزل على اللحية، لحية هارون النازلة على جيب قميصه

ما هو الطيب؟ هو الروح القدس فى الكنيسة، لأنه عندما كان الكهنة والملوك يُمسَحون كما أوصى الرب موسى. قال الرب لموسى فى سفر الخروج الأصحاح التاسع والعشرين: "وتقدم هرون وبنيه إلى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء.. وتأخذ دهن المسحة وتسكبه على رأسه وتمسحه" (خر٢٩: ٤-٧).

تغسله بالماء رمز المعمودية ثم تمسحه بالدهن بالطيب؛ بزيت المسحة الممتزج بالطيب، قرن الدهن أو الطيب ينسكب على رأس هرون، وينزل على لحيته إلى جيب قميصه.. فيحل الروح القدس عليه ويمسحه لكى يكهن للرب.

الرأس هو السيد المسيح الذى يرمز إليه هرون رئيس الكهنة، **والطيب** هو مواهب الله المنحدرة إلى الكنيسة من خلال المسيح الرأس. انظروا

كيف أن قلب الله كله مشاعر فياضة ورغبات مقدسة جداً من ناحية الإنسان.

يشتاق الله أن يملأ الإنسان نعماً ومواهب ومحبة وغنى روحى لا يعبّر عنه. وكل هذا كان محجوزاً عند الرب لا يقدر أن يفيض به للإنسان.. لماذا؟ لأن الإنسان كان فى حالة عداوة مع الله.

كأب يعد لابنه طعاماً شهياً جداً، بينما هذا الابن لا يستطيع مضغ هذا الطعام. هذا يجعل الأب حزيناً لأن كل شئ معد، خيراته وغناه ومسمناته بينما الابن محروم من الغنى، ويعيش فى حالة جوع وضياع.

ابنى الحبيب الذى به سررت

عندما تجسد السيد المسيح؛ عندما ظهر الله الكلمة فى الجسد وصار إنساناً، أصبح الإنسان ممثَلاً فى شخص السيد المسيح هو موضوع لسرور الله، وموضوع شركة مقدسة بين الله والإنسان. ولذلك عندما نزل السيد المسيح إلى ماء الأردن أتى "صوت من السماوات قائلاً هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت٣: ١٧). لأول مرة يشعر الله بسرور من نحو الإنسان.

تنسم الله رائحة الرضا والسرور !!

أما عما ذُكر فى العهد القديم عند تقديم الذبائح، إذ قيل أن الرب تنسم رائحة رضا وسرور.. من أين أتى هذا السرور بهذه الذبيحة؟!. إن كانت الذبيحة الحيوانية قد ذُبحت وتقطعت على المذبح فوق النار فاشتم رائحة رضا وسرور؛ هل الله يأكل اللحم المشوى؟ بالطبع لا، أو هل يجد مسرته فى رائحة شى اللحم!! هذا ربما يسر به الإنسان العادى أما بالنسبة لله ما معنى تنسم رائحة رضا وسرور إلا أنه من خلال هذه الذبيحة -كمطّلع على الأمور وحاضر فى جميع الأزمنة- يرى ذبيحة ابنه التى على الصليب. فهذه الذبيحة هى رمز لذبيحة الصليب.. ورائحة الرضا والسرور؛ هى من خلال الطاعة الكاملة للابن الوحيد التى قدمها على الصليب.

لذلك عند دورة الأب الكاهن بالبخور فى الكنيسة يقول فى الأرباع الخشوعية بين الخورس الأول والخورس الثانى: {**هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا، فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة**} اشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة، هى تنسم رائحة الرضا والسرور. فعندما يقول: "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت٣: ١٧)، يقول بفم إشعياء النبى بروح

النبوة: "هوذا عبدى الذى أعضده؛ **مختارى الذى سرت به نفسى**؛ وضعت روحى عليه، فيخرج الحق للأمم" (إش٤٢: ١، انظر مت١٢: ١٨-٢١).

هوذا فتاى الذى اخترته

"هوذا فتاى الذى اخترته؛ حبيبى الذى سرت به نفسى؛ أضع روحى عليه.." (مت١٢: ١٨) لأول مرة يظهر الله بالرضا الكامل والسرور من ناحية الإنسان منذ معصيته وسقوطه فى الفردوس، فبكل الغنى المذخر فى قلب الله نحو الإنسان انحدرت النعم والبركات، مثل من يكبت فى نفسه مشاعر وعواطف كثيرة فى قلبه وفجأة ينفتح الباب..

لذلك فى بداية خدمة السيد المسيح وقف فى المجمع ليقرأ فدفع إليه سفر إشعياء النبى: "ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه روح الرب علىّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين. أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، لأنادى للمأسورين بالإطلاق، وللعمى بالبصر، وأرسل المنسحقين فى الحرية. وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لو٤: ١٧-١٩).

ففى لحظة نزول السيد المسيح إلى الأردن لكى تُعلَن بداية خدمته، ولكى يعلن اختيار الله الآب له "فتاى الذى اخترته" وأنه مسيح الرب الذى

مسح من قِبل الآب السماوى بالروح القدس، وأُعلِن رئيساً للكهنة وملكاً للملوك ورباً للأنبياء؛ انحدرت كل نعم الآب السماوى المذخرة للجنس البشرى كله فى شخص السيد المسيح. لذلك قال إن الروح القدس متى جاء "يأخذ مما لى ويخبركم" (يو١٦: ١٤).

الطيب الذى ينزل على اللحية

أراد الله أن يمسح سبعين شيخاً فى إسرائيل، وذلك عندما ثقل حمل الشعب على موسى. قال له يا موسى أنت رمز للسيد المسيح، أحضر سبعين شيخاً ليقفوا أمامى، وسآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم!! يا رب؛ أليس أنت الذى أعطيت موسى هذا الروح؟! هل تأخذ من موسى. كيف ذلك؟!

نعم لأن موسى هو رمز للسيد المسيح، لذلك أنا آخذ من موسى وأضع على الشيوخ، لكى يكون مثل الطيب الكائن على الرأس الذى ينزل على اللحية، لحية هرون النازلة على جيب قميصه. الطيب ينزل من الرأس منحدراً إلى الجيب. فكل خيرات الآب السماوى المعدة للإنسان أُعطيت للسيد المسيح فى يوم مسحه فى الأردن. وربما سوف تسأل وهل المسيح يحتاج أن يأخذ؟

ونجيب على ذلك فنقول: إنه افتقر ليغنينا، هو تجسد وأخلى ذاته لأجلنا.. تجسد وأخلى ذاته لكى يخلصنا ولكى يعطينا كل نعم الآب السماوى. وعندما صام؛ صام عنا. ولما صُلب؛ صُلب لأجلنا. وعندما تعمّد؛ تعمّد لأجلنا. وعندما قَبِل الروح القدس بعد العماد؛ قَبِله أيضاً لأجلنا.. إذن كل ما أُعطِى للمسيح هو لأجل الكنيسة التى هى جسده وهو رأسها.

الطيب الكائن على الرأس هو الروح القدس بكل ما يحمل من عطايا الآب السماوى فى المسيح لأجل الكنيسة التى هى جسده (انظر أف١: ٢٢، ٢٣). إذن يمكننا أن نسمى هذا المزمور "الكنيسة جماعة المؤمنين والمسيح هو رأسها" هذا هو عنوان مناسب لهذا المزمور.

عندما نجتمع باسم الرب، أو نلتف حول مائدة الرب المقدسة فى الكنيسة، نكون مثل الطيب الكائن على الرأس الذى ينزل على اللحية، لحية هرون النازلة على جيب قميصه.. **اللحية هنا رمز للكهنوت، ومن خلال الكهنوت تنحدر نعم وخيرات وبركات الروح القدس إلى الجيب الذى هو جماعة المؤمنين المحفوظين فى قلب الله**، الذى يرمز إليه الجيب الذى على صدر قميص الكاهن.

مثل ندى حرمون المنحدر على جبل صهيون

النعمة تنحدر من فوق إلى أسفل

نلاحظ دائماً أن النعمة تنحدر من فوق إلى أسفل، المياه دائماً تنحدر من فوق إلى أسفل. لذلك من يريد أن يأخذ نعمة يجب أن يتضع، إنما القمم المتعالية والرؤوس المتشامخة لا تكون مثل لحية هرون النازلة على جيب قميصه. بل تكون كدبابيس أو مسامير توجع قلب الكنيسة وتوجع قلب الله.

إلى جانب الوحدة، وإلى جانب الأُلفة والمحبة؛ مطلوب أيضاً روح الاتضاع والانسحاق وعدم التعالى "لأن الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (١بط٥: ٥).

مثل الطيب على رأس المسيح النازل على اللحية إلى أسفل؛ يمسح كل يوم الشيوخ والصبيان والفتيان هؤلاء الذين ألفهم الروح القدس معاً مثل قيثارة.

جبل صهيون أو سيئون

يقال أن جبل سيئون جزء منفصل من جبل حرمون، وهو غير جبل صهيون الذى يبعد بضعة أميال عن جبل حرمون (انظر تث٤: ٤٨). سواء كان هو سيئون من الناحية الجغرافية، أو صهيون من الناحية

الروحية. لأن صهيون رمز للكنيسة حيث أورشليم مبنية على جبل صهيون، أو أن صهيون هى تل من التلال المبنى عليها مدينة أورشليم. لذلك يقول: "إن نسيتك يا أورشليم تنسى يمينى ويلتصق لسانى بحنكى أن لم أذكرك، إن لم أسبق وأرتب أورشليم فى ابتداء فرحى" (مز١٣٦: ٥، ٦). والترنيمة التى هى مرتبة على هذا المعنى تقول: إن أنسى حبك يا صهيون؛ تنُسى يدى؛ تُنسى اليمين؛ وعنها العز يبتعد.

ندى حرمون

جبل حرمون هو جبل شاهق عالٍ جداً. تغطى قمته دائماً بالثلوج. مهما كان الجفاف. فى فترة الجفاف أو الحر فى الوادى تكون قمة الجبل محاطة بالثلوج، حيث إن درجة الحرارة على القمة العالية تكون منخفضة، ونتيجة انخفاض درجة الحرارة يتكاثف بخار الماء الموجود فى الجو عند قمة جبل حرمون.. وعندما تشرق الشمس وترسل أشعتها على الأرض المنخفضة، تفقد الأرض الماء الذى عليها، فتتبخر المياه إلى أعلى؛ وعندما تتلامس مع قمة جبل حرمون تتكاثف مرة أخرى وتنحدر على الجبل.

فالندى يتكاثف وينحدر لكى يرطب ويروى الوديان الجافة التى تحترق بسبب الجفاف.

لذلك عندما يكون هناك جفاف روحى فى حياتنا، عندما نكون فى حالة حريق من الناحية الروحية إذ ليس هناك مياه تروى. **فحيثما يجتمع الإخوة معاً يكون هناك عمل الله فنشعر بالندى، أى بالتعزية الروحية.** فترتوى النفس من ينابيع النعمة الإلهية "مجارى الأنهار تفرح مدينة الله" (مز٤٥: ٤). والمنظر يكون جميلاً جداً فى لحظة الشروق، عندما ينعكس نور الصباح الهادئ على جبل حرمون، فنجد حبات الندى ملتصقة ومصطفة على الصخر الذى فى الجبل عند القمة. الندى يلتصق بالصخر وكأنه الجواهر المرصعة، تقع أشعة الشمس عليها فتتلألأ فى مشهد رائع.

والمرنم الذى ترنم بهذا المزمور كان يتأمل فى جبل حرمون، وإذ أعجب بهذا المنظر جداً، فقال إن حبات الندى هذه فى وسط الجفاف الذى نراه عند السفوح، مثل الإخوة عندما يجتمعون معاً بروح الأُلفة والمحبة فيعمل الروح القدس فى وسطهم، فيكون لهم هذا المنظر الجميل فى عينى الله وفى أعين الملائكة وفى أعين البشر جميعاً.

لأن هناك أمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد هللويا

إذن هذا ليس مجرد وعد إلهى، بل هو أكثر من وعد **إنه أمر**. يمكننى أن أقول إن الرب وعدنى أن يعطينى شيئاً، ولكن يوجد ما هو أقوى من الوعد وهو أن يوجد أمر.. **الأمر يحمل معنى الوعد مع النفاذ؛ أمر الرب بالبركة**. أى أن الأمر غير متوقف حتى على توقعنا له، لكن تلقائياً نأخذ البركة والحياة إلى الأبد.

إذا جمعنا الروح القدس بقلب واحد ونفس واحدة مثلما قيل فى سفر أعمال الآباء الرسل: "كان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة" (أع٤: ٣٢)، "وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع٢: ٤٧)، وهذا ما جعل معلمنا بطرس الرسول يقول: "والنهاية كونوا جميعاً متحدى الرأى بحسٍ واحد ذوى محبة أخوية مشفقين لطفاء" (١بط٣: ٨).

نحتاج أن نرى هذه الروح فى الكنيسة، نراها فى وسط مدارس الأحد، نراها فى الأديرة. الدير الذى به محبة بين الإخوة والرهبان والآباء بعضهم بعضاً، مثل هذا الدير يعمل فيه الله بقوة ويملأه من خيراته ومن غناه. وهناك يأمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد، ويصير ديراً عامراً ممتلئاً من الرهبان ممتداً إلى جيل الأجيال.

من أجل محبة قلب؛ حتى ولو اثنين من الرهبان عاشا معاً بالمحبة، هناك يأمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد. بينما وجود أى انقسام معناه الخراب السريع لأن "كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب" (مت١٢: ٢٥). والشيطان يهمه جداً أن يثير روح الفرقة والانقسام، لأنه إذا أوجد هذا الانقسام فمعناها خراب عاجل لجماعة المؤمنين.

هذا المزمور أيضاً هو دعوة لكل شاب أن يدخل إلى جماعة روحية مقدسة يستنشق الجو الروحى ويعيش وسط أفكار وحياة مقدسة ليستعد للأبدية. لكن إن ذهب وسط الجماعات الماجنة، فى وسط جماعة المستهزئين، فهناك لم يأمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد، بل هناك يعبث الشيطان ويحمل معه عوامل التهلكة، ويأتى بشروره لكى يذبح ويسرق ويهلك ولكى يحطم كيان الإنسان ويستعبده إلى الأبد.

حقاً ما أحسن وما أحلى أن يسكن الإخوة معاً. فليعطينا الرب قلباً واحداً ومحبة أخوية ولطفاً فى معاملة الآخرين، وشفقة واحتمالاً لضعفاتهم، لكى نحفظ وحدانية القلب بنعمته

ولإلهنا كل مجد وكرامة إلى الأبد آمين

تأملات فى مزمور

يا رب اسمع صلاتى

المزمور المائة والثانى والأربعون

يا رب اسمع صلاتى؛ انصت إلى طلبتى بحقك. استجب لى بعدلك، ولا تدخل فى المحاكمة مع عبدك. فإنه لن يتزكى أمامك كل حى. إن العدو قد اضطهد نفسى، وأذلّ فى الأرض حياتى. أجلسنى فى الظلمات مثل الموتى منذ الدهر. أضجر علىّ روحى، اضطرب فىّ قلبى. تذكرت الأيام الأولى ولهجت فى كل أعمالك، وفى صنائع يديك كنت أتأمل. بسطت إليك يدىّ. صارت نفسى لك مثل أرض بلا ماء، استجب لى يا رب عاجلاً فقد فنيت روحى. لا تحجب وجهك عنى. فأشابه الهابطين فى الجب. فلأسمع بالغدوات رحمتك، فإنى عليك توكلت. عرفنى يا رب الطريق التى أسلك فيها لأنى إليك رفعت نفسى. انقذنى من أعدائى يا رب، فإنى لجأت إليك. علّمنى أن أصنع مشيئتك لأنك أنت هو إلهى. روحك القدوس فليهدنى إلى الاستقامة. من أجل اسمك يا رب أحينى. بحقك تُخرج من الشدة نفسى، وبرحمتك

المزامير هى صلوات موحى بها من الروح القدس، ولهذا فهى تعتبر مفاتيح لقلب الله. كما أنها مدرسة للصلاة نتعلّم منها المقاصد الإلهية.

وهذا المزمور "يا رب اسمع صلاتى" من مزامير صلاة باكر؛ يشرح المنهج الرسولى السليم فى الجهاد الروحى للوصول إلى الحياة الأبدية.

فلا هو يُعلّم مثل أصحاب مبدأ الخلاص فى لحظة أن المؤمن يكفيه الإيمان فقط، ولا يحتاج إلى جهاد ليصل إلى الخلاص النهائى.

وهو أيضاً لا يُعلّم الاتكال على الذات فى الجهاد الروحى للوصول إلى النصرة على الشياطين، بل أن يطلب المجاهد المعونة من الله باستمرار.

هو أيضاً يوضّح أن المؤمن فى مسيرة جهاده يشعر بأنه خاطئ أثناء غربته على الأرض، ولكنه إذ يسير محمولاً بالرجاء فإنه يطلب بإلحاح أن تدركه المعونة الإلهية لكى يحقق النُصرة الروحية قبل أن ينتهى به العمر. وفى كل ذلك تحدوه الأمانة والإخلاص فى علاقته مع الله، مع كراهية الشر والخطية والسعى الحثيث بكل قلبه وبكل قدرته للابتعاد عنهما.

نقدّم بعض تأملات فى هذا المزمور الجميل؛ متذكرين قول **قداسة البابا شنودة الثالث** -أطال الرب حياة قداسته- {احفظوا المزامير؛ تحفظكم المزامير}. الرب يجعلها بركة لكثيرين بصلوات قداسته.

يا رب اسمع صلاتى؛ انصت إلى طلبتى بحقك استجب لى بعدلك، ولا تدخل فى المحاكمة مع عبدك. فإنه لن يتزكى أمامك كل حى

هذا المصلّى يثق أن الله هو حق وأنه عادل وبار ورحيم.. عادل فى رحمته، ورحيم فى عدله. وبالرغم من استغاثته لعدالة الله؛ إلاّ أنه يلتمس ألا يدخل الله معه فى محاكمة لأنه يعرف أن الإنسان لن يتزكى أمام الله إذا عامله الله بكل ما تستوجبه ضعفاته البشرية الحاضرة؛ ولكنه يطلب الرحمة المبنية على فداء المسيح، ويطلب المعونة لكى لا يبقى فى ضعفه. ويرفع دعواه أيضاً إلى الله العادل لينظر فى أمر حروب الشياطين التى تهدد مستقبله الأبدى..

لذلك يستطرد المرنم ويقول:

إن العدو قد اضطهد نفسى، وأذلّ فى الأرض حياتى. أجلسنى فى الظلمات مثل الموتى منذ الدهر. أضجر علىّ روحى، اضطرب فىّ قلبى

الدعوى المرفوعة إلى الله العادل إذن تطلب أن يوضع فى الاعتبار أن الشيطان لم يترك الإنسان فى حاله ليحيا مع الله، ولكنه اضطهده بكل الحروب والوسائل الشريرة، وأذلّه فى حياته الحاضرة على الأرض.

أدخله فى عالم الظلمة وظلال الموت، ليطبق عليه فى سجن الجحيم فلا يعود يرى الله مرة أخرى.

هذه الحالة لم تُرِح قلب الإنسان ولا روحه، وفقد سلامه الداخلى ولم يعد راضياً عن حالته.. فهل يتركه الرب ويتخلى عنه لينفرد به العدو؟ إن المزمور يقول: "**من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم، يقول الرب، أصنع الخلاص علانية**" (مز١١: ٥).

لا شك أن الرب لا يترك العدو ليفترس خرافه الضالة لأن المزمور يقول أيضاً "ضللت مثل الخروف الضال، فاطلب عبدك فإنى لوصاياك لم أنس" (مز١١٨: ١٧٦).

إنها ملحمة حب وفداء يسعى فيها الراعى لخلاص رعيته؛ كقول القداس الغريغورى الموجّه للسيد المسيح {أنت يا سيدى: حوّلت لى العقوبة خلاصاً. كراعٍ صالح سعيت فى طلب الضال. كأبٍ حقيقى تعبت معى أنا الذى سقطت}.

ويستكمل المرنم صلاته فيقول:

تذكرت الأيام الأولى ولهجت فى كل أعمالك وفى صنائع يديك كنت أتأمل

من الواضح أنه هنا يتكلم عن حياة الإنسان فى الجنة قبل السقوط بقوله "**الأيام الأولى**". ولكن هذا لا يمنع أن تكون للمصلى نفسه ذكريات سابقة جميلة مع الله يتذكرها فى أوقات ضعفه وهزيمته فى الحروب الروحية ويسعى جاهداً للعودة إليها..

نعود إلى الحديث عن الحنين إلى حياة الفردوس التى لها وجود حقيقى فى فكر كل إنسان..

وإلا فلماذا يشعر الإنسان بالراحة عندما يوجد بين الزروع والأشجار؟! لماذا يشعر بتفاعل عجيب فى نفسه مع مظاهر الطبيعة الخلاّبة؟!. لماذا يغمره سلام يسرى فى أوصاله عندما ينظر إلى تمايل الأشجار مع نسمات الربيع الهادئة، وإلى جمال الأزهار مع إشراقة النهار البديع، وعندما يستمع إلى تغريد الطيور وخرير جداول المياه المتدفقة فى رقة وعذوبة وسط الفراديس..؟!! لذلك يكون لسان حاله هو قول المرنم: "تذكرت الأيام الأولى ولهجت فى كل أعمالك. وفى صنائع يديك كنت أتأمل". أى أنه بتأمله فى جمال الطبيعة يتذكّر الفردوس المفقود.

لقد كتب الآباء القديسون عن التأمل والهذيذ فى الحياة الروحية، وتسبيح الله من خلال أعماله العظيمة فى الخلق. وقال القديس بولس الرسول عن الله "لأن أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته" (رو١: ٢٠).

إن التأمل فى جمال الطبيعة يقود الإنسان إلى الحنين إلى الفردوس حيث كان يحيا فى سعادة وشركة أبدية مع الله المحب. وبهذا الحنين يعرف قيمة خلاص المسيح، وقيمة التحرر من الشر والخطية والظلمة الروحية. ويسعى جاهداً للعودة إلى الفردوس ومنه إلى الحياة الأبدية فى شركة ميراث القديسين فى النور.

إن عبارة "**تذكّرت الأيام الأولى**" تحمل أيضاً معنى **تذكّر أيام الطفولة التى نبّه إليها السيد المسيح** بقوله: "من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد؛ فلن يدخله" (مر١٠: ١٥، لو١٨: ١٧)، "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات" (مت١٨: ٣). والمقصود هنا أن يحيا الإنسان فى بساطة الأطفال وتواضعهم ونقاوتهم، لأن الطفل الذى له الاتجاه نحو الله بروحه لا يكون قادراً بذهنه الجسدى على التفاعل مع

غالبية الشرور التى يعانى منها الكبار(٢). ولكن هذا لا يمنع أن يكون وارثاً للخطية الجدّية لسبب حكم الموت وفساد الطبيعة.. ولكنها مسألة نسبية فقط التى أشار إليها السيد المسيح فى المقارنة بين الصغار والكبار، بدليل أنه لم يحدد عُمراً معيناً للطفولة أو الصبا، بل أقام ولداً صبياً مباركاً فى وسطهم عندما قال هذه العبارات.

ثم يستكمل المصلى بالمزمور صلاته ويقول:

٢) يُلاحظ أن بعض الأولاد ينشأون قديسين وغيرهم أشرار؛ مثل يعقوب القديس وعيسو المستبيح. فالإنسان مكوّن من روح وجسد، والروح الإنسانى روح عاقل، والجسد له ذهن جسدى. وحتى لو كان الذهن الجسدى بلا إدراك فى مرحلة الطفولة؛ فإن الروح العاقل وهو الجوهر الأعلى فى الإنسان له إدراكه وحرية إرادته. وعن الروح وإدراكه وذهن الجسد وإدراكه يقول معلمنا بولس الرسول "إن كنت أصلى بلسان؛ فروحى تصلى وأما ذهنى فهو بلا ثمر. فما هو إذاً، أصلى بالروح وأصلى بالذهن أيضاً، أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً" (١كو١٤: ١٤، ١٥). وهو يقصد أن الذى يصلى بلغة (بلسان) هو لا يفهمه؛ فسوف تتمتع روحه بالصلاة، وأما ذهن جسده فلا يدرك المعنى. فعليه أن يطلب موهبة الترجمة لكى يفهم الصلاة التى تصلّيها روحه لكى يشارك ذهنه الجسدى روحه فى صلاتها. فالعبادة يشترك فيها الجسد مع الروح مثل السجود بالجسد ومشاركة الروح داخلياً.

بسطت إليك يدىّ. صارت نفسى لك مثل أرض بلا ماء، استجب لى يا رب عاجلاً فقد فنيت روحى

هنا يبدو واضحاً جداً إحساس المصلى المجاهد الذى عطشت نفسه إلى الله مثل الأرض العطشى إلى الماء وتنتظر المطر الآتى عليها، فهو يبسط يديه إلى فوق فتنحدر مياه النعمة وترويه كقول المرنم "باسمك أرفع يدى، فتشبع نفسى كأنه من شحم ودسم" (مز٦٢: ٤، ٥) وهذا هو الشبع الروحى فى الصلاة للنفس الجائعة والعطشانة حسب وعد السيد المسيح "طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون" (مت٥: ٦).

والمصلى **يطلب سرعة الاستجابة** لأن النبات لا يحتمل العطش طويلاً؛ إذ من الممكن أن يذبل وأن يموت. يقول: "**استجب لى يا رب عاجلاً؛ فقد فنيت روحى**".. والمقصود **بفناء الروح** هنا ليس هو الفناء النهائى، بل الإحساس بالفناء مثلما يشعر الذى يجرى كثيراً بأن تنفسه يكاد يفنى. ولكن عبارة "**فنيت روحى**" تشير أيضاً إلى حكم الهلاك الأبدى الذى كان محكوماً به على الإنسان عندما سقط وصار الجحيم هو مصير روحه عندما يموت جسده..

لا تحجب وجهك عنى
فأشابه الهابطين فى الجب

لذلك يقول أيضاً: "**لا تحجب وجهك عنى، فأشابه الهابطين فى الجب**" وهذه العبارة كنبوة تنطبق على صلاة للسيد المسيح فى المزمور ٢٢ الذى يشير إلى آلامه وصلبه عندما يقول: "**يا قوتى أسرع إلى نصرتى**. أنقذ من السيف نفسى. من يد الكلب وحيدتى.. سبحوه مجدوه يا معشر ذرية يعقوب.. لأنه لم يحتقر ولم يُرذِل مسكنة المسكين؛ ولم يحجب وجهه عنه؛ بل عند صراخه إليه استمع" (مز٢٢: ١٩-٢٤). إن السيد المسيح **كنائب عن البشرية** كان يطلب من الله الآب الخلاص من الموت والتحرر من سلطان الجحيم. وهذا ما حدث بالفعل وما كان فى قصد الله من إتمام الفداء على الصليب. فإذ أخلى المسيح نفسه آخذاً صورة عبد؛ صرخ نحو الآب ممارساً الطاعة والخضوع للآب باعتباره آدم الثانى والنائب الذى قُبلت صلاته عن البشرية. وهو لم تُترك نفسه فى الجحيم بل غلبه وأطلق المسبيين ولم يشابه الهابطين فى الجب.

وقد أوضح القديس بولس الرسول هذه الحقائق فى رسالته إلى العبرانيين فى حديثه عن السيد المسيح بقوله: "**الذى فى أيام جسده** إذ قدّم

بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلّصه من الموت وسُمع له من أجل تقواه" (عب٥: ٧).

وينبغى ملاحظة أن هذه الأمور كلها تُنسب إلى السيد المسيح من حيث ناسوته وليس من حيث لاهوته؛ **لأنه من حيث لاهوته لا يمارس طاعة للآب لأن إرادتهما واحدة من حيث النوع ومتمايزة من حيث العدد لسبب التمايز الأقنومى.**

والمصلى فى الوقت الحاضر أيضاً يقول "**لا تحجب وجهك عنى فأشابه الهابطين فى الجب**" لأن الابتعاد عن الله يطرح الإنسان فى غياهب الظلمة ويشابه أهل العالم ولا تُشرق فيه أنوار النعمة التى تتحلى بها وجوه القديسين الذين يعكسون نور الله المتطلع عليهم.

إن موسى حينما التقى مع السيد المسيح على جبل سيناء قد أنار وجهه بلمعان شديد لم يحتمل رؤيته بنو إسرائيل، فوضع برقعاً على وجهه.. هكذا كل من يصلى فى الروح طالباً وجه الله يتحلى وجهه بأنوار النعمة التى يلحظها كل من يراه.

ألم يقل الكتاب أن مجمع اليهود وهم يحاكمون اسطفانوس قد "رأوا وجهه كأنه وجه ملاك" (أع٦: ١٥). وبالرغم من ذلك حكموا عليه بالموت رجماً.

ليتنا نطلب دائماً فى الصلاة ألا يحجب الله وجهه عنا.

ويستكمل المصلى بالمزمور صلاته فيقول:

فلأسمع بالغدوات رحمتك، فإنى عليك توكلت
عرفنى يا رب الطريق التى أسلك فيها
لأنى إليك رفعت نفسى

الغدوات هنا تشير إلى الصباح أى اليوم الجديد مثلما نقول **غداً** عن الصباح التالى. وهى إشارة نبوية عن قيامة السيد المسيح فى صباح الأحد "وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع" (مت٢٨: ١)، وقد جاءت هذه العبارة "فلأسمع فى الغدوات رحمتك" مباشرة بعد الحديث عن "الجب" الذى يشير إلى الجحيم. فبعد نزول السيد المسيح إلى الجحيم قام من الأموات فى باكر الأحد وبدأت بشرى القيامة والحياة الجديدة فى المسيح.

فى كل صباح جديد نتذكر القيامة فى صلوات باكر، نذكر مراحم الله فى إعلان المصالحة التى تمت بالصليب وأُظهرت بالقيامة. ونفرح بتجديد الاستماع إلى بُشرى القيامة وتجديد التمتع بمراحم الله علينا جديدة فى كل صباح متكّلين على صفحِه وغفرانه، وطالبين معونته وإرشاده.

إن فى قول المرنم "**عرّفنى يا رب الطريق التى أسلك فيها**" دليل واضح على **أهمية الصلاة لكى يسلك الإنسان فى طرق الرب، أى فى طرق الاستقامة والحياة** لأن الكتاب يقول "توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت" (أم١٤: ١٢)، (أم١٦: ٢٥).

كم من أناس لم يطلبوا من الله أن يختار لهم الطريق فحادوا عن الطريق المؤدى إلى الحياة وهم يعتقدون أنهم يقدمون خدمة لله. ولكن عقولهم قد أضلّها إبليس وأعينهم قد أظلّمت. المسألة إذن فى منتهى الخطورة وتحتاج إلى منهج مستمر فى حياة الصلاة القلبية لجميع المؤمنين.

يواصل المرنم طِلباته ويقول:

انقذنى من أعدائى يا رب، فإنى لجأت إليك
علمنى أن أصنع مشيئتك لأنك أنت هو إلهى
روحك القدوس فليهدنى إلى الاستقامة
من أجل اسمك يا رب أحيينى

فى الحرب الروحية لا يمكن الانتصار دون تدخُّل المعونة الإلهية. ولكن يشترط أن يكون الإنسان قد اتحد بالمسيح فى موته وقيامته مؤمناً بخلاصه القوى، وأن يطلب هذه المعونة ويستمر فى طلبها. ولكن النعمة

لا تؤازر المتكاسلين أو المستهترين؛ فبمقدار أمانة الإنسان وحرصه على خلاص نفسه، بمقدار تدّخل الله لإنقاذه وإنصافه ضد الأعداء الشياطين كما قال السيد المسيح: "أفلا ينصف الله مختاريه **الصارخين إليه نهاراً وليلاً** وهو متمهل عليهم؟" (لو١٨: ٧).

لذلك يصرخ المصلى قائلاً: "انقذنى من أعدائى يا رب، فإنى لجأت إليك". وقد وعد الرب قائلاً: "**لأنه علىّ اتكل فأنجّيه**، أستره لأنه عرف اسمى.. معه أنا فى الشدة. فأنقذه وأمجّده وطول الأيام أشبعه، وأريه خلاصى" (مز٩٠: ١٤-١٦).

ونظراً لأهمية أن يرشد الرب الإنسان؛ عاد يكرر الطِلبة التى ذكرناها سابقاً "**علمنى أن أصنع مشيئتك، لأنك أنت هو إلهى. روحك القدوس فليهدنى إلى الاستقامة**" إن الروح القدس هو الذى يقود المؤمنين لأن "كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو٨: ١٤). وهذا هو السبب فى أهمية الإيمان بالمسيح وقبول عطية الروح القدس التى لا غنى عنها لمعرفة طريق الاستقامة المملوء بثمار الروح.

يضيف المصلّى أيضاً أهمية نيله عطية الحياة **لتمجيد اسم الله** ويقول: "**من أجل اسمك يا رب أحينى**":

من أجل اسمك الذى دعى علينا لكى يتمجد هذا الاسم يا رب أحينى.

من أجل اسمك الذى يحمل معنى الخلاص؛ يا رب أحينى.

من أجل اسمك الذى ترتعب منه الشياطين؛ يا رب أحينى.

من أجل اسمك الذى حمل معه الوعد بالخلاص؛ يا رب أحينى.

من أجل اسمك الذى تسبّحه ربوات محفل القديسين؛ يا رب أحينى.

من أجل اسمك الذى ألهج فيه نهارًا وليلاً؛ يا رب أحينى.

إن اسم يسوع فى اللغة العبرية هو "يهوشع" بمعنى "يهوه خلّص" لذلك قال الملاك للقديس يوسف عن خطيبته العذراء مريم ومولودها المبارك "وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم" (مت ١: ٢١).

ويختم المرنم صلاته فى هذا المزمور العجيب بقوله:

بحقك تُخرج من الشدة نفسى، وبرحمتك تستأصل أعدائى. وتهلك جميع مضايقى نفسى. لأنى أنا هو عبدك أنا. هللويا

أى أنه استنادًا إلى الحق المعروف عن الله؛ يطلب إخراج نفسه من الشدة. لأن الحق يستدعى ذلك أن يعمل الله من أجل نجاة خليقته من كل ظلم واضطهاد الشياطين. واستنادًا إلى الرحمة أيضاً المعروفة عن الله

يطلب استئصال أعدائه وإهلاك جميع مضايقى نفسه؛ والمقصود بهم الشياطين.

إن الله لا يقف موقف المتفرج على المؤمن المجاهد؛ بل يدخل المعركة مع أجناده المحاربين الذين يحملون اسمه المبارك الذين يهتفون للرب "تقلّد سيفك على فخذِك أيها القوى بجلالك وجَمالك. استله وانجح واملك.. نبلك مسنونة فى قلب أعداء الملك أيها الجبار" (مز٤٤: ٣-٥). والكتاب يقول: "الفرس معد ليوم الحرب، أما النصرة فمن الرب" (أم٢١: ٣١).

إن المرنم يذكِّر الله بمواعيده الصادقة قائلاً: "لأنى أنا هو عبدك أنا" لذلك فإن عبيدك الذين يخدمون اسمك ويعملون فى بناء ملكوتك يحتاجون إلى دخولك معهم المعركة لنجاتهم.

وهكذا يرنّم المرنم فى ترانيم المصاعد "ها باركوا الرب يا عبيد الرب، القائمين فى بيت الرب، فى ديار إلهنا" (مز١٣٣: ١). إن عبيد الرب ينالون من مراحمه الكثير.

"أنا هو عبدك أنا" ليتك تحسبنى مع عبيدك لكى تتهلل نفسى مع الأبرار وتشدو مع المرنمين "هللويا".. هللوا ليهوه.. هللوا "لأن رحمته قد قويت علينا، وحق الرب يدوم إلى الدهر" (مز ١١٦: ٢).

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين

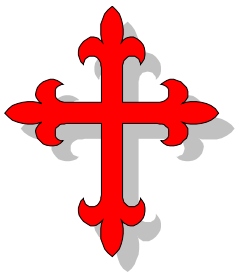

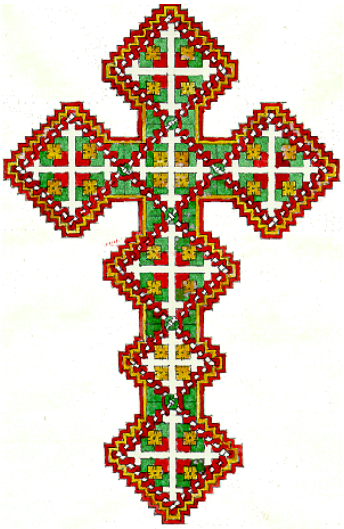

تأملات فى مزمور

يا رب لم يرتفع قلبى

المزمور المائة والثلاثون

يا رب لم يرتفع قلبى، ولم تستعل عيناى

ولم أسلك فى العظائم

ولا فى العجائب التى هى أعلى منى

فإن كنت لم أتضع

لكن رفعت صوتى مثل الفطيم من اللبن

على أمه

كذلك المجازاة على نفسى

فليتكل إسرائيل على الرب من الآن وإلى

هذا المزمور الذى نكرره فى صلاة النوم وفى صلاة الستار وفى الخدمة الثالثة من صلاة نصف الليل؛ يعلمنا الاتضاع فى أفكارنا وتصوراتنا ورغباتنا وسلوكنا وأيضاً فى تعاملنا مع الآخرين.

ولأن الذبيحة لله روح منسحق فقد اهتم المرنم بأن يدرّب فكره فى دروب الاتضاع لتصير عبادته مقبولة أمام الله. ولا شك أن الفكر المتضع ينشئ سلوكاً متضعاً فى حياة الإنسان.

يا رب لم يرتفع قلبى ولم تستعل عيناى

كان داود إنساناً متضعاً، منسحق القلب وقد وجد الرب مسرته فى قلب داود لاتضاعه. لم يطلب داود أن يصير ملكاً على إسرائيل، ولكن الرب هو الذى اختاره ومسحه عن يد نبيه صموئيل.

كان داود بسيطاً فى علاقته مع الله، وفى علاقته مع الناس. وعندما سمع بعد مسحه ملكاً أن الملك شاول قد وعد بتزويجه ابنته قال: "**من أنا وما هى حياتى** وعشيرة أبى فى إسرائيل حتى أكون صهر الملك" (١صم١٨: ١٨). وقال لعبيد الملك: "هل هو مستخف فى أعينكم مصاهرة الملك **وأنا رجل مسكين وحقير**" (١صم١٨: ٢٣).

لم تستعل عيناى لبناء بيت الرب

عندما أراد داود أن يبنى بيتاً للرب، "قال لناثان النبى انظر إنى ساكن فى بيت من أرز وتابوت الله ساكن داخل الشقق. فقال ناثان للملك اذهب افعل كل ما بقلبك لأن الرب معك. وفى تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان قائلاً: اذهب وقل لعبدى داود هكذا قال الرب: أأنت تبنى لى بيتاً لسكناى. لأنى لم أسكن فى بيت منذ يوم أصعدت بنى إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير فى خيمة وفى مسكن.. متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك **وأثبت مملكته. هو يبنى بيتاً لاسمى وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد**([٣]).. ويأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك. كرسيك يكون ثابتاً إلى الأبد.." (٢صم ٧: ٢-٦، ١٢، ١٣، ١٦).

---

[٣]) هذه العبارة وإن كانت رمزياً تشير إلى قيام سليمان الملك ببناء الهيكل فى أورشليم ولكنها فى حقيقتها تشير إلى المسيح الرب ابن داود الذى بنى بيت الرب الحقيقى وهو الكنيسة المقدسة. وملكه ثابت إلى الأبد مثلما قال الملاك للعذراء مريم: "**ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية**" (**لو١: ٣٣**). وفى الحقيقة إن الرب قد منع داود من بناء البيت لأنه لم يوجد أى إنسان من سائر البشر العاديين أمكنه أن يؤسس الكنيسة، لهذا تأنس الابن الوحيد الجنس لكى يبنى كنيسته.

أما قيام سليمان ببناء الهيكل فى أورشليم، فذلك لأنه كان يرمز للسيد المسيح ملك السلام، ولم يكن فى أيامه حروب سُفكت فيها دماء كثيرة مثلما حدث فى عهد داود.

ولنتأمل داود هذا العجيب فى علاقته مع الله ومع الناس. فى الحقيقة إن داود هذا هو مدرسة، إذ عندما قال له ناثان النبى هذا الكلام دخل الملك وجلس أمام الرب وقال: "**من أنا يا سيدى الرب وما هو بيتى حتى أوصلتنى إلى ههنا**" (٢صم٧: ١٨)، لم يغضب داود أو يستاء من كلام الرب له إذ قال له لا تبنى أنت البيت. بل بالعكس دخل واتضع وتمسكن أمام الله قائلاً **من أنا يا رب حتى أوصلتنى إلى ههنا**.

ماذا ترى فى علاقتك مع الله؟

هناك من لا يرى فى علاقته مع الله سوى الجوانب المتعبة المحزنة. بينما يوجد من لا يرى من يدى الرب سوى كل الخير على الدوام... يأخذ الجوانب المفرحة المعزية، مهما كانت المتاعب والضيقات المحيطة به.. هكذا كان داود النبى؛ فبدلاً من أن ينظر للأمر أنه رفض الله له أن يبنى بيته، ويتعب من هذا، نظر إليه بروحٍ متضع، واعتبر أن الرب قد أكرمه أكثر مما يستحق كما سوف نرى فى باقى حوار داود مع الله.

قد تأتى تجربة لاثنين فيزداد أحدهما عمقاً فى شركته مع الله بسبب هذه التجربة، بينما يتذمر الآخر على الله ويترك الحياة معه. مثلما يقال {الشمس التى تجعل الطين يتحجر، هى التى تجعل الشمع يلين}

فالشمس هى نفسها الشمس إنما الاختلاف هو فى طبيعة مادة الطين ومادة الشمع.

باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته

ويكمل داود كلامه أمام الله فيقول: "وقَلَّ هذا أيضاً فى عينيك يا سيدى الرب فتكلمت أيضاً من جهة بيت عبدك إلى زمان طويل" (٢صم٧: ١٩).. هكذا أبرز داود إحسانات الله إليه فى أنه يعطيه ابناً يجلس على كرسيه.. "فالآن ارتضِ وبارك بيت عبدك ليكون إلى الأبد أمامك لأنك أنت يا سيدى الرب قد تكلمت فليبارَك بيت عبدك ببركتك إلى الأبد" (٢صم٧: ٢٩). إن كنت يا رب تنوى أن تثبت كرسى مملكتى هذه إلى الأبد، فمن أنا.. هل كنت أفتكر يوماً ما أن أكون أنا نفسى فى هذا الموضع، فماذا إن كان أولادى أيضاً يصيرون ملوكاً.

فإن كنت أنا أبنى بيتك، أو يبنيه ابنى لا فرق عندى، يكفينى أنك قبلت طلبتى، يكفينى أنك ارتضيت بمبدأ البناء حتى لو لم أقُم أنا بتنفيذه ولم أفرح برؤية البيت، فى هذا أنا صغير عن جميع ألطافك يا رب.. هذه هى

نفس داود التى بها كان يتعامل مع الله. لذلك قال فى المزمور: "يا رب لم يرتفع قلبى ولم تستعلَ عيناى، ولم أسلك فى العظائم ولا فى العجائب التى هى أعلى منى" من هنا نفهم كيف كان داود صادقاً فى هذه الكلمات. وأثبتت الأيام صدق كلامه كما شرحنا.

لم تستعلَ عيناى لأملك على إخوتى

لقد عاش داود إنساناً وديعاً متواضعاً فى وسط إخوته.. وفى يومٍ ما جاء صموئيل النبى إلى الوليمة، وكان الرب قد أرسله ليمسح ملكاً من أبناء يسى البيتلحمى (انظر ١صم ١٦). وقدَّس يسى وبنيه ودعاهم إلى الذبيحة، وقد نسوا داود الذى كان يرعى الغنم!! فى هذا اليوم المبارك الذى ربما لا يتكرر، حيث جاء رجل الله إلى البيت؛ نبى الله الذى أؤتمن فى شيلوه "ولم يدع شيئاً من جميع كلامه يسقط إلى الأرض" (١صم٣: ١٩)، لم يدعوا داود إلى هذه الوليمة بل تركوه مع الغنيمات التى كان يرعاها.

وعبَّر يسى أليآب ابنه الأكبر أمام صموئيل الذى أعجب به وقال: "إن أمام الرب مسيحه. فقال الرب لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأنى قد

رفضته. لأن ليس كما ينظر الإنسان. لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب".. وهكذا "عبَّر يسى بنيه السبعة أمام صموئيل.. فقال صموئيل ليسى هل كملوا الغلمان. فقال بقى بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم. فقال صموئيل أرسل وأتِ به.. فقال الرب: قم امسحه لأن هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط إخوته" (١صم١٦: ١٠-١٣) وصار داود ملكاً من ذلك اليوم فصاعداً؛ مسيحاً للرب.

وهذا ما تعبّر عنه كلمات المزمور (١٥١) "**أنا الصغير** فى إخوتى، والحدث فى بيت أبى، كنت راعياً غنم أبى. يداى صنعتا الأرغن، وأصابعى ألفت المزمار.. وهو أرسل ملاكه، ورفعنى من غنم أبى، ومسحنى بدهن مسحته..." إنها أنشودة وسيموفونية جميلة تتغنى بها الكنيسة فى بداية طقس ليلة السبت الكبير.

ملكاً بلا مملكة !!

رغم أنه مُسح ملكاً لكن لنتأمل كيف سلك بعد ذلك.. صار ملكاً بلا مملكة، ملكاً بلا عرش، ملكاً بلا سلطان..

عاش داود بعد مسحه ملكاً كراع للغنم. لم يبحث عن الملك، ولم يسع فى إثر المناصب.. لم يرتفع قلبه ولم يستكبر أمام الله، أو أمام إخوته. ولم

تستعل عيناه ليتطلع إلى المناصب العالية أو ليحتقر من هم أقل منه. وحتى فى الأمور الإلهية لم يحاول أن يعلو بفهمه فوق عظائم الله وعجائبه بل سلك باتضاع تحت يد الله.

ومع كل هذا لم يتضايق داود أو يغضب، لم يعاتب الله ويقول أين المملكة التى أقمتنى ملكاً عليها، إنما كما قال له عند طلبه بناء البيت "من أنا يا سيدى الرب وما هو بيتى حتى أوصلتنى إلى ههنا.." (٢صم٧: ١٨) هذا كان طريقه من البداية، وهذه كانت مشاعره. فقد مُسح ملكاً ولم يتسلم شيئاً من الملك، لكنه فى اتضاعه يقول: من قال إننى أريد أن أصير ملكا؟ هل طلبت أن أكون ملكاً حتى أتعب أو أتضايق إن لم آخذ المملكة؟!

ربما يتضايق أو يتعب ذاك الذى يسعى إلى أمر ما، أو يشتهى شيئاً ولم ينَله. لكن إن كان لم يطلب أو يسعى، إن كان لم يزاحم لكى يصير ملكاً يكفى أن يقول "هو الرب ما يحسن فى عينيه يعمل" (١صم٣: ١٨).

لم تستعلَ عيناى أمام المقاومين لى

وذهب داود ليفتقد سلامة إخوته عندما كانوا فى الحرب، وسمع كلام جليات الفلسطينى الذى كان يعيّر صفوف الله الحى (انظر ١صم ١٧).. وإذ كان مسيحاً للرب حركه روح الله، إذ أن الإنسان الممتلئ من الروح القدس تأكله الغيرة المقدسة، لذلك تساءل داود قائلاً: "من هو هذا الفلسطينى الأغلف حتى يعيّر صفوف الله الحى" (١صم١٧: ٢٦). وسمع أخوه الأكبر أليآب كلامه مع الرجال، إذ كان إخوته الثلاثة الكبار مجندين فى الحرب، وكانوا ينظرون إليه كشاب صغير حياته مع الغنيمات القليلة فى البرية. لذلك لما سمع أليآب كلامه مع الرجال حمى غضبه على داود وقال: "لماذا نزلت **وعلى من تركت تلك الغنيمات القليلة فى البرية**. أنا علمت كبرياءك وشر قلبك لأنك إنما نزلت لكى ترى الحرب" (١صم١٧: ٢٨)، هكذا وبّخه أخوه فى كبرياء وازدراء وتحقير. أما داود فأجاب: "ماذا عملت الآن **أما هو كلام**" (١صم١٧: ٢٩)، ليتك تعاملنى حسب صغر عقلى، ولا تهتم كثيراً بكلام شخص ضعيف مثلى.. **هكذا كان داود يغلب شر وكبرياء المقاومين بهذا الاتضاع**.. حتى عندما كان شاول الملك يطارده، كان يقول له: "وراء من خرج ملك إسرائيل وراء من أنت مطارد، وراء كلب ميت، وراء برغوث واحد"

(١صم٢٤: ١٤)، لماذا كل هذا الجيش؟! هل أنا أستحق كل هذا الاهتمام.

"يا رب لم يرتفع قلبى" أى أن قلبى لم يطلب أموراً عظيمة، كما يقول الكتاب: "غير مهتمين بالأمور العالية، بل منقادين إلى المتضعين" (رو١٢: ١٦)، هناك إنسان من طبعه أنه يحب الرئاسات، يحب المناصب، يحب العظمة، يحب الظهور والمجالس الأولى. وإنسان آخر يساق إلى هذه الأمور رغماً عن إرادته، وإذا فقد هذه الأمور لا يحزن لأجلها. داود كان من هذا الصنف الأخير يقول: **لم تستعلَ عيناى؛ لم أنظر باحتقار إلى من هم أصغر منى**، كما يقول بولس الرسول: "فإنى أقول بالنعمة المعطاة لى لكل من هو بينكم أن **لا يرتئى فوق ما ينبغى أن يرتئى، بل يرتئى إلى التعقل** كما قسم الله لكل واحد مقدارًا من الإيمان" (رو١٢: ٣)، "**غير مهتمين بالأمور العالية، بل منقادين إلى المتضعين**" (رو١٢: ١٦).

غير مهتمين بالأمور العالية

هذا درس لكل إنسان يريد أن يحيا مع الله. هناك أناس يطلبون الرؤى والإعلانات والأمور العالية، هؤلاء تقف أمامهم هذه الكلمات: لم أسلك فى العظائم ولا فى العجائب التى هى أعلى منى.

لم أسلك فى العظائم ولا فى العجائب التى هى أعلى منى

ينبغى أن نسلك فى الاتضاع كما سلك داود، فلا ترتفع قلوبنا بالعظمة، ولا تتعالى أعيننا بالتشامخ ولا ننظر إلى الأمور العالية والعظائم التى فوق قدرتنا، حتى الأمور الإلهية والروحية.. ينبغى أن نسلك بالاتضاع، فأحكام الله ما أبعدها عن الفحص. وطرقه ما أسماها فوق الإستقصاء. والأسرار الإلهية يجب أن يقبلها الإنسان بروح الاتضاع واضعاً نفسه تحت مستوى الإعلان الإلهى.

هناك من الأسرار ما لا يمكننا أن نفهمه فى وقتنا الحاضر مما سوف يعلن فى ملكوت الله كقول معلمنا بولس الرسول: "إننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز لكن حينئذ وجهاً لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سأعرف كما عرفت" (١كو١٣: ١٢).

إذا أرسل الله للإنسان نعمة أو بركة فنحن نمجد الله لأجلها. نحن -من حيث المبدأ- لا نرفض الرؤى أو الإعلانات، إنما نتكلم عن اتضاع

القلب الداخلى وعدم سعيه فى غرور وراء هذه الأمور. مثال لذلك الرغبة فى بناء بيت للرب الذى هو فى حد ذاته عمل مقدس، لكن ينبغى أن يسير فيه الإنسان بروح الاتضاع. ولعلنا نلاحظ كيف تعامل داود مع هذا الأمر.. يقول **من أنا وما هو بيتى، أنا رجل مسكين وحقير**، أنا لا أستحق أن أقوم بهذا العمل ولا أستحق ما وعدنى به الرب من جهة أبنائى الآتين من بعدى. كذلك الإنسان فى تعامله مع المسائل الروحية؛ يجب أن يتعامل معها بهذه الروح؛ **لم أسلك فى العظائم ولا فى العجائب التى هى أعلى منى.**

أمور فوقى لا أعرفها "عجيبة هذه المعرفة فوقى ارتفعتْ لا أستطيعها" (مز١٣٩: ٦) هناك أمور فوقى لا أعرفها، وأسرار إلهية فوق مستوى إدراك الإنسان، "نطقت بما لم أفهم بعجائب فوقى لم أعرفها" (أى٤٢: ٣).. هناك أمور لاهوتية عالية لا يتحتم على الإنسان أن يفهمها بعقله إنما يقبلها بالإيمان، هناك أسرار الملكوت وأسرار فى حياة السماء ربما لم يحِن وقت إعلانها لنا بعد. فلا ينبغى أن نرتئى فوق ما ينبغى أن نرتئى.

يكفينى الفتات الساقط من القديسين

الإنسان يقول له يا رب يكفينى أن أشعر برضاك عنى، يكفينى أن أصنع وصاياك وأصنع مشيئتك فى كل حين، يكفينى أن أحقق مقاصدك الإلهية الموجودة فى هذه الحياة "صغير أنا عن جميع ألطافك" (تك ٣٢: ١٠)، يا رب لا أستحق أن يدعى اسمك القدوس علىَّ. فمثلاً الراهب المتضع فى الدير يقول: أنا لا أستحق أن أوجد فى هذا المكان المقدس وسط هؤلاء الآباء والإخوة القديسين. إنما الراهب الذى يتطلع بصورة مبكرة أن يكون متوحداً وأن يدخل إلى البرية الجوانية ليصير من الرهبان السواح، ويشعر أن المكان قد ضاق عليه، ويشعر أن المكان أصبح أقل من قامته الروحية، وأقل من الممارسات الروحية التى يشتهيها قلبه، هذا الإنسان لا يستطيع أن يقول مع داود: **لم أسلك فى العظائم ولا فى العجائب التى هى أعلى منى..**

ليس معنى ذلك أن الإنسان لا يبتغى الأمور الروحية السامية، لكن أقصد أنها لا تتحول إلى مصدر للقلق والتعب فى حياته. لكن يجب عليه أن يترك مثل هذه الأمور لله كما يريد، ويكفيه أن يحيا فى أحضان الله المحب، ويتعزى بالفتات الساقط من مائدة القديسين، يجلس تحت المائدة ويأكل.

الكبرياء أصل جميع الشرور

وهنا نقول كلمة تحذير من الكبرياء التى هى أشر جميع الخطايا، فإن كنا قد تكلمنا عن الاتضاع، فيقول الكتاب فى سفر الأمثال "**تأتى الكبرياء فيأتى الهوان** ومع المتواضعين حكمة" (أم١١: ٢).

ما تلبث الكبرياء أن تدخل إلى حياة الإنسان حتى يأتى الهوان، ويأتى التشتيت ويأتى الضياع، ويأتى التخبط وتأتى الحماقة.

فالكبرياء هى أصل وسبب جميع الشرور التى فى العالم. لأن بداية الخطية فى العالم كله، بل فى الوجود بأسره، وقبل خلقة الإنسان نفسه هى كبرياء الشيطان.

الكبرياء هى التى صيّرت الملاك البهى شيطاناً.. هى التى أسقطت إبليس من رتبته، وصيرته شيطاناً بعد أن كان رئيساً للملائكة.

الكبرياء هى التى تسببت فى طرد آدم وحواء من الفردوس، وفى كل الشقاء والانحطاط الذى حل بالجنس البشرى.

فإن كنت لم أتضع

الكبرياء كما ذكرنا هى أم وأصل جميع الشرور والخطايا.. ففى مزمور على أنهار بابل الذى سوف نتحدث عنه فيما بعد، يقول المرتل

"يا بنت بابل الشقية طوبى لمن يكافئك مكافأتك التى جازيتنا" (مز١٣٦: ٨)، من هى بنت بابل هذه؟

بابل هى موضع البرج الذى أرادوا أن يبنوه ليكون رأسه يمس السماء، وقالوا لكى "نصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه الأرض" (تك١١: ٤). أرادوا أن يستكبروا على الله، ويجعلوا اسمهم يمس السماء مثل الله. وإن جاء طوفان آخر –رغم أن الله قد أعطى عهداً لنوح وبعلامة قوس قزح بأنه لا يجلب طوفاناً على الأرض مرة أخرى- يدخلوا إلى البرج لحمايتهم. أى أنهم لم يصدقوا كلام الله، وقالوا نبنى برجاً حتى إذا جاء طوفان نحتمى فى هذا البرج!! حماقة.. **حقاً يأتى الكبرياء فيأتى الهوان.**

بابل هى رمز الكبرياء الروحية، هذه هى بنت بابل الشقية، أما عبارة "طوبى لمن يمسك **أطفالك** ويضرب بهم الصخرة" أو "يدفنهم عند الصخرة" **فأطفال خطية الكبرياء** هى: العجرفة، الغضب، الإدانة، إهانة الوالدين، القتل، البعد عن الله... أى جميع الخطايا التى نعرفها والتى لا نعرفها.

الكبرياء هى آثار الخطايا التى قال عنها المزمور: "طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة".. وسوف نستكمل التأمل فى هذا المزمور فيما بعد، لكننا نذكر هذه الآية عرضاً فيما نتكلم عن اتضاع داود، وعن عدم الكبرياء الروحية فى علاقتنا مع الله.

لكن رفعت صوتى مثل الفطيم من اللبن
على أمه، كذلك المجازاة على نفسى

مثل الفطيم من اللبن على أمه

ربما يصعب فهم هذا الجزء من المزمور؛ لماذا؟ إذا أخذناه منفصلاً سوف يكون سهلاً فى فهمه. سيكون المعنى إن كنت أنا لم أتضع، ولكنى ظللت أصرخ كالفطيم لأمه يريدها أن ترضعه، وهى تأبى ذلك. كذلك المجازاة على نفسى، **أى هذا ما سيحدث لى كما أن الفطيم يصرخ ولا ترضعه أمه فأنا سوف أصرخ، ولأنى لم أتضع فصراخى لا يستجاب بسبب عدم اتضاعى.** لأنى طلبت ما لا يجب أن أطلبه أو ليس من صالحى أن أطلبه. هذا هو مفهوم العبارة وحدها، **أى أنى إذا كنت لم أتضع وطلبت شيئاً ليس من حقى أن أطلبه فسوف أصرخ ولا يسمعنى أحد، مثلما يصرخ الفطيم لأمه وهى لا تستجيب له لأن ليس من صالحه أن تعطيه.**

ولكن إذا وضعنا هذه العبارة مع باقى المزمور سينشأ نوع من التضاد الظاهرى فى المعنى.. ففى الجزء الأول يقول: "**يا رب لم يرتفع قلبى**"، أما هنا فيقول: "**فإن كنت لم أتضع..**" **فهل هو يسلك فى الاتضاع أم فى عدم الاتضاع؟!**

من الممكن تفسير العبارتين هكذا: إنى لم يرتفع قلبى بصفة عامة، لكن إذا حدث أن صدر منى فكر أو تصرف أو رغبة تتعارض مع هذا الاتضاع، فكذلك المجازاة على نفسى أنى سوف أشبه الفطيم من اللبن على أمه الذى يصرخ ولا أحد يسمعه.

وإذا رجعنا إلى ترجمة أخرى ربما تعطى كثيراً من الإيضاح للمعنى. فمثلاً فى الترجمة البيروتية: "**بل هدأت وسكتَّ نفسى كفطيم نحو أمه. نفسى نحوى كفطيم**" ربما تحاول النفس أحياناً أن تعرف ما هو أعلى منها وأن ترتئى فوق ما ينبغى أن ترتئى. أى أن تفهم أسرار الله وتخضع أعماله العظيمة لمستوى فهمها ومعرفتها المحدودة. فى هذا يقول داود أنه لم يترك نفسه على هواها. بل سكتها كما تسكت الأم الطفل الفطيم من اللبن أى الذى تريد أن تفطمه ومهما صرخ باكياً محاولاً أن يرضع من لبنها فإنها تهدئه وتسكته بكل الوسائل دون أن تجيبه إلى طلبه. ويشبه داود نفسه نحوه بهذا الفطيم نحو أمه.

يتضح من هنا أنه يعتبر هو نفسه الأم ونفسه هى الطفل.. وهو يدخل مع نفسه فى حوار، لأنه فى البداية عندما يقول فإن كنت لم أتضع، فربما يُفهم أنها فى علاقته مع الله، وأن الصراخ صادر إلى الله والفطام صادر من الله، ومن هنا ينشأ التعارض بين هذا الجزء من المزمور مع الجزء

الأول. أما إذا أخذنا الأمر بمعنى آخر، **بمفهوم أن الحوار ليس بينه وبين الله، إنما بينه وبين نفسه؛ فهكذا يمكننا أن نطابق الجزئين من المزمور بحيث يكون المعنى منساب ومتسلسل بطريقة طبيعية.**

هدأت وسكّت نفسى

بمعنى إن كنت قد دخلت مع نفسى فى حوار وليس مع الله، وأن نفسى أنا أفطمها، نفسى نحوى كفطيم. سوف تتساءل كيف ذلك هل هناك فرق بين الإنسان ونفسه؟! ولكى أوضح هذا؛ أذكر ما قاله السيد المسيح: "**كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع**" (لو١٤: ١١) فكيف هو يرفع نفسه أو يضع نفسه، **إذن حقاً يمكن أن يدخل الإنسان فى حوار مع نفسه.**

وفى مزمور آخر يقول: "**لماذا أنت منحنية يا نفسى ولماذا تئنين فىَّ**" (مز٤٣: ٥). وفى موضع آخر نسمع عن تبكيت النفس وعن لوم النفس وعن وعظ النفس "**عظوا أنفسكم** كل يوم مادام الوقت يدعى اليوم لكى لا يقسى أحد منكم بغرور الخطية" (عب٣: ١٣). ولوم النفس قال عنه أب جبل نتريا: [ليس هناك أفضل من أن يرجع الإنسان **بالملامة على نفسه** فى كل شئ]. ونسمع فى المديحة يقول: {**بكت نفسك يا خاطئ**

مادمت حياً بكتها}. وعندما يصلى الإنسان قائلاً: يالشقاوتى ويحى أنا الإنسان، وينسب لنفسه الشقاوة.

ونسمع عن ضبط النفس "كل من يجاهد **يضبط نفسه** فى كل شئ" (١كو٩: ٢٥). إذن هناك **ضبط النفس ووعظ النفس وأيضاً لوم النفس وتبكيت النفس، وبذل الذات** "فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى" (مت ١٦: ٢٤). إذن يمكن جداً عندما أقول نفسى نحوى كفطيم.. نفسى هذه التى أبكتها وألومها وأفطمها وأضبطها وكأنى أرعى نفسى مثل طفل يحتاج تربية.

إذن فى الجزء الأول يقول أنا يا رب لم يرتفع قلبى ولم تستعل عيناى.. فماذا عمل؟ يقول بل هدأت وسكت نفسى لكى أعيش حياة الاتضاع، هدأت وسكت نفسى لكى لا تستعلى عيناى، هدأت نفسى لكى لا أسلك فى العجائب ولا فى العظائم التى هى أعلى منى. هدأت وسكت نفسى لكى لا ترتئى فوق ما ينبغى أن ترتئى. أى أنى أستمر فى تهدئة وتسكيت نفسى مثل الفطيم من اللبن نحو أمه.

وقد ورد الشطر الأخير من هذه الجملة فى الأجبية طبعة مكتبة المحبة هكذا: "**كذلك تكون علىَّ نفسى**". معنى ذلك أن الإنسان المتضع ربما يواجه نفسه فى بعض المواقف وهى تصرخ نحوه طالبة أمور هى ضد

الاتضاع. ولكنه يفطمها ويمنع عنها كل ما هو ضد خيرها لتنمو فى حياة الفضيلة.

فلا ينبغى أن نسلك حسب هوى أنفسنا، التى ربما تطلب ما هو أعلى منها بل نحفظها دائماً فى الاتضاع –لئلا نخسرها بسبب الكبرياء.

فمن أفظع الشرور أن يسلك الإنسان حسب هوى نفسه. لهذا وضع السيد المسيح شرطاً للخلاص أن يرفض الإنسان مشيئة نفسه ويصنع مشيئة الله "ومن أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلى فهذا يخلصها" (لو٩: ٢٤). فيجب أن نفطم أنفسنا عن كل أمر لا يتفق مع مشيئة الله.

"**نفسى نحوى كفطيم**"؛ إذن ونحن نصلى هذا المزمور عندما نقول له يا رب لم يرتفع قلبى، لماذا لم يرتفع قلبى؟ لأنى حاربت فى نفسى نوازع الكبرياء. ولماذا لم تستعل عيناى ولم أسلك بانتفاخ وتشامخ فى علاقتى مع الناس وعلاقتى مع الله؟ لأنى انتهرت نفسى ووبختها وحقّرتها فى نظرى. أى أنى كنت أنسب لنفسى المحقرة لكى لا تستعلى ولا تنتفخ على الآخرين. هذا مفهوم مؤكّد فى أقوال الآباء وفى أقوال الكتاب المقدس وفى المفهوم الأرثوذكسى، إن الإنسان لابد أن يتعامل مع نفسه لكى يمنعها من أن تخطئ إلى الله.

فليتكل إسرائيل على الرب
من الآن وإلى الأبد. هللويا

لأن الإنسان يفطم نفسه فلا يسلك حسب هواه ويمتنع عن كل أمر لا يتفق مع مشيئة الله.. فلأنه يحيا ليس حسب هوى نفسه؛ يلقى اتكاله الكلى على الله.. **إذا كنا نفطم أنفسنا عن كل أمر لا يتفق مع مشيئة الله، ونسلك باتضاع القلب، فإن الرب يسكب فينا نعمته بغزارة،** لأنه يعطى نعمته للمتضعين ويكشف أسراره لخائفيه.

لا يلزمنا أن نتكل على حكمتنا وفهمنا بل على الحكمة الممنوحة لنا من الله، كما قال الكتاب: "تأتى الكبرياء فيأتى الهوان ومع المتواضعين حكمة" (أم١١: ٢) حكمة ممنوحة لنا من الله، "لا تكن حكيماً فى عينى نفسك" (أم ٣: ٧)، "توكل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد" (أم ٣: ٥)، لذلك عندما نترنم بهذا المزمور ونقول يا رب لم يرتفع قلبى، لأنى أنا إسرائيل الروحى أتوكل على الرب من كل قلبى وعلى فهمى لا أعتمد ولست حكيماً فى عينى نفسى.

من الآن وإلى الأبد

هذا الاتكال يجب ألا يبدأ مع بداية حياتنا الروحية ثم ينتهى، ولكن ينبغى أن يدوم إلى أن يأتى السيد المسيح، بل سوف يدوم إلى أبد

الدهور. أحياناً يتكل الإنسان على الله فى بداية حياته وإذ يصل إلى مرحلة معينة يقول فيها إنى استغنيت أو اكتفيت. لكن ينبغى أن يدوم هذا الاتكال على الله والاتكال على حكمته الإلهية.

فليمنحنا الرب أن نصلى هذه المزامير بفهم، وأن تكون صلواتنا صادرة من قلب يحيا الاتضاع الحقيقى أمام الله
لكى تكون هذه الصلوات مقبولة أمامه

ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد آمين

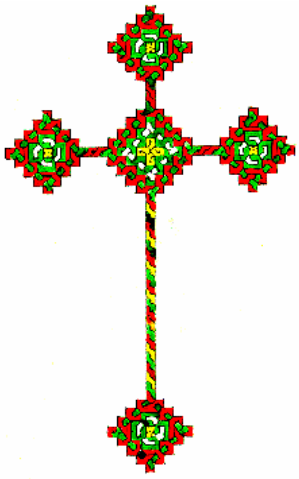

فى المزامير تتعلم كيف تتكلم مع الله، كما أنك تسمع صوته أيضاً. فالمزامير هى لقاء بين الله والإنسان.. شئ جميل أن نصلى بكلام الله نفسه؛ نتعلم ونحن نصلى؛ نتعلم من أنفاس الله المقدسة..

فالصلوات التى أوحى بها الروح القدس تعطى للإنسان طمأنينه كبيرة جداً فى علاقته مع الله.. إنسان يتكلم مع الله ويقدم له شكواه ، يبثه أشجانه ومشاعره ومتاعبه. فيجيبه الله بنفسة من خلال كلمات المزمور ويعطيه وعوداً..

ولكى تستفيد من صلاة المزامير تفاعل معها وعش فيها ؛ تلامس مع عمق معانيها، صل بها بروح العبادة والتأمل .